تفسير القرآن
المسمي هميان الزاد
الى دار المعاد

طبع في زنجبار

بالمطبعة السلطانية

الثالث عشر

سورة الطور

مكية اثنتا تسع واربعون وقيل ثمان واربعون وكلمها ثلاث مائة واثنتا عشرة كلمة وحروفها الف وخمسمائة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور كان حقا على الله سبحانه ان يامنه من عذابه وان ينعمه في جنته واذا استدام قراءتها معتقد سهل خروجه ولو كان عليه ما كان واذا قراها المسافر حرس وامن في طريقه من كل سوء واذا رش ماءها على العقرب قتلها باذن الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم

(والطور) الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين وهو طور سينين اقسم به لفضله على الجبال عند بعض وقيل الجبل الذي كلم عليه موسى وهو بالارض المقدسة والطور بالسريانية الجبل قال بعض اللغويين كل جبل طور اقسم الله بالجبال وقال اخرون كل جبل اجرد لاينبت شجرا او ماصار [illegible] من الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة * (والكتاب المسطور) [illegible] تتبع الحروف والمراد القرآن وقيل التوراة وقيل ما كتب لموسى عليه الصلاة والسلام وهو يسمع صرير القلم وقيل ما كتب في اللوح المحفوظ وقيل ما في قلوب اوليائه من المعارف والحكم وقيل مايكتبه الحفظة وقيل كتب اعمال الخلق وقيل ما كتبته الملائكة من اللوح المحفوظ مما يتصرف في العالم وقيل الكتب المنزلة على الجمع * (في رق) الورق الذي يكتب

فيه

فيه وهو مرقق ولذلك سمي رقا وقيل الجلد الذي يكتب فيه والمراد التمثيل والا مكان وعن بعض الجلد مستعار لما يكتب فيه وهو الورق وقيل على الحقيقة اذ علم انه سيكتب ذلك في الرق والا فاللوح المحفوظ جبهة ملك او درة او رق يعلمه تكتب فيه الملائكة وعن كعب ينزل رق من السماء السابعة فيكتب فيه عمل المؤمن ويرفع وقيل الرق المنشور كتاب الذي يموت مرابطا فانه لايطوي الى يوم القيامة يجري عليه اجر الرباط وكتاب غيره يطوي ويختم عليه * (منشور) مبسوط وهو خلاف المطوي * (والبيت المعمور) بالملائكة للعبادة يحجونه ويجاورونه تحريما له كالكعبة وقيل يدخله كل يوم سبعون الف ملك يسجدون ويقدسون لايعودون اليه ابدا بنته الملائكة وقيل خلقه الله لهم هو في السماء السابعة قدام العرش محاذيا للكعبة لو وقع منه شيء الى الارض لوقع على الكعبة واسمه الضراح من الضراحة وهي المقابلة ويسمى الضريح ايضا وقيل هو في السادسة وقيل في الرابعة وقيل في الثالثة وقيل في الاولى وقال قتادة ومجاهد وابن زيد في كل سماء بيت معمور وفي كل ارض والكل على خط من الكعبة وكذا روي عن علي وعن السهيلي يسمى البيت المعمور عربياه وهو في السماء السابعة وعن وهب بن منبه من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ ما بين عربياه وجربياه وهي الارض السابعة وعن علي ايضا ان البيت المعمور في السماء السادسة وقيل البيت المعمور الكعبة تعمرها الحجاج وتجاورها وقيل الكعبة رفعت في زمان الطوفان صونا لها فصارت معمورة في السماء ثم تبع ابراهيم صلى الله عليه وسلم الاساس فبناه عليه وقيل قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص [illegible] قال الملائكة لكونه بيت توحيد الله [illegible] والسقف الرفيع [illegible] والتذكار والتنبيه

البيت المعمور هو قلب المؤمن قال السقف المرفوع عمله المرضي البعيد عما يفسده
(والبحر المسجور) اي المملوء قاله قتادة قال وهو المحيط وقال ابن عباس
والحسن ومجاهد وعلى المسجور المحمي الموقد عليه بمنزلة التنور روي ان
الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فتزاد بها في نار جهنم وروى
ان البحر موقع جهنم وروي لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا
فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وعن ابن عباس المسجور المحبوس لولا
ان الله يحبسه لفاض وقيل المسجور الفائض يفيض يوم القيامة على الارض
فتسعه الارضون فتكون لجج الارض ورؤس الجبال سواء وقيل البحر
المسجور جهنم لتموجها وسعتها وقيل البحر الذي ذهب ماءه ويبس فالمسجور
الفارغ وهو مروي عن ابن عباس روي ان البحار يذهب ماءها يوم القيامة
وقيل المسجور المختلط العذب بالمالح وعن علي بحر تحت العرش غمره ما بين
سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد
بعد النفخة باربعين يوما فينبتون من قبورهم وعن علي ايضا انه سئل
يهوديا اين موضع النار من كتابكم قال في البحر قال ما راه الا صادقا
لقوله والبحر المسجور والجمهور على انه بحر الارض واقسم الله بتلك الاشياء
تذكيرا الى الاعتبار بها ونكر مانكر للتعظيم والاشعار بانه مخالف المتعارف
بين الناس وذلك كتاب مسطور ورق منشور * (ان عذاب ربك
لواقع) بالمشركين في الاخرة * (ماله من دافع) سمع عمر قارئا
والطور وكتاب مسطور قال هذا قسم حق ولما بلغ ان عذاب ربك
لواقع ظن وقوعه عليه فغشي عليه وجاء جبير بن مطعم رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الاسارى من بدر فسمعه من خارج المسجد يقرا
في باصحابه المغرب وبلغ ان عذاب ربك لواقع ماله من

دافع فما كنت اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع العذاب فاسلمت خوفا
واقسامه بتلك الاشياء الدالة على كمال قدرته وحكمته دلالة على صدق
اخباره وضبط اعمال العباد للجزاء * (يوم) متعلق بواقع * (تمور
السماء موراً) تدور كالرحاء وقيل تذهب وتجيء بالرياح متفتقة متقطعة
وقيل تتحرك وتموج وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها عن بعض وقيل
تتكفؤ كالسفينة باهلها * (وتسير الجبال سيراً) تزول عن وجه
الارض فتصير هباء منثوراً وقيل تسير اولا ثم تتفتت كالعهن المنفوش
والمور والسير اعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا لان ما في الدنيا خلق
لعمارتها ولا عمارة لها بعد * (فويل) اي شدة عذاب او غيرذلك كما
مر * (يومئذ) يوم اذ مارت السماء وسارت الجبال والسماء الجنس
او هذه وخصت لروعة يتناولها وغيرها مثلها او يوم اذ وقع العذاب وذلك
كله يوم القيامة (للمكذبين) للرسل (الذين هم في خوض) باطل
(يلعبون) لاهون عما يراد بهم * (يوم) بدل من يوم الاول او الثاني
(يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها بعنف مغلولة ايديهم الى
اعناقهم ونواصيهم الى اقدامهم تفعل ذلك بهم الخزنة وتلقيهم فيها على
وجوههم وافئيتهم ودعا مفعول مطلق وقرا زيد بن علي يدعون بضم الياء
واسكان الدال وتخفيف العين من الدعاء اي يقال لهم ملموا اليها فدعا
بالفتح والتشديد حال اي مدعوعين او ذوي دع او يقدر يدعون مشددا
او يفسر به المخفف ويضمنه ويجوز تعليق اليوم بقول مقدر مستأنف اي قوله
(هذه النار التي كنتم بها تكذبون) اي يقال لهم في ذلك اليوم هذه النار
الخ اذا دنوا منها قالت الخزنة ذلك توبيخا وتقريعا * (افسحر هذا
العذاب كما ان الوحي سحر عندكم وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتو

او للحصر فانهم كانوا يقولون ان هذا الا سحر فقيل لهم على طريقتهم اسحر هذا اي اليس هذا الا سحرا فانتم (أم انتم لا تبصرون) هذا العذاب كما كنتم لا تبصرون ما يدل عليه وتقولون انه سحر غطى الابصار انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وذلك تقريع وتهكم وفي الفاء والهمزة مامر (اصلوها) قاسوا شدة النار وادخلوا النار * (فاصبروا) عليها اولا تصبروا صبركم وجزعكم * (سواء عليكم) لا ينفع الصبر اليوم لانه صبر على الجزاء في العاقبة كما علل بقوله علي الاستئناف * (انما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا لا ما تعملون اليوم لانه يوم العقاب الذي لابد من وقوعه فلا يكشفه الصبر * (ان المتقين في جنات ونعيم) عظام مخصوصة بهم كاملة * (فاكهين) ناعمين مثلذ ذين مسرورين وقري باسقاط الالف والمعنى واحد وهو حال من ضمير الخبر في قوله في جنات وبالاسقاط قراءة ابو جعفر وخالد وقري بالرفع على انه خبر ثاني او هو الخبر وفي جنات متعلق به او بمحذوف حال من ضمير ويجوز ان يكون فاكه وفكه للنسب اي ذوى فاكهة وعليه ابو عبيدة * (بما اتاهم ربهم) اياه وقيل ما موصول حرفي (ووقاهم) منعهم * (ربهم) واعاد الظاهر ترحما لهم باضافته اليهم * (عذاب الجحيم) الواو واو الحال داخلة على الماضي ومن منع دخولها عليه قدر قدا ولمبتداه اي وقد وقاهم او وهم وقاهم وليست الصلة معطوفة على الصلة لعدم الرابط الا ان جعلنا ما موصولا حرفيا فيجوز العطف اي باتيانه ربهم اياهم خيرا و كرامة ووقايته اياهم عذاب الجحيم وصاحب الحال ربهم المرفوع باتي او هاء اتاهم او كلاهما ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغص فيه ولا تخمة ولا سقم وافرد لانه فعيل

بمعني فاعل اي سالما خالصا مما يكون في طعام الدنيا فهو نعت لمصدر محذوف ويجوز كونه حالا اي مهنيئين او مصدرا نائبا عن فعله اي هنأكم الاكل والشرب هنيئا او هنأكم ما كنتم تعملون هنيئا فحذف هنأكم ما كنتم تعملون فجيء بقوله * (بما كنتم تعملون) به او متعلقا متعلقا بكلوا او اشربوا والباء للسببية او الباء زائدة وما فاعل هنيئا * (متكئين على سرر مصفوفة) بعض الي جنب بعض حال من الضمير في قوله في جنات حال متعددة او من ضمير فاكهين حال متداخلة قال غير واحد دخول الجنة برحمة الله وفضله ورتبها ونعيمها بحسب الاعمال * (وزوجناهم بحور عين) عطف علي خبر ان والباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعني صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معني الوصل والالصاق قاله القاضي والحور جمع حوراء وهي القوية بياض العين وسوادها والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العين مع جمالها وقراءة ابن مسعود والنخعي بعيس عين جمع عيساء وهي البيضاء قال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون ذلك رشحا مسكا و يلهمون الحمد والتسبيح ويعطي الواحد قوة مائة في الطعام والشراب والجماع وقال يقال لهم هنيئا لكم شهوتكم فيرشحون مسكا وقال انه يتنعم في تكأة واحدة سبعين عاما فتناديه واحدة من غرفة اخري اما لنا منك دولة فيلتفت اليها من انت فتقول من المزيد فيتحول و يتنعم معها سبعين ايضا في تكأة واحدة فتناديه اخري كذلك فيقول من انت فتقول مما اخفي من قرة اعين فيتنعم معها سبعين في تكأة فهم هكذا يدورون قال علي واذا دخل الجنة ودخل منزله اتي الارائك فاذا فيها سرير عليه سبعون فراشا وعليهم سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها

باطن الحلل يتضهن في مقدار ليلة من لياليكم هذه وعن مجاهد الحور
يعارفيهن البصر وينظر الناظر وجهه في عنقها قال ابن عمر شعر عينيها الطول
من جناح نسر وقيل الحور العين بيض الالوان صفر الحلى خضر الثياب
يقلن في الجنة نحن الناعمات فلا نبوس ونحن الخالدات فلا نموت ونحن
الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى لمن كناله وكان لنا
وقال صلي الله عليه وسلم لوان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت على الدنيا لملاتها
ريح مسك وعن عمر بن ميمون يرى مخ ساقها من فوق سبعين حلة كما يبدو
الشراب الاحمر في الزجاج الابيض وقال صلي الله عليه وسلم ما حضر قتال
الا تزخرفت الجنة ونزلت الحور فاذا اقبل المقتال قلن اللهم انصرهم واذا
ادبر قلن اللهم ثبتهم واذا قتل غفرت ذنوبهم باول قطرة وتهبط زوجتا
المقتول من الحور فتجلسانه وتمسحان دمه والغبار عنه وتقولان مرحبا بك ويقول
مرحبا بكما واذا صرف وجهه عنهما قال قد ازددتما في عيني سبعين
ضعفا جمالا واذا صرفتا وجوههما قالتا مثل ذلك مكتوب بين ثديهما انت حبيبي
وانا حبيبتك والذي بعثني بالحق انها لتكون عليها سبعون حلة مثل شقائق
النعمان وانه ليرى مخ ساقها من وراء ذلك وتمسك بين اصبعين من اصابعها
سبعون حلة من رقتها وحسنها وقلوبهن معه كقلب واحد وقلوب اهل الجنة
كواحد لا اختلاف ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشيا * (والذين
امنوا) عطف على حور اي قرناهم بحور عين وبالذين امنوا فتارة
يتمتعون بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان فالمراد بالتزويج مجرد القرن
وجملة الحقنا مستانفة او الذين مبتداء والحقنا خبر وما بينهما اعتراض ويجوز جعل
اتبعتهم ذريتهم معطوفا والواو عاطفة او حالا الا واو حالية وعلى كل فجملة اتبعتهم
ذرياتهم لبيان الواقع لان المراد بالذرية من لم يبلغ ومن لم يبلغ مومن على

كل حال كل مولود يولد على الفطرة ولاسيما اولاد المومنين ولكن اصحابنا
لا يوجبون الاولاد المومن ويقفون في ولد غيرهم وبسط المسئلة في الفقه والك
ان تقول العطف والحال للتقييد لا لبيان الواقع اي شرط الحاق الذرية
بهم ايمانها بان ماتوا غير بالغة فلا يصدق عليها اسم الكفر او ماتوا من
يموت وهو بالغ مومن ويلحق بابيه اينما لا استحقاقا لضعف عمله عن
درجة ابيه هذا ما يليق من التقرير بمذهب الاصحاب فشد عليه يديك
وقد تقرر عندنا كغيرنا ان اولاد يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه وممن قال المراد
بالذرية من لم يبلغ ابن عباس يجمع له ذريته في الجنة كما يحب جميعها في
الدنيا ويلحقهم بدرجته من غير ان ينقص من درجته وفي الحديث ان الله يرفع
ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه لتقربها عينه ثم قرأ والذين امنوا
(واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم) وكذلك الاباء ترفع الى الابناء
اذا كانوا امثالهم وفي الحديث ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا
الحلم الا ادخله الله الجنة برحمته فافهم وقال صلي الله عليه وسلم لان اقدم
سقطا خير من ان اخلف مائة فارس كلهم يجاهدون في سبيل الله واستدل
بعضهم على ان اولاد المشركين في النار بان خديجة رضي الله عنها سالت النبي
صلي الله عليه وسلم عن ولديها ماتا في الجاهلية فقال في النار فراى الكراهية
في وجهها فقال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يارسول الله فولدي
منك قال في الجنة ان المشركين واولادهم في النار والمومنين واولادهم
في الجنة وقراءة الاية والله اعلم بصحة هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
والحديث الصحيح قوله الله اعلم باولاد المنافقين والمشركين كيف
يعملون او عملوا والظاهر انهم للجنة اقرب منهم الى النار لانه تعالى يمن
بالرحمة ولا يظلم بالعذاب واولادتهم على الفطرة والقول باختبارهم باقتحام

نار توضع لهم يوم القيامة ضعيف وبايمان متعلق بالحقنا وقدم للحصر والاهتمام والتنكير للتعظيم والمراد ايمان الاباء ومتعلق باتبعتهم فهو ايمان الذرية ويجوز ان يعلق بالحقنا ويكون المراد ايمان الذرية فالتقديم للمر والتنكير للتوهين اي بايمان ضعيف وقرا ابن عامر ويعقوب واتبعتهم ذرياتهم بتشديد تاء اتبع وجمع الذرية والرفع مبالغة في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرا ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم بقطع الهمزة واسكان التاء ونصب الذريات بالكسر مجموعا وقري ذرياتهم بكسر الذال وضم التاء بعد اتبعتهم بتشديد التاء الاولى وقيل بايمان حال من الضمير والذرية اومنهما قيل وتنكير ايمان بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان واعترض بجملة اتبعتهم للتعليل وعن بعضهم الحقنا بهم ذرياتهم في المواراة والدفن في مقابر الاسلام وفي الجنة * (وما التناهم) نقصناهم (من) ثواب * (عملهم من شيء) بهذا الالحاق لانه الحاق تفضل على الاباء والابناء وقيل المعني لم ينقص من ثواب عملهم شيئا لا بالحاق ولا بغيره والمضارع بانت بالكسر اومن الات بليت حذف الالف الساكن بعده وقرا ابن كثير التنا بكسر اللام والمضارع بفتحها وروي عنه لتنا بكسر اللام من لات بليت والتنا بالمد والفتح والمضارع يولت بضم الياء وكسر اللام والتنا بفتح اللام والمضارع يالت كوعد يعد والمعني واحد * (كل امرئ بما كسب رهين) كل احد مرهون عند الله بعمله فان فك نفسه بالعمل الصالح والا اهلكها وقيل الكسب الشرك اي كل امرء كافر مرهون في النار بما كسب من الشرك (وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) زدناهم في وقت بعد وقت ما يشتهون من فاكهة ولحم فمما يشتهون عائد الى فاكهة ولحم لا للحم فقط وقيل له وعلق الزيادة بالاشتهاء فلهم ما اشتهوا ولو

لم يطلبوه قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان اهل الجنة ليتناولون قطوفها وهم متكئون على فرشهم فما تصل الى في احدهم حتى تبدل اخرى والذي نفسي بيده ان في الجنة لطيرا امثال البخت فقال ابوبكر يارسول الله ان ذلك الطير لناعم فقال والذي نفسي بيده ان الذي ياكل منها انعم منها واني ارجو ان تاكل منها يا ابابكر قال بعضهم تصف الطير بين يدي الرجل فاذا اشتهى احدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجا ولا ذبح ولا سلخ ولا طبخ ولا كلفة بل كلما ارادوا حضر وعن على اذا اشتهوا الطعام جاءهم طير بيض فترفع اجنحتها فيا كلون من جنوبها اي الالوان شاءوا وفيها من كل لون ياكلون ثم يطير فيذهب وعن بعض تصف الطير بين يديه فرسخا في فرسخ والطير امثال الابل فيقول الطائر ياولي الله اما انا فقد رعيت في واد كذا واكلت من ثمار كذا وشربت من عين كذا وسمني كذا وربي كذا فكل مني فاذا اشتهى حسن الطير واشتهي صفته وقع ذلك في نفسه قبل ان يتكلم به فيقع علي مائدته نصفه قديد ونصفه شواء فياكل اربعين سنة كلما شبع القي عليه الف باب من الشهوة ثم يوتي بالشراب على برد الكافور وليس بهذا الكافور وطعم الزنجبيل وليس بهذا الزنجبيل وريح المسك وليس بهذا المسك فاذا شرب هضم ما اكل من الطعام وتوضع المايدة بين يديه قدر عمره في الدنيا ويعطي قوة مائة رجل شاب في الجماع والطعام والشراب يجامع مقدار اربعين سنة لكل يوم مائة عذراء وروي احسن الى غنمك فانها من دواب الجنة * (يتنازعون فيها) في الجنة اي يتعاطون في مجالسهم * (كاسا) اي خمرا سمي باسم المحل قبل ولذلك انث الضمير في قوله * (لا لغو فيها ولا تاثيم) والواضح ان الكاس يجوز

تانيثه فهم يتعاطعون الكاس نفسها وفيها الخمر ولا لغو في الكاس لي لايأتي لغو بسببها كما ياتى بكاس الدنيا من حيث ان شرب ما فيها يورث اللغو وان ارجعنا الضمير للخمر معبرا عنها بالكاس فالمعني انها لاتورث اللغو كخمر الدنيا ويجوز ان يكون المراد انه لالغو ولا تاثيم عند شربها كما يفعل شرابها في الدنيا عند تناولها ويجوز رجوع الضمير للجنة وعن الفخر انه يجوز ان يكون التنازع التجاذب تجاذب ملاعبة وفيه لذة وفيه بيان لما عليه حال الشراب في الدنيا يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل والكاس الاناء فيه الشراب ولا يقال كاس ان فرغ قاله الزجاج واللغو الحديث الباطل قال ابن عطاء الله اى لغو يكون في مجلس محله جنة عدن والساقي فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم اضياف الله اه وعن الحسن اللغو المعصية وعن الكلبي الحلف والتاثيم فعل ما يقال لثمت به كما هو عادة الشارب في الدنيا الان شراب الجنة لايغير العقل فالتاثيم النسب للاثم ويجوز ان يكون بمعنى ايجاد الاثم وعن مجاهد لايسمعون لغوا ولا تاثيما وقيل لايأثمون في شربها وقري بفتح الواو والميم وعليه ابن كثير وابو عمرو * (ويطوف عليهم) للخدمة * (غلمان لهم) نعت غلمان اي مماليك ثابتة لهم وقيل اولادهم الذين هم سبقوهم وفي ضمن قوله لهم انهم مخلدون لايموتون ولا يشيبون * (كانهم اولؤ) في الحسن والبياض والصفا * (مكنون) مستور في الصدف لم تمسه الايدي او مخزون مصون بلا يتسخ او غال ثمين لانه لا يخزن الا الغالي الثمين قال عبد الله بن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل يخدم عملا غير عمل صاحبه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان ادني اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم فيجيبه

الف ببابه لبيك لبيك ولما ذكر صفاءهم قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفي رواية قال قتادة ذكر لنا ان رجلا قال يانبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم الخ وعن جابر بن عبد الله خدم اهل الجنة نور وجوههم كنور الشمس لو كانوا في الدنيا لافتتل اهل الدنيا عليهم قيل وهذا تقريب للأفهام وجمال اهل الجنة اعظم وفي حديث اخر ان اول من يدخل الجنة من امتي وجوههم كالقمر ثم الذين يلونهم كاشد كوكب درى ثم بعد ذلك منازل وهذا ايضا تمثيل وورد في الحديث ان في الجنة اسواقا ياتونه كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم ويزدادوا حسنا وجمالا فيقول اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله كذلك قال الغزالي ولا يبعد ان تكون النعم واللذات متزايدة ابدا قال الشاذلي لو كشف عن نور المؤمن الذي صدرت منه معاص كثيرة لعبد من دون الله ويطيق السماء والارض فكيف يغيره وعن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وسلم حسن المخدوم عن الخادم كالقمر ليلة البدر يجنب كوكب مظلم وبلغنا ان اولياء الله يخيرون قبل الدخول بامان الله ورضوانه ثم تزلف لهم الجنة وتفتح ابوابها فيخرج المسك مقدار خمس مائة سنة او ما شاء الله وتخرج الحور العين قد عرفت كل واحدة زوجها فيقال لهم اكسم وازواجكم ماتحبون ثم تقدم لهم الملائكة الى الجنة واذا دنوا من ابوابها استقبلتهم الملائكة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دار الخلد والملك والامان والنعيم والفرح والدوام ابشروا فيقولون الحمد لله الذي صدقنا

وعده الخ فينزل كل واحد بعمله في درجة ازواج وخدم وفرش واسرة وانهار لبن وعسل وماء وخمر تجري في غير اخدود وفاكهة والوان الرياحين والاكاليل على الرؤس واللباس من سندس واستبرق وحرير وريح المومن اطيب من ريح المسك الذكي اسكنهم الرحمن في داره وهي الجنة ليس كجنان الدنيا ارضها رخام من فضة بيضاء وترابها الورس والزعفران وكثبانها مسك اذفر ورضراضها الدر والياقوت وقصورها الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والوان الجوهر وعلى الجنة كلها حائط طوله خمسمائة سنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت وجذوع نخلها ذهب احمر وكربها در وزبرجد اخضر وسعفها حلل ورطبها اشد بياضا من فضة احلى من العسل الين من الزبد ولا نوي فيها وطيرها كالبخت وهم جرد مرد مكحلون مسورون متوجون بالذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر فاذا شاء احدهم ركب فرسا من ياقوت حمرا فطار به الى اى جهة ولكل واحد نجيبة من ياقوت احمر لها اجنحة بيض اشد بياضا من الثلج ورحلها در وياقوت وجانباه ذهب وفضة وزمامها ياقوت احمر الين من الحرير خطوتها قدر مد بصرهم ولا حيض ولا بول ولا غائط ولا بزاق يجد ريح زوجته خمس مائة عام عاشقة لزوجها والحلة الواحدة خير من الدنيا وما فيها من اولها لاخرها (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) حال من بعضهم قبل وبعض اى يسئل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وبما استوجب الثواب وعن ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من تعب الدنيا وخوفها والخوف من النار وكم نال كل واحد * (قالوا انا كنا قبل) قبل الموت * (في اهلنا مشفقين) ارقاء القلوب من خشية الله خائفين من معصية الله معتنين بطاعته وجلين

من عقابه وفي اهلنا متعلق بكنا اومشفقين او حامن ضميراحدهما والاشفاق اشد الخوف وهذا ايماء الى علة الوصول * (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق والمغفرة * (ووقانا) منعنا * (عذاب السموم) اي عذاب النار لان النار تدخل في المسام فهي نافذة في المسام تفود السموم وهي الريح الحارة وقيل السموم الحرارة وقيل اسم من اسماء جهنم وقرى بتشديد القاف للتوكيد * (انا كنا من قبل) اي قبل الموت. (ندعوه) نعبده او نطلبه الوقاية * (انه) اي لانه وقرا غير نافع والكسائي بالكسر على التعليل الاستئنا في الجملي * (هو البر) المحسن الصادق في وعده وقال ابن عباس اللطيف وقيل المحسن الى جميع خلقه * (الرحيم) للمومنين او برحم جميع الخلق فان رحمته عمت الكافر في الدنيا وخصت المومن في الاخرة وهو كثير الرحمة عظيمها اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب (فذكر) دم على التذكير ولا تكترث بقولهم كاهن مجنون شاعر ابطالانه اوتناقضه لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله والشاعر كلامه موزون وانت بخلاف ذلك ولا يتاتي ذلك من مجنون * (فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) بنعمة متعلق بما اي انتفي بحمد الله وانعامه ورحمته وعصمته عنك التكهن والجنون لست مجنونا ولا كاهنا كما يقولونه بل نبي وراجح عقل وعن بعض ان النعمة النبوة والكاهن الذي يدعى علم ماغاب باخبار الجن اوغير اخبار كذا قيل والمشهور انه باخبارهم وانها نزلت في المتنسبين وما ذكرت من التعلق بما هو مذهب ابن الحاجب قال ولو علق بمجنون لافاد نفي جنون خاص مهو الجنون الذي يكون من نعمة الله وليس في الوجود جنون هو نعمة ولا المراد نفي جنون خاص والزوم تقديم معمول المعطوف

على العاطف قال ابن هشام وهو كلام بديع الان جمهور النحويين لا يوافقون على صحة التعليق بالحرف فينبغي على قولهم ان يعلق بانتفي محذوفا (ام يقولون) اي بل ايقولون هو * (شاعر نتربص به ريب المنون) حادث الدهر المقلق فالريب الحادث المقلق والمنون الدهر قاله مجاهد وفي الحديث فاطمة بضعة مني يريبني ما ارابها وقال ابن عباس المراد بالمنون الموت وهو فعول من المن بمعنى القطع سمي به الدهر والموت لقطعها الاجل والتربص الانتظار اي ننتظر به نوائب المنون فيهلك كما يهلك من قبله من الشعراء كزهير والنابغة ويتفرق عنه اصحابه وان اباه مات شابا ولعله يموت شابا اجتمعت قريش في دار الندوة فكثر آراؤهم في النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال قائلهم ذلك فافترقوا ونزلت * (قل تربصوا) اهلاكي * (فاني معكم من المتربصين) اتربص اهلاككم قتلوا يوم بدر وسبوا وتربصوا وعيدي في صورة الامر * (ام) اي بل * (تامرهم احلامهم) اي عقولهم * (بهذا) التناقض في القول يقولون شاعر او مجنون او ساحر وكانت قريش تدعي اهل الاحلام فازري بعقولهم حيث لم يميزوا الحق اى لا احلام لهم وقيل المراد لا تامرهم احلامهم بهذا وامر الاحلام مجاز عن ادائها الى ذلك واجاز بعضهم رجوع الاشارة الى ماهم عليه من عبادة الاصنام * (ام) بل * (هم قوم طاغون) مجاوزون الحد بعنادهم في الكفر وقري بل هم * (ام) اي بل * (يقولون تقوله) اختلق القرآن من نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب * (بل لا يؤمنون) بالقرآن متكبرا وقد علموا ببطلان قولهم ولكن يقولون عنادا * (فليأتوا بحديث

مثله) مثل القرآن * (ان كانوا صادقين) في قولهم ساحر مجنون كاذب كاهن اذ فيهم فصحاء والامر للتعجيز ويجوز ان يكون ذلك ردا للمقول وقرئ بحديث مثله بالاضافة فالضمير له صلى الله عليه وسلم اي ان مثل محمد في فصاحته ليس مفقودا في العرب فان قدر محمد على نظم القرآن كان مثله قادرا عليه * (ام) بل * (خلقوا من غير شيء) من غير محدث فلذلك لا يعبدون الله او من غير امر ونهي وعليه ابن كيسان وقيل لغير ثواب وعقاب وعلى الاول الغزالي والفخر ونسب لابن عباس وروي عنه انه قال من غير اب وام فهم كالجماد غير مكلفين وعن جبير بن مطعم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ولما بلغ ام خلقوا من غير شيء الى المسيطرون كاد قلبي يطير وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في فداء اهل بدر فسمعته يقرأ في المغرب بالطور فكأنما تصدع قلبي حين سمعت القرآن * (ام هم الخالقون) لانفسهم فلا يعبدون الله وهذا يؤيد التفسير الاول وهذا اشد في البطلان لانهم لم يكونوا ثم كانوا والمعدوم لا يفعل شيئا ولا يخلق نفسه فلا بد لهم من خالق فلم لا يعبدونه ويؤمنون والتابيد المذكور عقب ذلك بقوله * (ام خلقوا السموات والارض) ام في الايات السابقة والاتية بمعنى بل وهمزة الانكار ولا يقدر على خلقهن الا الله كما اقروا فلم لا يعبدونه (بل لا يوقنون) بالله والا لصدقوا نبيه وما يقول من القرآن والبعث واطاعوه * (ام عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق والحكمة فيخصوا من يشاء بها وقيل خزائن المطر والرزق وقيل علم الغائب (ام هم المسيطرون) اسم فاعل سيطر كبيطر وبيقر اي المتسلطون

الجبارون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاءوا كامر الربوبية
وقرئ بالصاد بدل السين والاولى لخفص وهشام وقبل
وقرا حمزة بين الصاد والزاي وقيل المسيطر الرب * (ام لهم
سلم) منصوب الى السماء * (يستمعون فيه) كلام الملائكة
وما يوحى اليهم حتى يعلموا مايكون من هلاكه قبلهم وظفرهم عليه
ويتمكنوا من منازعته وفيه متعلق بيستمع وقيل بمحذوف حال اي
صاعدين فيه وقيل في بمعنى على وقيل من ان ادعوا ذلك * (فليات
مستمعهم) اي مدعي السماع اومكتسبه * (بسلطان مبين) بحجة واضحة
على صحة الاستماع وانهم على الحق وذلك اشبه بقولهم الملائكة بنات الله
ولاجل هذا ولاجل التسفيه لهم والاشعار بان من هذا رايه لايعد من
الفضلاء فضلا عن ان يترقى الى عالم الملكوت بروحه اوجسده قال *
(ام له البنات ولكم البنون) تعالى عن الولادة جعلوا له ماكرهوه لانفسهم
(ام تسئلهم اجرا) عن تبليغ الرسالة * (فهم من مغرم) مصدر ميمي اي
غرم متعلق بقوله * (مثقلون) ومن للتعليل اوبمعنى الباء والمغرم قيل
ان تلتزم ماليس عليك اى لزمهم مغرم ثقيل اثقلهم فزهدهم في اتباعك *
ام عندهم الغيب) اى علم الغيب فيعلموا انك تموت قبلهم فهو راجع الى قولهم
نتربص به ريب المنون وقيل فيعلموا ان ما يخبرهم به من البعث وغيره
باطل وقال ابن عباس الغيب اللوح المحفوظ * (فهم يكتبون) ذلك
حتى يمكنهم نزاع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحكمون به وقال ابن
عباس يكتبون من اللوح المحفوظ ويخبرون بما فيه * (ام يريدون كيدا)
مكرا بك او بالمومنين وهو كيدهم في دار الندوة بكم * (فالذين كفروا
هم المكيدون) المهلكون الممكور بهم وهو اسم مفعول اصله المكيودون

عاد عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او بمعنى المغلوبين في الكيد كأيدون
فكادهم اى غلبهم في الكيد * (ام لهم اله غير الله) يرزقهم ويمنعهم من
العذاب * (سبحان الله عما يشركون) مامصدرية اي عن اشراكهم
او اسم موصول على حذف مضاف اي عن شركة مايشركونه به تنزه نفسه
عن ذلك * (وان يروا كسفا) قطعة * (من السماء ساقطا) عليهم
تعذيبا لهم كما قالوا فاسقط علينا كسفا من السماء * (يقولوا) لشدة طغيانهم
وعنادهم هذا * (سحاب مركوم) متراكب يرتوي به ولايؤمنوا * (فذرهم)
تركهم وما هم فيه قيل منسوخ باية السيف والحق انه لا نسخ لان
هذا الترك ترك واوامع القتال * (حتى يلاقوا) يعاينوا وقرئ بلقعوا بفتح
فاسكان وبضم فتشديد وفتح * (يومهم الذى فيه يصعقون) يموتون
والصعق التعذيب في الجملة وان كثر استعماله فيما يصيب الانسان من
ورط الصيحة وقرا ابن عامر وعاصم بالبناء للمفعول من صعق الثلاثي
المتعدى اوهو اصعق بالهمزة وذلك اليوم هو يوم الفزع يفزعون بالنفخة
الاولى فيموتون وهي هلاك اخر هذه الامة وهم كفار قاله الحسن ونسب
للجمهور وقيل ايام موتهم واحدا واحدا قبل او يوم بدر والمراد بالصعق
السكر بالنفخة * (يوم) بدل من يوم * (لا يغني عنهم كيدهم
شيئا) من الاغناء في رد العذاب * (ولاهم ينصرون) يمنعون
من عذاب الله سبحانه * (وان للذين ظلموا) انفسهم وغيرهم بالشرك
وغيره والمراد العموم او كفار مكة اى لهولاء الظلمة فاقام الظاهر مقام
المضمر للتشنيع باسم الظلم * (عذابا دون ذلك) العذاب الذي في
الاخرة وهو عذاب القبر عند مثبتيه وعليه البراء بن عازب وابن عباس
ومجاهد وقال ابن زيد هو مصايب الدنيا كلها وقال الحسن القتل

يوم بدر ونسب لابن عباس وقيل الجوع والقحط سبع سنين ونسب لمجاهد وقيل الجميع وماسوي بدر عام في كل مشرك قاله الفرو وعده عليه القحط وقراه ابن مسعود دون ذلك قريبا * (ولكن اكثرهم لايعلمون) الحق اوان العذاب نازل بهم واراد بالاكثر من لم يؤمن * (واصبر لحكم ربك) بامهالهم ومايلحقك من المشقة وزعم بعض انها نسخت بايات السيف وانا اقول انه الصبر المامور به في كل وقت فلا نسخ له ويجوز ان يكون اصبر لما يحكم الله عليك بعد وهو الامر بالقتال * (فانك باعيننا) بمرأي ومنظر وحفظ تراك ونسمع قولك فلا يصلون اليك بمكروه وقري باعيننا بالادغام وهذه الاية ينبغي ان يقررها كل مؤمن في نفسه فانها تفسح مضائق الدنيا والباء بمعني في اي في حفظنا وجمع العين في كثرة الحفظ قال ابن عباس تري كل ما يفعل بك اوجمعه نظرا لضمير المتكلم وهو نا فانه ولووضع لاثنين فصاعدا حقيقة لكن الجماعة اسرع مبادة فيه وايضا اثنان جماعة حقيقة اومجازا * (وسبح بحمد ربك) ملتبسا بحمد ربك على مامر اى قل سبحان وبحمده * (حين تقوم) من كل مجلس فان كان مجلس خير ازددت به احسانا والا كان كفارة له وفي الحديث من كثر لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الاانت استغفرك واتوب اليك كان له كفارة وعليه عطاء وقال ابو الاحوص يريد سبح بحمد ربك في كل قيام وعن ابن عباس حين تقوم من منامك وعن الحسن يعني صلاة الفجر وقيل حين تقوم في الليل الى ان تدخل صلاة الفجر وقيل حين تقوم الى الصلاة وقاله ابن الميسب وسال عاصم بن حميد عايشة رضى الله عنها باذا

يفتتح صلي الله عليه وسلم قيام الليل فقالت ماساءلني عنه احد قبلك يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر عشرا ويقول اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وروي انها قالت اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناءك ولااله غيرك وعن ابن زيد اراد صلاة النفل وقال الضحاك المفروضة * (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل المراد مجرد التسبيح * (وادبار النجوم) من اخر الليل يسبح في اخره وقبل صلاة الفجر وقبل سنته وقري بفتح الهمزة جمع دبر اي اعقاب النجوم والمكسور مصدرا والمراد بالادبار خفاءها بالضوء اوغروبها كان منها اول الليل اوبعد اوله في اوائل مطالعه او بعد ذلك اوفي وسط السماء اوبعد وسطه قال القاضي قدم من الليل على سبح وافرد بالذكر لان العبادة فيه اشق وابعد عن الرياء * اللهم ببركة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركة السورة اكسر شوكة النصاري واهنهم واخرهم وانصر المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة والنجم

ويقال سورة النجم وكذا في الطور ونحوها وهي مكية وقيل الا الذين يجتنبون الي النهي وقيل الا افرايت الذي تولى الايات التسع وايها اثنتان وستون وقيل احدي وستون وكلمها ثلاثمائة وستون وحروفها الف واربعمائة وخمسة احرف قال صلى الله عليه وسلم من قراء والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد

من صدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجود به بمكة ومن كتبها في رق غزال طاهر وعلقها عليه قوي سلطانه لم يخاصمه احد الاقهره ونصر عليه *

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنجم اذا هوى) يعني الثريا اذا غربت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما وفي الحديث ما طلع النجم وفي الارض شيء من العاهات الارفع يعني الثريا ويقولون اذا طلع النجم عشاء ابتغي الراعي كساء وهو علم بالغلبة عليها اذا اطلق وكذا قال ابن عباس وسفيان ومجاهد وقيل ال للجنس فالمراد النجوم وهويها غروبها اوغيوبها اووقوعها علي مستراق السمع قال بعضهم قال الجمهور هويها غروبها وقال ابن عباس انقضاضها وقيل طلوعها وقيل انتثارها يوم القيامة ومن قال بان النجم الجنس الحسن وقيل المراد نجم القرآن اى القطعة النازلة منه لانه نزل نجوما وقيل القرآن لنزوله نجوما والهوي النزول ونسب لابن عباس روي ان عتبة بن ابي لهب زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد انا كفر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه بنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابوطالب حاضرا فاشتد حزنه وامسك عن الكلام ثم قال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرج الي الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابولهب لاصحابه اغيثونا يامعشر قريش هذه الليلة فاني اخاف علي ابني دعوة محمد فجمعوا حمالهم وانا خوها

حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد تشم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله قال حسان *

* من يرجع العام الي اهله * فما اكيل السبع بالراجع *

وقيل النجم الوحي ونسب لابن عباس ايضا وقيل النجم محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء بروحه وقيل بجسده ولا باس به سوى قولهم راى ربه فمكفر عظيم وقيل النبات الذي لاساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وارتفاعه ونموه قال ابوالبقاء ناصب اذا فعل القسم المحذوف وهذا منه اخراج لاذا عن الشرط والا لم يعمل ما قبلها فيها الا ان اراد فعل القسم المقدر بعدها جوابا لها المدلول عليه بالقسم قبلها والتحقيق خروجها عن الشرط وقد نص ابن هشام على انها خارجة بعد القسم نحو والليل اذا يغشي والنجم اذا هوي قال ولو كانت شرطية كان ما قبلها جوابا في المعنى واقسمت لا يكون جوابا لانه انشاء لا يقبل التعليق لان الانشاء ايقاع والمعلق يحتمل الوقوع وعدمه وان قدرنا فعل القسم بعدها جوابا خبريا لم يدل عليه الانشائي المقدر سابقا لتباين حقيقة الاخبار والانشاء واما ان جاء فوالله لاكرمه فالجواب في الحقيقة فعل الاكرام والقسم انما جاء تاكيدا وفعل الاكرام هو المسبب عن الشرط وجواب والنجم هنا ماض مستمر الانتفاء فلا يتسبب عن المستقبل وهو فعل الشرط اه والحق عندي ان الطلب لا يمتنع العلق معه وانما يمتنع مع الاشياء الذي هو كفعل القسم والاستفهام فلا يرد عليه وقوع الجواب طلبا في القرآن وغيره كثيرا * (ما ضل صاحبكم) جواب القسم * (وما غوي) قال الرازي اكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغي وبينهما فرق فالغي في مقابلة الرشد

والضلال ام منه اه وقيل الضلال العدول عن الطريق المستقيم والغي
اعتقاد الباطل وقيل الغي الجهل وقيل الضلال ان لايجد السالك
الى مقصده طريقا اصلا والغي ان يجده ولا يتبعه والضلال اكثر
استعمالا والصاحب النبي صلي الله عليه وسلم والخطاب لقريش ورد
نفي ما نسبوه اليه وهذه اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجد
يسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس الا ابا لهب فانه رفع
حفنة تراب الي جبهته وقال يكفني هذا وقيل امية بن خلف
وقتل كافرا وسبب نزولها قولهم انه يختلف القرآن والاقوال والقرينة
الثانية في الاية وهي ما ضل صاحبكم وما غوي اطول من الاولى
وهي والنجم اذا هوي واحسن السبع ما تساوت قرائنه نحو في سدر
مخضود وطلح منضود وظل ممدود ثم ما طالت قرينته الثانية كالاية
او الثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ان لم تقتل خذوه فغلوه
قرينة واحده * (وما ينطق عن الهوي) رد عليهم اي لا يتكلم
بما يهواه من تلقاء نفسه وفاعل ينطق ضمير الصاحب وقيل ضمير
القرآن وهو بعيد قيل وعن بمعني الباء وال عوض عن الضمير اى
عن هواه والضمير مقدر اي عن الهوي له قال ابن هشام والظاهر
انها للمجاوزة اي وما يصدر قوله عن هوي * (ان هو الا وحي يوحي)
ان نافية ولفظ هو ضمير النبي صلي الله عليه وسلم على حذف مضاف اولا واخرا
اي ان قوله الا وحي اوان هو الا ذو وحي ويوحي صفة وحي او وحي
بمعني موحي اليه فحذف واوصل ويجوز رجوع هو الى المنطوق به وقيل
الضمير للقرآن باجماع ودعوي الاجماع باطلة والوحي يطلق علي

الارسال والالهام والكتابة والاشارة واحتج بالاية من لم ير الاجتهاد
للنبي صلي الله عليه وسلم وجيب بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان
اجتهاده وما يستند اليه وحيا ورد بان ذلك حينئذ بالوحي لا بالموحي
والصحيح جواز اجتهاده ووقوعه لقوله ما كان لنبي ان تكون له اسري
الخ ولقوله لك الخ عوتب على اتيانه اسري بدر بالفداء وعلى الاذن
لمن ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة تبوك ولا يكون العتاب فيما صدر
عن وحي وجيب المانع انه قادر على اليقين بالوحي بان ينتظره ورد بان
انزال الوحي ليس في قدرته وقيل بالجواز والوقوع في الراي والحرب
فقط جمعا بين الادلة وبسط ذلك في اصول الفقه * (علمه) اي النبي *
(شديد القوى) هو جبريل علمه القرآن وغيره ومن قوته انه اقتلع قرى
قوم لوط من لماء الاسود وحملها على جناحه الى السماء حتى سمعوا صياح
الديك وبكاء الصبي ثم قلبها وصاح ثمود فاصبحوا جاثمين وكان
هبوطه علي الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف
وراي ابليس بكلم عيسي على بعض عقاب الارض المقدسة فضربه
بجناحه فالقاه في اقصي جبل بالهند واضافة شديد للقوي اضافة الصفة
المشبهة لفاعلها وهي لفظية قراه حمزة والكسائي واخرا اى هذه السورة من
قوله اذ هوى الى قوله من النذر الاولى بالامالة وامال ابو عمرو ومن ذلك
ما فيه راء وما عدا ذلك بين بين والباقون باخلاص الفتح * (ذومرة)
ذو احكام واتقان في عقله ورايه ودينه من مرائر الحبل وهي فتله واحكام
عمله وقال قتادة المرة القوة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق
طويل * (فاستوى) جبريل اي استقر على صورته التي خلق عليها الا
الصورة التي يتمثل بها للانبياء وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم

في صورة دحيه * (وهو بالافق) اى فيه * (الاعلي) افق الشمس
اي عند مطلعها فملاه والافق الجهة من السماء فراءه النبي صلي الله عليه
وسلم وكان بحراء قد سد الافق له ستة مائية جناح غطي بها المغرب
والمشرق فغشي عليه صلي الله عليه وسلم وكان طلب ان يراه لي صورته
ولم يره احد من الانبياء سليما سواه فنزل في صورة الادميين فضمه
الي نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه كما قال * (ثم دنا) جبريل
من النبي صلي الله عليه وسلم * (فتدلى) زاد في القرب من غير ان ينتقل
من موضعه كما يدلي الرحل رجله من السرير فهذا تقرير لشدة قوته وقد قيل
في معني استوي انه استوى واستولى لقوته على ما اجعل له من الامر وقيل الفاء
هذه عطفت سابقا على لاحق اي تدلى فدنا لان التدلي سبب القرب
والحق ما مر اوهي للترتيب الذكري وقيل ضمير تدلى للنبي اي تعلق بجبريل
ليعرج الى السماء فالمراد الاعراج ورأي جبريل على صورته في السماء
فثبت انه راه مرتين على صورته مرة في الارض ومرة في السماء وعن
بعضهم ان لفظ هو عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم خبره بالافق والجملة
حال وقيل معطوف على ضمير استوي اى استوي جبريل والحال ان محمدا
معه بالافق او استوي جبريل ومحمد في الافق معا وعن مسروق
بن الاجدع وانس والضحاك ان الذي دنا فتدلى هو الله عزوجل عن
ذلك ويدعون انه راه وهذا كذب وكانت عائشة رضي الله عنها من اشد
الناس انكارا لذلك قال لها مسروق بن الاجدع فاين قوله ثم دنا فتدلى
الخ قالت ذلك جبريل اتاه في صورته فقالت من زعم ان محمدا راي
ربه فقد اعظم الفرية على الله لانه يقول لا تدركه الابصار ومن زعم انه
اتقص من الوحي شيئا فقد اعظم الفرية على الله لقوله يا ايها الرسول بلغ

الخ ومن زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية لان الله يقول ان
الله عنده علم الساعة الخ فقول الضحاك ان المعني دنا من ربه فتدلى اهوي
للسجود افتراء منه * (وكان) جبرائيل وقيل محمد (قاب) مقدار
(قوسين) قرب من النبي صلى الله عليه وسلم مقدارها * (اوادني)
اقرب من ذلك حتى افاق وسكن روعه والشك بالنسبة للمخلوق اي
يشك احدكم لو راهما انه ادني او الاضراب وقيل ذلك اشارة الى تاكيد
القرب كقولهم هو مني معقد الازار والمقصود تمثيل الاتصال وتحقيق استماعه
لما يوحي بنفي البعد الملبس ونكتة التعبير بالقوس ان الحليفين من العرب
اذا اراد عقد الصفا والحلف بينهما خرجا بقوسيهما والصفا بينهما يريدان
انهما يتحاميان والمراد القوسان العربيان والقاب والقيب والقاد والقيد
والقيس المقدار كما قرا زيد بن علي قاد وقرا غيره قيد وقرى قدر وقيل
القاب وتر القوس وقال ابن مسعود القوس الذراع الذي يقاس به وقيل
القاب المقبض وزعمت البطالة ان القرب كان بين الله ونبيه وماروي عن
ابن مسعود روى ايضا عن ابن عباس وعن قتادة القاب من طرف العود
الى طرفه وعن الحسن ومجاهد من الوتر الي العود في وسط القوس عند
المقبض وقيل المراد بينهما من القرب ما بين القاب الي القوس للصقين
والمراد احد قابيها وقيل القاب النصف والقوس الاصبع فافهم وفي الكلام
حذف ثلاث مضافات اى كان مقدار مسافة قربه وقدر الزمخشري
ايضا مثل قاب قال ابن هشام للقاب معنيان المقدار وما بين
مقبض القوس وطرفها وعلى التفسير بالثاني فعيل هي على القاب
اي قابي قوس ولو اريد هذا لاغنى عنه ذكر القوس ويبحث فيه بانه لا يغني
ذكره عن ذكر القابين لان المراد القرب باعتبار ان ما بين طرفي القابين هو مقبض

القوس ولولاذلك لالتقيا فهما في غاية القرب وهذا لايفيده ذكر القوس مجرداً عن اضافة القابين اليه وماذكر الزمخشري يصح على تفسير الثمالة بالقدر وان قدر بما بين مقبض القوس وطرفها قدر مضاف اخر اى مثل قدر قاب ففي الاية القلب ومازعموا عن ابن عباس وابي ذر وكعب والحسن وابن مسعود وابى هريرة من انه راءي ربه ليلة الاسراء غير صحيح بل اشتهر عن ابن مسعود وابي هريرة المنع ووقف بعض قومنا لكن قال رؤيته في الدنيا جائزة واما سوال موسي الرؤية فالكلام عليه في اية وزعم بعض عن ابن مسعود وابن عباس وجعفر بن محمد انه كلمه الله بلا واسطة وان صح عن ابن عباس وابن مسعود والحسن انه دنا من الرب وتدلى فما ذلك الاقرب تشريف وقاب قوسين اوادني تاكيد لذلك وايضاح للمعرفة واشراف علي حقائقه كما قال عياض * (فاوحي الى عبده ما اوحي) الضمير لله لدليل المقام وقيل ضمير راوحى لجبريل في الموضعين والهاء لله اي اوحي جبريل اليه ما اوحي مثل فغشيهم من اليم ماغشيهم وقيل ضمير اوحي الاخير عائد الى الله اى اوحي اليه ورفعنالك ذكرك والم يجدك يتيما وما بينهما وقيل اوحي ان الجنة محرمة على الانبياء حتي تدخلها انت وعلى الامم حتي تدخلها امتك واول ماجري الوحي في المنام ثم خرج لحاجة من حوائجه فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر يمينا وشمالا فلم يرشيئا فرفع بصره فراي جبريل واضعا احدى رجليه على الاخر في الهوى فدخل في الناس فنظر فلم يره وخرج منهم فراءه في الهوي كذلك ثم دخل فلم يره وخرج فراي قال عروة بن الزبير عن عايشة فذلك الدنو والتدلى * (ما كذب الفواد ماراءي) اي ما انكر فواد محمد صلى الله عليه وسلم ماراه ببصره من صورة جبرايل وملكوت

الله وايا ته وعلم انه جبريل وانه حق او المعنى ماقال فواده لما راه لم انكر فك واوقال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره والامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر كالملك وزعم بعض انه راى ربه بقلبه فببصره وانه تحقق ذلك وقيل بقلبه وزعموا انه قال رايته بفوادى وعن بعض انه جعل بصره في فواده وزعموا عن ابن عباس انه اصطفي محمدا بالروية وموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ورعموا عن كعب ان موسى كلمه مرتين ومحمدا راه مرتين وذلك المدعي من الرويه باطل سال مسروق عايشة عنها فقالت قد اقشعر شعري من قولك اين انت من ثلاث من حدثهن فقد كذب وقد مرت وقوله في سورة التكوير ولقد راءه بالافق المبين دليل على ان المراد في هذه السورة جبريل وقراءة هشام بتشديد الدال اي صدقه ولم يشك انه جبريل * (افتمارونه على ما يري) اي افتجادلونه في رؤية جبريل وقيل انهم جادلوه حين قال لهم نسري بي وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وكلاهما علي ذلك في محله مشتق من مراي الناقة باسكان الراء وهو مسح ضرعها لتدر وكل من المتجادلين يخرج ما عند الاخر وقراءة حمزة والكسائي قال القاضي وخلف ويعقوب افتمرونه بفتح التاء واسكان الميم اي أفتغلبونه في المراء او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده واختار هذا ابو عبيد وزعم انهم لايمارونه بل يجحدونه وعدى بعلي لان الجاحد والممارى قاصدان بفعلهما الاستعلاء علي الخصم * (ولقد راءه نزلة اخري) راى النبي جبريل مرة اخري على صورته وزعم هولاء ان المعني انه راي ربه مرة اخري بعين راسه وقيل بعين قلبه والصواب الاول وعليه الجمهور وزعم هولاء انه راه في نزلة من النزولات المتعددة حين كان

بتردد طلوعا ونزولا للتخفيف عن الامة في اعداد الصلوات والنزلة فعلة من النزول نصبت على الظرفية قياما مقام المرة اشعارا بان رؤية جبريل في هذه المرة كانت بدنو ونزول وقيل مصدر اى نازلا نزلة اخرى قال القاضي والمراد به نفي الرؤية عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) في السماء السابعة يمين العرش وعن كعب انها في اصل العرش على رؤس حملة العرش يعني انها مستعلية عليهم وسميت بذلك لانه ينتهي اليها علم الخلايق لايعلمون ماخلفها ولاما فوقها واليها ينتهي ما يعرج من الارض ومن السموات فيقبض منها وما ينزل فيوخذ منها وتنتهي اليها روح المومن فتصف الملائكة المقربون حولها يصلون عليه صلاة الميت وقيل لانها في منتهى الجنة واخرها قال القاضي ولعلها سميت سدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها واوراقها كاذان الفيلة ونبقها كقلال هجر بسير الراكب في ظل غصن واحد مائة سنة وروى انه يستظل بظلها مائة الف راكب ومن اصلها نهران الى الجنة ونهران الى الدنيا النيل والفرات وعن مقاتل تحمل الحلى وجميع الوان الثمار وانها شجرة طوبى في سورة الرعد وان ورقة منها تضي لاهل الارض * (عندها جنة المأوى) تاوي اليها الملايكة او ارواح الشهداء او المتقون او المراد الكل روي عن الحسن انها جنة المومنين وفي ذلك تعظيم لسدرة المنتهى بان الجنة عندها والمنتهى والمأوى اسمان مكانين او مصدران ميميان وفتحه اذا كان اللهم مكان على غير قياس لان المضارع يأوى بالكسر وقراه علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى بضم الهاء بلا نقط فيكون جن فعلا اي ستره بظلاله وانكرت عايشه ذلك وقالت من قراه به فاجنه

الله * (اذ يغشى السدرة ما يغشى) متعلق برأى والابهام للتعظيم والتكثير لما يغشاها وحذف مفعول يغشى للفاصلة والمعني يغطيها ما يغطيها اي ياتي عليها امر عظيم من الملائكة يعبدون الله عليها وفي الحديث على كل ورقة ملك قايم يسبح الله واغصانها من لؤلؤ وقيل يغشاها ملائكة كالغربان وقيل امثال الطير في حديث يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وكعب يغشاها فراش من ذهب بفتح الفاء وهو طير صغار كالذباب يقع على نار المصباح وروي انه صلى الله عليه وسلم رآها ثم وضع الله عليها نورا فما من احد من خلق الله يستطيع ان يصفها من حسنها وعن بعض ان تفسير الغاشي تكلف اذ ورد مبهما وقال صلى الله عليه وسلم يغشيها الوان لاادري ماهي * (ما زاغ البصر وما طغى) اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما رآه يمينا وشمالا بل اثبته وتيقنه وما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوز ما امر به يقال طغى جاوز فلم يقطع بصره عن المقصود وفي ضمن ذلك وصف بالادب العظيم في مقام عظيم لم يسبق له صلى الله عليه وسلم ووصف بالثبات اذ لم يصعق كموسى قبل وان قلنا الغاشي فراش من ذهب فالمعني انه لم يشتغل به ولم يلتفت اليه وانه لم يكن مقصودا فلم يقطع بصره عن المقصود * (لقد راى من ايات ربه الكبرى) من للبيان اي والله لقد راى محمد الايات الكبرى وهي ايات ربه وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج في مسيره ورجوعه فالكبرى مفعول راى ومن للتبعيض والكبرى نعت الايات والمفعول محذوف اي شيئا منها او من زائدة في الايجاب والمعرفة عند مجيز ذلك وعن ابن عباس وابن

مسعود رامي رفرفا اخضر من الجنة سد الافق وعن ابن مسعود رامي
جبريل على صورته وله ست مائة جناح وقال عياض قصرت الاحلام
عن تفصيل ما اوحي وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى
وزعم بعض انه راي ربه وزعم عن الحسن انه راءى ربه ليلة الاسراء وزعم
عن ابن عباس انه قال اتعجبون ان تكون الرؤية لمحمد والخلة لابراهيم
والكلام لموسى صلى الله وسلم عليهم وزعم ان ابن عمر راجع ابن عباس
وراسله فاثبت له الرؤية فان صح ذلك عن ابن عباس فليس الحق
معه في هذه المسئلة ولو كان حبر الامة واعلم من عائشة بل الحق معها في
نفي الرؤية وما تقرر في الاصول من ان المثبت مقدم على النافي في محله
ما اذا لم يمنع مانع من الاثبات وقد قام المانع هنا وهو ان المرئي لون ذو
جزاء وجهات فوق ممكن وتحت آخر وجسم والله منزه عن ذلك وغيره
مما تستلزمه الرؤية كما قال لا تدركه الابصار وقال او من وراء حجاب
اي لا يراه خلق وان قلنا معنى الحجاب لم يجاهرهم بالكلام
ففي الدلايل المذكورة ما يغني وابن عباس قال ما قال غفلة منه عن
تلك الدلائل اثباتا منه لاسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف عائشة
فنفت الرؤية بالايات والسماع منه صلى الله عليه وسلم سالته عن
الايات السابقة في هذه السورة فقال لها هو جبريل قال عياض وحديث
عائشة قاطع بكل تاويل في اللفظ وذكر بعد تلك القدرة والصفات
العلية الاصنام ذما لها لحقارتها وبعدها من تلك القدرة والصفات فقال
(افرايتم) مفعوله الثاني محذوف اي قادرة على تلك القدرة والصفات
فتعبدوها دون الله القادر وقدره بعضهم افرايتموهن بنات لله وملائكة
وقد يجعل المفعول الثاني جملة الكلم المذكر معلق عنه بالاستفهام وذلك

انهم ينسبون الاصنام المذكورة بنات الله وهو ضعيف * (اللات)
اسم صنم مشتق من اسم الله وكان بالطائف وقيل ببطن نخلة تعبده قريش
وقري اللات بالتشديد واصله رجل يلت السويق للحاج فلما مات عبدوا
قبره وقيل رجل يطعمهم الحيس ببطن نخلة عبدوه بعد موته وقيل صرمة
بن غنم من ثقيف يضع السمن على صخرة فنلت العرب به اسوقتهم فحولها
ثقيف بعد موته الى منازلهم وعلى التخفيف فهو فعلة من لوى بمعني اعتكف
وطاف كانوا يعتكفون ويطوفون على الصنم والتشديد قراءة يعقوب
في رواية البزي ورويس وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقال الشيخ خالد
ان المخفف اصله التشديد من لت السويق بلته وال فيه وفي العزي زايدة
لازمة * (والعزي) صنم مشتق من اسم العزيز الذي هو اسم الله
وقيل تانيث الاعز وهي شجرة لغطفان يعبدونها بعث اليها صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد فقطعها وجعل يضربها بالفاس ويقول *
* ياعزي كفرانك لا سبحانك * اني رانت رايت الله قد اهانك *
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها علي راسها
كذا قيل والحق ماذكر الزمخشري والشيخ خالد انه قطعها وخرجت الشيطانة
كذلك وجعل يضربها ويقول البيت وقيل انه قطعها فقال صلي الله عليه
وسلم ما رايت فقال ما رايت شيئا فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول
فاجتث اصلها فخرجت عريانة فقتلها فاخبر النبي حين رجع فقال تلك
العزي ولن تعبد ابدا وقيل صنم لغطفان وضعه سعد بن ظالم الغطفاني
وقيل قدم مكة فراي الصفا والمروة يطوف اهل مكة بينهما فرجع
الى بطن نخلة فقال لا صفا ولا مروة ولا اله لكم وكان ذلك
لاهل مكة فقالوا ما تامرنا فقال انا اضع لكم ذلك فاخذ

حجرا من الصفا فوضعه لهم كالصفا وحجرا من المروة فوضعه كالمروة واخذ ثلاثه احجار فوضعها الى شجرة فقال هذا ربكم فطافوا بين الحجرين وعبدوا الحجارة الثلاثة ولما فتحت مكة امر صلى الله عليه وسلم برفع الحجارة وامر خالد اتقطع الشجرة وقيل بيت بالطائف تعبده ثقيف والصحيح الصجرة (ومناة) صنم وهو صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقيل لخزاعة بقديد وعن عائشة كان الانصار يهلون اليها وكان اهل مكة يعبدونها ووزنه مفعلة بفتح الميم والعين من مناة اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون فيها القرابين وقرئ مناءة بالمد لان دماء القرابين تمني عنها اي تراق وعزيت لابن كثير وقيل عنه مناءة بالهمز على الالف مفعلة من النوء كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا والنوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق وكانت العرب تضيف الامطار الى الساقط وقيل للطالع وعن بعضهم اللات صنم تعظمه العرب والعزي صخرة بيضاء تعبدها ومناة بالمثلث من قديد وهي اعظمها وتهل لها الاوس والخزرج * (الثالثة الاخرى) الصفتان لمناة للتاكيد وزعم بعض ان العرب لا تقول الثالثة اخرى وانما الاخرى نعت الثالثة وزعم بعض ان الاخرى نعت للعزي وفيه تقديم العطف على النعت للفاصله وقيل الاخرى نعت مناة من تاخير الرتبة لا تاخير العدد كانه قال وهي المتاخرة المقدار الوضيعة كما قيل في قوله عز وجل وقالت اخراهم لاولاهم اي ضعفاءهم لاشرافهم وان اللات اشرف لانه على صورة ادمي والعزي شريفة لانها شجرة فهي بنات ومناة وضيعة لانها جماد وادعي بعض انه لابدل اخرى على مدح ولاذم والحق انه قد يدل على ذلك وقيل اللات والعزي ومناة اصنام من حجارة وضعت في جوف الكعبة يعبدونها وكانوا

يقولون

يقولون الملائكة وتلك الاصنام بنات الله وانها شفعائهم مع كراهتهم البنات ووده هم لهن فقال * (الكم الذكر وله الانثي) انكر هذه القسمة كيف تجعلون انداد الله من تانفون ان يولد لكم وهو البنات واكد الانكار بقوله * (تلك اذا قسمة ضيزي) قال الحسن جائرة من ضازه بمعني ضامه وجار عليه وكذا عن ابن عباس وقال مجاهد معوجة وقال سفيان منقوصة وقال ابن زيد مخالفة واصله ضيزي بضم الضاد لانه ليس في الصفات فعلى بالكسر لكن قلبت الضمة كسرة لتسلم الياء من قبلها واوا كما فعل في بيض الاصل بوض كحمر بضم فسكون وقرا ابن كثير ضئزي بالهمز بعد كسر من ضئزه بالهمز ظلمه وهو صفة وقال القاضي مصدر وصف به وقري اضيزي بالفتح * (ان هي الا اسماء سميتموها) * اي ما الاصنام المذكورة باعتبار الالوهية الا اسماء تذكرونها وتطلقونها ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالوهية لما هو بعد شيء منها ويجوز عود الضمير للاسماء التي قولهم اللات والعزي ومناة اي ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم لا ببرهان وكانوا يطلقون اللات باعتبار استحقاقها للمعكوف عليها والعزي لعزتها ومناة لاعتقادهم استحقاقها التقرب اليها بالقربان ولسن اهلا لذلك فاسماء بلا مسمى ويجوز عوده للصفات التي يصفونها بها من كونها الهة وبنات وشفعاء وقيل سميتموها اصله سميتموها بها * (انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) من حجة على انها الهة * (ان يتبعون) اي ما يتبعون (الا الظن) الا توهم انها هم عليه حق تقليدا توهما باطلا وقري تتبعون بتائين * (وما تهوي) تشتهي * (الانفس)

وزينه الشيطان فعادتهم بمقتضى شهواتهم روي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان في المسجد الحرام يصلي بالسورة ولما قراء الثالثة الاخرى القي الشيطان على لسانه انهن لمن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجي فاعجب ذلك المشركين ولما ختمها سجد المومنون والمشركون والجن والانس معه فنزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الخ وقيل حدث نفسه في الصلاة ولما بلغ ذلك القي الشيطان ماذكر على لسانه بتذكير الضمير جمعا وتانيثه افرادا وعنا الملائكة وروى مع بدل من فقالوا ذكر الهتنا بخير فقال صلى الله عليه وسلم والله ما كذلك نزلت فنزل جبريل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما هكذا علمتك وما جئت بها هكذا فنزل وما ارسلنا الخ وقيل نزل واذا ذكر الله وحده اشمازت الخ * (ولقد جاءهم من ربهم الهدي) على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه من الشرك * (ام للانسان) بل اله * (ما تمنى) * وقيل الانسان الكافر بظن ان له ما تمني من الايمان بالهته وقيل طمعهم في شفاعة الالهة وقيل هو قول بعضهم واين رجعت الى ربي ان لى عنده للحسنى وقيل قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل تمني بعضهم ان يكون نبيا ويقول قولهم لولا نزل هذا القران على رجل الخ وقيل ذلك كله ونحوه والانسان الجنس * (فلله الاخرة والاولى) يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا يتحكم احد عليه في شيء منها شفاعة وغيرها ومن عيوب النفس كثرة التمني وهو الاعتراض على الله في ملكه وقضاياه وقدره ومداواته ان تعلم انه ما تدري ما يعقبه ما تتمني الخير الى خير او الى شر واذا تيقن ابهام عاقبة تمنيه اسقط عن نفسه

ذلك

ذلك ورجع الى الرضا والتسليم فيستريح الا العبادة فتمنيها عبادة ان اتى بما تيسر في الحال * (وكم من ملك) اى كثير * (في السموات) لهم الزلفى * (لا تغني شفاعتهم) في اقل شيء ولو اجتمعوا عليه * (شيئا) من الاغناء * (الا من بعد ان ياذن الله) في الشاعة * (لمن يشاء) من الملائكة او الناس ان يشفع * (ويرضى) يراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبادها فذلك رد على قريش وانما الشفاعة للمسلمين في المسلمين * (ان الذين لا يومنون بالاخرة) وهم المشركون انكروا البعث * (ليسمون الملايكة تسمية الانثى) يقولون بنات الله والانثى الجنس واختاره عن الاناث المفاصلة او باعتبار كل ملك فانهم سموا كل ملك بالانثى يقولون كل واحد بنت * (وما لهم به من علم) اى بما يقولون وقيل الضمير لله وذلك انهم اشركوا به وجعلوا له بنات وقبل ما ايقنوا ان الملايكه اناث وانهم بناته تعالى وقراء ابي بها اي بالملايكة او بالتسمية * (ان يتبعون الا الظن) في تسمية الملايكة اناثا * (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) اي انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وانما العبرة بالظن في العمليات لا في الاعتقاديات وقيل لا يغني الظن عن الحق الذي هو العلم وقيل الحق الله * (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) اي القران وقيل الايمان نسخت باية السيف وتقول يصح ان يراد بالاعراض ان انذارك لا يفيدهم فكف فقد بلغت فلا نسخ * (ولم يرد الا الحياة الدنيا) فهي منتهى همته فلا يزيده الانذار الا عناد اولا يريدون الاخرة فيعملوا لها * (ذلك) اى امر الدنيا وكونه شهوة واختيار على الاخرة وقولهم قولهم الملائكة بنات الله

يشفعون لهم * (مبالغهم من العلم) نهاية علمهم وقيل رايهم ومبلغ اسم مكان والجملة قيل معترضة بين اعرض وتعليله الذي هو قوله (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) فيجازي الضال والمهتدي ولست تعلمهم انت فلا تتعب نفسك في دعوتهم بعد ما دعوت وبلغت وهذا وعيدلهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم* (ولله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا ويهدي من يشاء ويضل من يشاء فهو لكمال قدرته وسعة ملكه يجازي كلا بما عمل كما قال * (ليجزي) متعلق باعلم او بمحذوف اي خلق الخلق للجزاء او ميز الضال والمهتدي وحفظ احوالهم للجزاء وقري بالنون * (الذين اساءوا) اشركوا وهم المراد بمن ضل او المراد اصحاب الكبائر مطلقا * (بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء وبمثله او بسبب ما عملوا* (ويجزي) بالياء والنون * (الذين احسنوا امنوا وعملوا (بالحسنى الجنة او ما حسن من اعمالهم وبسبب الاعمال الحسني (الذين) نعت الذين او بدل او بيان او خبر لمحذوف اي الممدحون او مفعول اي امدح*(يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم علي ارادة الجنس فهي كقراءة الجمهور في المعني وقيل على ارادة الشرك والكلام على الكبيرة في سورة النساء والاثم قيل الكبائر فالاضافة للبيان والحق انه الذنب مطلقا والفاحشة ما عظم قبحه من الكبائر واللمم الصغائر وليست معلومة عند جمهور اصحابنا لئلا يجترا عليها لانها تغفر باجتناب الكبيرة وعد بعضهم منها كشف العورة ليلا وكشفها نهارا حيث لا تري والدخول بغير اذن والتبسم غير المباح والهم بالمعصية ونيتها وقيد بعضهم التعري ليلا بحيث لا احد قيل وقول اف قال ابن محبوب والغمزة والهمزة والنظرة قال

والقبلة

والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزناء من مقدماته والحق انها كبيرة والعل المراد النظرة الاولي قال بعضهم والدفعة لا بعنف والركدة والكذبة علي غير الله ورسوله حيث لا ضر بها علي احد والرضى بالمعصية والامر بها ما لم تفعل قيل واخذ حبة او حطبة او خلال او نباتة من مال الغير ولبس ثوبه وركوب دابته واستعمال خادمة يسيرا او معارفي غير ما استعيرله ووطي حرثه وقعوده علي سريره او حصيره وكتابة من ادواته او بقلمه او في قطعة قرطاس له وسقي بدلوه وزجر علي دابته وشرب من اناءه وقال ابن محبوب الصغيرة كلما قام بالقلب من ذكر المعصية والهم بها ونيتها وما دان بالتوبة منه ولا ظلم فيه قيل واللطمة ان لم توجب تلف مال او نفس او دم وعن المحلى سرقه الشئ القليل صغيرة قال الحليمى الا اذا كان المسروق منه مسكينا لا غني به عن ذلك فكبيرة وقال ايضا قذف الصغيرة والمملوكة والحرة المتهتكة كبيرة قال ابن عبد السلام قذف المحصن في خلوة بحيث لا يسمع احد الا الله والحفظة صغيرة قال قوميا وشرب مالا يسكر لقلته من الخمر صغيرة وقال بعض اصحابنا لا صغيرة ولو حمل القول بعدم علمها على هذا القول لصح لان السالبة عند المناطقة تصدق بنفي الموضوع والاستثناء منقطع وقيل الاستثناء متصل واللمم من الكبائر والفواحش اي الا ان يلم بالفاحشة ويتوب وعليه ابو هريرة والحسن ومجاهد وعن ابي صالح قلت لابن عباس هي ان يلم بالذنب ولا يعود اليه فقال اعانك عليها ملك كريم اي وان عاد وتاب غفرله وكان صلي الله عليه وسلم يتمثل بقوله *

* ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبدلك لا الما *

وقيل اللمم ما فعلوا في الجاهلية قال زيد بن ثابت و زيد بن اسلم كان المشركون يقولون للمؤمنين انكم بالامس تعملون معنا فنزلت وروي

عنه صلي الله عليه وسلم كتب على ابن ادم خطة من الزناء فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وزنا الاذنان السمع وزنا اليد لمس وزنا الرجل الخطا فقالوا ان ذلك صغائر قال والفرج يكذب ويصدق وقال الكلبي الصغيرة كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا والاصرار على الغصيرة كبيرة * (ان ربك واسع المغفرة) لمن تاب من الكبائر والفواحش ويغفر الصغيرة باجتناب الكبائر وقال هذا ليئس صاحب الكبيرة والله لايخلف وعيده * (هو اعلم بكم) باحوالكم منكم وذلك انهم عالمون باحوال انفسهم بل ببعضها بعد خلقهم وتمكنهم من العلم والله اعلم منهم وقت الانشاء كما قال * (اذ انشأكم) تقول زيد اعلم في كل وقت منك حال تمكنك من العلم والله عالم في كل وقت ويجوز كون اذ تعليلية وقيل عالم بمعني عالم والمعني اذ خلق اباءكم (من الارض) فانتم مخلوقون من الارض بواسطة خلق ابيكم منها او بقوى الظرفية قوله (واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم) جمع جنين وهو الغصير في البطن سمي لاستتاره فهو عالم بكم حين ابتدء خلقكم وحين تصوير كم في الارحام وان جعلنا اذا لاولى تعليلية فهذه مفعول لمحذوف اى واذكروا وقت استقراركم في الارحام قبل ويجوز ان يريد ما انشأكم من الارض انشاء غذاءكم منها * (فلا تزكوا انفسكم) لاتمدحوا انفسكم بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي ولوعند انفسكم * (هو) لاغيره اي الله * (اعلم بمن اتقي) قبل ان يخلقكم وبعده فاتقي بمعني يتقي او المراد المضى اخبارا بالعلم وقت التقي نزلت في ناس يعملون اعمال حسنه ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وقيل لاتقولوا انا خير منك فان الله هو العالم بالخاتمه والتقاء الطاعة والاخلاص وترك المعاصي وفي الحديث لايقولن احدكم

اني قايم رمضان كله والله اعلم اقال ذلك خوف التزكية ام لانه لابد من رقاد وغفلة وقال رجل لاصحاب ابن مسعود لقد قرات البارحة كذا وكذا سورة فذكروه لابن مسعود فقال اخبروه ان حظه من ذلك الذي تكلم به قال الشيخ هود رضى الله عنه عن بعض كانت اليهود تقدم اولادها فيصلون بهم يقولون لاذنوب لهم فنزل الم تر الى الذين يزكون انفسهم وعن ثابت بن الحارث الانصاري كانت اليهود تقول لاولادها صديق فقال صلى الله عليه وسلم كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله الا وهو شقي اوسعيد فنزل هو اعلم بكم الخ * وقال الكلبي لايزك بعض الناس بعضا وهذا في التزكية لغير الله اما تزكية الامام والقدوة مثل احد ليوتم به اوليتهم الناس بالخير فجايز وليس من مدح النفس ذكر العمل سرورا به لارياء وعجبا لان السرور بالطاعه طاعة وليس منه ذكر العمل ليتبع فيه واعرف الناس بربه اشدهم ايقاعا بنفسه واعرفهم بها واشدهم تهمة لها واجهلهم من زكاها واحسن بها ظنه لانها مقبلة على عاجل حظوظها معرضة عن الاستعداد لاخرتها واصل كل معصية الرضى عنها واصل كل طاعة عدم الرضي عنها وكان عثمان بن عفان كثير الصدقة فقال له اخوه من الرضاع عبد الله بن سعد بن ابى سرح يوشك ان لايبقي لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا اطلب بالصدقة العفو عنها فقال عبد الله اعطني ناقتك برحالها واتحمل ذنوبك كلها وقيل من يومك الى يوم تموت فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء اوعن بعضه فنزل * (افرايت الذي تولى) ادبر عن الصدقة واعانة المجاهدين يوم احد فعاد عثمان الى احسن ماكان واجمل * (واعطي) للناس * (قليلا) وهو ماكان قبل ذلك * (واكدي) قطع الاعطاء كقولك

اكدي الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فيترك الحفر كما يقال اجبل الحافر اذا صادف جبلا في الحفر ثم استعير لافحام الشاعر فقيل اجبل الشاعر اي لم يستطع الشعر وعن الثعلبي اصله من الكدية وهو حجر في البير يويس من الماء وقال مجاهد وابن زيد وغيرهما وعليه الاكثر نزلت في الوليد بن المغيره المخزومي كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم وقيل سمع قراءة النبي صلي الله عليه وسلم ووعظه فقرب من الاسلام وطمع صلى الله عليه وسلم في اسلامه وعاتبه رجل من المشركين انك تركت دين آبائك والاشياخ وضلالتهم فقال انى خشيت عذاب الله فقال له ارجع الى دينك واتحمل لك بكل ماتخاف في الاخرة لكن علي ان تعطيني كذا وكذا من المال فرجع واعطاه بعض ما وعده وهو القليل وامسك عن البقية فالتولى رجوعه الي الشرك وقال السدي نزلت في العاصي بن وائل السهمي كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقبل في ابي جهل قال والله ما ياءمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق * (اعنده علم الغيب فهو يرى) بعلم ما غاب وان صاحبه يتحمل عنه ذنوبه حقا والجملة قبل مفعول ثان لرايت بمعنى اخبرني * (ام) بل * (لم ينبا) يخبر * (بما في صحف) قال الزمخشري وقري باسكان الحاء * (موسى) اى اسفار التوراة او كتبه كلها * (وابراهيم) اي وصحف ابراهيم وقدم صحف موسي وهي التوراة لانها اشهر عندهم او المراد بالصحف صحفهما وقدم موسى لذلك وايضا اخر ابراهيم لكمال الفاصلة بقوله * (الذي وفى) بالتشديد للمبالغة في الوفاء اوالمعنى وفر وتمم وكمل وقري مخففا وحذف المفعول للتعميم فانه شديد الوفاء في كل ما عاهد الله به وعمل بالنافلة بلغ النبوة وصبر على ذبح

الولد

الولد ونار نمرود وقام بالضيف وخدمته وكما يمشى فرسخا يطلب ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وذلك كل يوم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا ولما قذف في النار قال له جبريل قيل وميكائيل الك حاجة فقال لهما اما اليكما فلا وقال ابن عباس وفي عشر الخصال التى في الجسد خمس في الراس وخمس في سائر الجسد وقيل وفي بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وقيل وفي بركعتين قبل الفجر وفي الحديث وفي عمله باربع ركعات اول النهار وهي صلاة الضحى وفي الحديث الرباني يا ابن ادم اركع لي اربع كعات اول النهار اكفك اخره وفي رواية يا ابن ادم اتعجز ان تصلى لى اربع ركعات من اول نهارك اكفيك اخره وقيل وفي بذبح ولده اي قام به ورضي وقيل بالمناسك وقيل كان بينه وبين نوح يوخذ الرجل بجريرة غيره يقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده والسيد بعبده اول من خالفهم ابراهيم وقيل وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبه التائبون العابدون الخ وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشره في المومنين قد افلح المومنون الخ وروى الا اخبركم لما سمي الله خليله الذى وفي كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى حين تظهرون * (ان لا تزر) مخففة واسمها ضمير الشان محذوفا وهي مصدرية والمحل جر بدل مما او الرفع على انه خبر لمحذوف اي هو ان لا تزر جواب لسوال محذوف او نصب مفعول لمحذوف * (وازرة وزر اخرى) اي لا تاخذ مذنبة بذنب اخري وينسب اليها اولا تحمل ذنب اخري فكيف يحمل عن عثمان اخوه ذنوبه او يحمل الرجل ذنوب الوليد وكيف يوخذ احد بذنب قريبه فيقتل الرجل بابيه واما ما ورد من انه من سن سنة قبيحة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القامه فمعناه وزر كوزر من عمل

بها لانه السبب * (وان) مخففة * (ليس للانسان الا ما سعى)
اى عمل وهذا مما في صحف موسى وابراهيم ونسخ بدليل الحقنا بهم ذرياتهم
فدخلوا الجنة بصلاح الاباء وان امراة مات فقال ابنها اينفعها يارسول
الله ان تصدقت عليها قال نعم وفي رواية ان امي افلتت ولو تكلمت لتصدقت
فهل لها اجر ان تصدقت عليها قال نعم وروى ان الله يجعل الابناء في
ميزان الاباء ويشفع الابن في الاب والاب في الابن قال الله اباءكم وابناءكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا وورد في الاحاديث ان الصدقة والحج
والدعاء والقراءة تنفع الميت وادعى بعضهم الاجماع على نفع الصدقة
والدعاء وقضاء الدين وتنفع حجة الفرض وكذا حج النافلة عند الشافعي
والصحيح نفع الصوم الواجب عليه وفي الباب الخامس والعشرين من الوصايا
من التاج انه لا خلاف في ان الصدقة على الميت تنفعه والصدقة عن الحي
تنفعه واختلف في عمل الحي عن الميت كصيام وصلاة وطواف فقال الاكثر
لا يجوز عنه ولا عن ميت وكان عطاء يقول لابنه ولمولاه قم فطف عني وقيل
ان قراءة القرآن تنفع الميت الى اربعين من جيرانه انتهى والمشهور عن
الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه تصله
وهو قول احمد واما الصلوات وسائر التطوع فلا يصله عند الشافعي
والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع واما ما روي ان امراة رفعت
صبيا فقالت يارسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر فلا دليل فيه لان
المراد ان لها اجر قيامها به في الحج وقيل ان الاية مخصوصة بالكفر واما المومن
فله ما سعى غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول
وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره فالمراد بالانسان
الكافر ليس له الا ما عمل فيثاب عليه في الدنيا بالرزق والصحة وغيرهما

واعطى

واعطي عبد الله بن ابي بن سلول العباس قميصا البسه اياه فلما مات
ارسل اليه صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم تبق له في الاخرة
حسنة وقيل ليس للانسان الا ما سعي على جهة العدل اما من باب
الفضل فيزيده الله وفي الحديث من مات وعليه صوم صام
عنه وليه وقال للذي حج عن غيره حج لنفسك ثم حج عن غيرك وقال
يدخل الله الجنة الموصي والنافذ والحاج وقد اعتكفت عائشة عن اخيها
عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت
افا تصدق عنها قال نعم قال اي الصدقة افضل قال سقي الماء وجعلت
جدة عمة عبد الله بن ابي بكر على نفسها المشي الى مسجد قبا وماتت فافتى
ابن عباس ابنها ان يمشي عنها وقيل الانسان ابو جهل وقيل عقبة بن ابي
معيط وقيل الوليد بن المغيرة وقيل اخبار عن شرع من قبلنا ابراهيم وموسى
ودل شرعنا ان للانسان ما سعى وما سعي له وقيل الانسان بسعيه في
الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم
فصار ثواب منهم له بعد موته من سعيه وقيل الانسان في الاية
الحي دون الميت وقال الزمخشري اما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا
على سعي نفسه وهو ان يكون مومنا مصدقا وكذلك الاضعاف الوارد
في الحديث ان الصدقة والحج عن الميت او للحي الاضعاف كان سعي
غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه واما ان سعى غيره لا
ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنائب
والوكيل القائم مقامه قيل والصحيح وعليه الجمهور ان الاية عامة مخصوصة
بما تقدم من الاجوبة وشهر عن مالك ان ثواب القراءة لا يصل الميت
ونقل عن جماعة من الحنفية وعن احمد القراءة على القبر بدعة وصح ابن

قطان وصول ثواب القراءة للميت قريبا او اجنبيا قال كما ينفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالاجماع وقال القاضي حسين الاستيجار لقراءة القرءان على راس القبر اى عنده جائز كالاستيجار للاذان وتعليم القرءان وعندنا معشر الاباضية لا يجوز اخذ الاجرة على ذلك ولا ينبغي لمعطيها الان لم يجد احياء ذلك الا بها وقيل لا ثواب للمستاجر اومبتيه وقيل لمبتيه ثواب ان اعقب القراءة بالدعاء للميت فانه يلحقه ثواب الدعاء فقط لان الدعاء بعد القراءة اقرب اجابة واكثر بركة وقيل للميت ثواب القراءة ان جعله القاري له بعد القراءة ونفع الميت بالدعاء موقف على الاجابة واطلق القوم اجابة الدعاء للميت لسعة الرحمة وعن الرافعي والنووي يستوى في الصدقة والدعاء الوارث والاجنبي ولا ينقص من اجر المتصدق والداعي وغيرهما شي واوصاه لغيره ومن ذلك تو قيف المصحف وغيره والتضحية لغيره وقيل لا تجوز التضحية عن الغير الا باذنه فلا يضحي عن الميت الا ان اوصي وروي ان عليا اوغيره من الصحابة ضحى عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وضحى بن السراج عنه صلى الله عليه وسلم سبعين اضحية واما اهداء القراءة له فانكره جماعة لان الصحابة لم يفعله احدهم وهو بدعة واستحبه بعضهم وعن بعض انه غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل من امته من غير ان ينقص من اجره شيء وكذا الشيخ له مثل اجر تلميذه وتلميذ تلميذه وهكذا وكذا كل من علم احدا شيئا له اجر الشيء * (وان سعيه سوف يرى) اي سوف يرى المومن عمله فيفرح والكافر عمله فيحزن فهذه بشارة ووعيد وقيل يراه في ميزانه والميزان كناية عن التمييز وكذلك يبصر الناس عمل العامل * (ثم يجزاه

الجزاء

الجزاء الاوفى) الاكمل ونايب يجزي ضمير الانسان وهو المفعول الاول والهاء ضمير السعي مفعول ثان والجزاء بعدها * (وان الى ربك المنتهى) اي الانتهاء فهو مصدر مبني لاينتهى الخلق الا اليه فيجازيهم وذلك مما في صحف موسى وابراهيم وقري بالكسر على الابتداء وكذا مابعده فليس اخبار بما في الصحف والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تحزن فان الانتهاء اليه فهذه تسلية وقيل ابتداء المنة واليه انتهاء الامال وفي الحديث ان معناه لا فكرة في ربك وينتهي في وجوده ووحدانيته فلا يحيط به الفكر او الخطاب لكل عاقل فيزداد المحسن ويكف المسيء وحق لعبد يعلم انه منته الى ربه ان يرفض هواه ويزهد في دنياه ويقبل الى مولاه ويقتدي بنبي فضله الله على غيره وارتضاه ويتامل كيف كان زهده في دنياه واقباله على مولاه وحسبك في اعراضه عنها انه مات ودرعه مرهونة عند يهودي وكان يقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وقالت عائشة ماشبع ثلاثة ايام تباعا حتى مضى لسبيله وروى عنها ما امتلاء جوفه قط ولم يبث شكوى لاحد والفاقة احب اليه من الغني وان كان ليضل جايعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه من صيام يومه ولو سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي علي بطنه لما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا قوتا فيقول عايائشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد فاجزل الله ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما قام الا شهرا فتوفي صلى الله عليه وسلم وعلى الفتح فالخطاب لابراهيم في صحفه ولموسى في صحفه او لكل عاقل او للنبي بالمعنى فانه اذا قال في الصحف ان منتهى الخلق الى

بينهم فكانه قال منتهاك يامحمد الى ربك * (وانه هو اضحك) من شاء اضحاكه اي افراحه (وابكى) من شاء ابكاه اي احزانه وهو خالق الضحك والبكاء والفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وعن جابر بن سمرة جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة ويتناشد اصحابه الشعر واشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل وعن انس خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحابه وجوههم لهم خنين بالخاء المعجمة اي بكاء يخرج معه صوت من الانف وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك اهل الجنة فيها وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصى بالسخط وقيل اضحك قلوب اوليائه بنور معرفته وابكى قلوب اعدائه بظلمات سخطه وقيل قدر على ايجاد الضدين في محل واحد وفيه اشارة الى ان كل ما عمل الانسان فبقضائه وقدره حتى الضحك والبكاء * (وانه هو امات واحيا) امات الخلق واحياهم للبعث ولا يقدر على ذلك سواه والقاتل انما ينقض البنية والموت يحصل عنده وهو خالق الموت والحياة وهو لميت لا القاتل وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل امات قلوب الاعداء بالظلم والكفر واحيا قلوب الاولياء بالايمان وانوار المعرفة ويجوز ان يراد بالاحياء احياء الدنيا * (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) من كل حيوان وهو ضدان تواردا على نطفة يخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى ولا يصل الى ذلك فهم وهو بقدرة

لا بطبيعة * (من نطفة اذا تمنى) اي تدفق في الرحم او يخلق الولد منها او يقدر منها من مني اذا قدر وعليه الاخفش او تقطع من الجسد وقد ثبت في الآية حذف جواب اذا وشرطها مضارع ووقوع شرطها مضارعا * (وان عليه النشأة) اى الحياة يحيي الخلق اياها او بمعنى الاحياء والانشاء من نشاء المتعدي وقرا ابن كثير وابو عمر والنشاءة بالمد * (الاخرى) وهي البعث ولفظ على لانه لابد منها وفاء بالوعد لا الوجوب شيء عليه * (وانه هو اغنى) الناس بالكفاية بالاموال كلهم وقيل الاغنياء * (واقنى) اعطى القنية واكسبها قنيت المال اى كسبته وهي المال المتخذ اصلا لشرفه ويعز على ان لا يخرج من اليد وهو بعد الكفاية وافرده بعد العموم لشرفه وقيل اغنى بالذهب والفضة والمساكن وصنوف المال وما يدخر بعد الكفاية واقنى بالابل والبقر والغنم والعبيد وقال الحسن اقنى اخدم وقال ابن عباس معنى اغنى واقنى اعطى فارضى وقيل عنه اقنى اقنع وقيل اغنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا واقنى زاد في الغنا وعن رجل يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من طعامه قال اللهم لك الحمد على ما انعمت واطعمت وسقيت او قال انت اطعمت وسقيت واغنيت واقنيت فلك الحمد * (وانه هو رب الشعرى) يعنى الشعرى العبور وهي يمانية اشد ضوءا من الشعرى الغميصا وهي شامية سميت الغميصا لقلة ضوءها ووصفت بالعبور من صفات المبالغة لانها تقطع السماء وتعبرها طولا والنجوم عرضا ولهذا عبدها ابو كبشة وهو جد امه امنة بنت وهب وقيل جد عبد المطلب لامه وهي مخالفة للكواكب في القطع وابو كبشة مخالف للعرب في عبادتها وهم يعبدون الاوثان كما خالف

رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بعبادة الله ولذلك سمي ابن ابي كبشة وقيل كبشة اخوه من الرضاع وتبعت خزاعة اباكبشة وهو اشرفهم في عبادة الشري العبور وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمي كلب الجبار والجبار هو الجوزاء وخصت بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم وان وافق اباكبشة في مخالفتهم خالفه في عباتها الى عبادة خالقها (وانه اهلك عادن الاولى) النعت لبيان الواقع اي القدماء وهم اول الخلق هلاكا غير قوم نوح او المقدمون في الدنيا شرفا وقيل هم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا خرى وقيل الاخرى ارم وقال الطبري سميت الاولى لان ثم عادا اخرى كانت بمكة مع العمالقة وهم بنو القيس بن هزال والاول للجمهور واللام مضمومة نقلا من الهمزة بعدها مشددة ادغاما للتنوين فيها وذلك قراءة نافع وابي عمرو وقري بالنقل بلا تشديد وبعدم النقل واذا لم تشدد فبعض كسر التنوين وبعض سكنه واثبت همزة ال واثبت قالون الهمزة مكان الواو ساكنة * (وثمودا) باعتبار الجمع والاب وقراءاصم وحمزة بغير تنوين باعتبار القبيلة فيقفان بالاسكان وهم قوم صالح وذلك عطف على عادا لامفعول لابقي لصدارة فاء العطف وما النافية قاله القاضي وابن هشام (فما ابقى) قاله القاضي وقيل فما ابقى منهم احدا (وقوم نوح) بالغرق عطف على ثمودا وعادا (من قبل) قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم اظلم واطغى) من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم لبث الف سنة الاخمسين عاما وهم يوذونه ويضربونه مكذبين له وكثيرا ما اسكروه بالضرب حتي لا يتحرك قال ابن عباس يضربونه ويلقونه في لبد ويلقى في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم وقيل يضربونه ويلقونه في المزبلة كالميت وجاءه يوما رجل يتوكأ على عصى فقال يابني انظر الى هذا الشيخ ابالك ان يغرك فقال يا ابت

مكنني

مكنني من العصا فاعطاه اياها ثم قال ضعني في الارض فوضعه ومشي اليه بالعصا فضربه ضربا شديدا فقال نوح الهي قد ترى مايفعل بي عبادك فان تكن لك في عبادك حاجة فاهدهم وان يكن غير ذلك فصبرني الى ان تحكم بيننا وانت خير الحاكمين فاوحي اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فكف واخبره انه لم يبق في صلب رجل ولا رحم انثي مومن فدعا ربه انهم عصوني الخ وهم اول قوم كذبوا في الارض نبيهم ويحذرون صبيانهم ان يسمعوه * (والمؤتفكة) مفعول لاهوي اي والقري المؤتفكة باهلها اي المنقلبة بهم قلعت عند بعض من سبع ارضين وهي قرى قوم لوط وقري والمؤتفكات بالجمع بالف وتاء والنصب بالكسر * (اهوي) امر حبريل باهوائها اي باسقاطها من علو بعد رفعها الي اسفل رفعها بجناحه حتي سمع اهل سماء الدنيا صوت الكلاب والدجاج والصبيان (فغشاها ما غشى) اي البسها الله ما البسها وغطاها به وابهم تفخيما وتهويلا وفي هود فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل فهو حجارة منضودة مسومة وقيل رمي بها اهل السفر ومن كان خارج القرية ويجوز ان يكون التشديد للمبالغة فتكون ما فاعلا * (فباي) متعلق بتتمارى واداة الاستفهام لها الصدر * (الاء) نعم * (ربك) الدالة على وحدانيته وقدرته وقيل المراد بالآلاء مايشمل النقم من حيث ان النقم عبر ومواعظ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد وقيل لكل كافر وقيل للوليد بن المغيرة (تتمارى) اي تشك وقال ابن عباس تكذب قال مالك الغفاري ان قوله ان لا تزر الى تتماري في صحف موسى وابراهيم * (هذا) النبي عند قتادة وغيره وقيل القرآن واختار بعضهم الاول * (نذير من النذر) النذير وصف واجاز بعضهم كونه مصدرا وهو صحيح فان ارسال النبي او القرآن

انذار والنذر جمع نذير * (الاولى) انث لتاويل الجماعة ويجوز كون الاشارة الي الانذار اي انذار من جنس الانذارات الاولى وكذا القران من جنس الكتب قبله والنبي من جنس الرسل قبله وقيل انذر محمد كما انذر ارسل قبله * (ازفت) اي قربت * (الازفة) اي القريبة وهي القيامة او الساعة التي توصف بالازوف * (ليس لها من دون الله كاشفة) اي ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متي تقوم وقيل حال كاشفة وقيل ليس لها نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت لكن الله يقدر غيرانه لايكشفها وقيل كاشفة بالتاخير وقيل كاشفة لاهوالها وقيل كاشفة مصدر بمعني الكشف كالمرقبة وقراطلحة ليس لها ما تدعون من دون الله كاشفة وزاد وهي علي الظالمين بئست الكاشية * (افمن هذا الحديث) اي القران (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء * (ولا تبكون) خشوعا من وعظه ووعيده ووعده والخشوع عليكم حق ولم يرصلي الله عليه وسلم ضاحكا بعد نزول ذلك وقال ان هذا القران نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال لايلج النار من بكي من خشية الله حتي يعود اللبن في الضرع ولايجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخر ابدا ويروي في جوف ولا يجتمع الشح والايمان في قلب ابدا وقال عينان لا تمسها النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله وقال اياكم وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه وقال صلي الله عليه وسلم من يأخذ عني كلمات يعمل بهن ويعلمهن من يعمل بهن فقال ابوهريرة انا يارسول فاخذ بيده فعد خمسا اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغني الناس واحسن الى جارك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك

فان

فان كثرته تميت القلب وقري باسقاط واو العطف اما لجواز حذفها سعة واما لان ما بعدها بدل اشتمال * (وانتم سامدون) قال ابن عباس لاهون لاعبون غافلون عما يطلب منكم وعنه السمود الغناء بلغة اليمن كانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا قال بعضهم لجارية اسمدي لنا اي تغني واصله من سمد البعير اذا رفع راسه وجد في السير وقيل متكبرون اشرون بطرون شامخون وقال مجاهد غضاب معرضون * (فاسجدوا لله واعبدوا) اى اسجدوا ايها المؤمنون شكرا علي الهداية وقيل سجود التلاوة وقيل سجود الفرض واعبدوا الله وحذف لفظ الجلاله للعلم بها ولاختصاص العبادة به وقيل الخطاب لكل الناس وهو خاتمكم ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها وقرا صلي الله عليه وسلم السورة فسجد هو ومن معه الا شيخا قرشيا اخذ كفا من حصباء او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال ابن مسعود لقد رايته قتل كافرا وهو امية بن خلف وهذه اول سورة نزلت فيها السجدة وقال زيد بن ثابت قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها وهو دليل على انه لاسجود فيها واستدل الشافعي به علي ان سجود التلاوة غير واجب واثبت السجدة هنا وعن عمر ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء ولا صحيح عدم الوجوب وانه سنة وهو مذهب الجمهور ولا سجدة عندنا هنا وكان مالك يسجدها في خاصة نفسه وقول ابي سفيان واصحاب الرأي وجوب سجود التلاوة وفي الحديث مثل الصلوات الخمس كمثل رجل علي بابه نهر جار عذب ينغمس فيه كل يوم خمس مرات فماذا يبقى من درنه اللهم بحق نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وحق هذه السورة علينا اخر النصارى واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة اقتربت

ويقال سورة افتربت الساعة وتسمى سورة القمر واخرج البيهقي عن ابن عباس انها تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه وقال انه منكر وهي مكية كلها عند الجمهور وقال بعض سيهزم الجمع الاية مدينة وقال بعض ان المتقين الآيتين مدني والصحيح قول الجمهور وقيل ان سيهزم الاية تاخر حكمه عن نزوله نزل بمكة سيهزم الاية فقال عمر بن الخطاب اي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم مصلتا سيفه يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر وآيها خمس وخمسون وكلمها ثلاثمائة واثنتان واربعون وحروفها الف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا وفي الحديث من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر اي يقرءها يوما ويتركها يوما قالوا من كتبها وقت صلاة الجمعة وعلقها تحت عمامته كان عند الناس وجيها وسهلت عليه الامور الصعاب *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) يوم القيامة وامرها مجهول التحديد وكلما يروي في عمر الدنيا من التحديد ضعيف وفي الحديث انما مثلي ومثل الساعة كهاتين لاصبعه الوسطى والسبابة وقال بعثت حين بعث الى صاحب الصور فاهواه الى فيه فقدم رجلا واخر اخرى بنتظر متى يومر

فينفخ

فينفخ الافا تقول النفخة وقال كيف انعم اي اتلذذ وصاحب الصور قد احنى جبهته واصغى سمعه ينتظر الاذن قال السيوطي دلت الاحاديث والاثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة اصلا وانما تزيد نحو اربعمائة سنة تقريبا وانشق القمر عطف لاحق على سابق وقيل سابق علي لاحق وعن ابن مسعود انشق القمر شقين حتى رايت ابا قبيس بينهما يعني جزءين وعنه رايت حراء بين فلقي القمر وعنه فلقة فوق الجبل وفلقة دونه ونحن معه صلى الله عليه وسلم بمنى وقال اشهدوا وعن ابن عمر فلقة ستر هما الجبل وفلقة فوقه وعن ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وانظر هل ذهابها زوالها او انتقالها ثم التامت مع الاخرى هذا هو المشهور وعن انس ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فانشق القمر مرتين ظاهر الكشاف انه اراد بمرتين فلقتين ورواية البخاري فاراهم انشقاق القمر مرتين وكذا مسلم تدل على تعدد الانشقاق وهو ظاهر الاول فقال سائلوه وهم قريش من اهل مكة سحر محمد اعيننا فقال بعضهم ما يقدران يسحر الناس كلهم فكانوا يتلقون الركبان فيجزونهم بالانشقاق فيكذبونهم وهذا الانشقاق حق الاحاديث السابقة ولظاهر القران وانكره ناس وزعموا انه سينشق يوم القيامة وان الماضي بمعني المضارع ويرده الاحاديث وان الاصل كون الماضي للمضي لا للاستقبال الا بقرينة ولا قرينة بل قوله * (وان يروا اية يعرضوا) عن تاملها والايمان بها وهي الانشقاق دليل على الانشقاق في عصره كانه قال من عادتها الاعراض عن المعجزات وكل اية رؤوها يعرضون عنها وقد اعرضوا عن الانشقاق ويعرض للاستمرار لا للاستقبال اوحده والانشقاق معجزة دالة على صدقه ويدل له قراءة

حذيفة وقد انشق القمر اى اقتربت وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق
القمر يقال اقبل الامير وقد جاء البشير يقدومه وقوله خاطبا بمدين
الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم ومع
هذا الانكار للعقل فيه كما ينبيه الله ويكوره في اخر امره وقول المانعين
انه لو صح لاشترك اهل الارض برويته مردود لان من نظر الى
السماء حينئذ رآه ومن غفل او نام او استتر لم يره وكم من اية في الليل
لا يراها الا الناظر الى السماء وانما يراه من تاهب لرؤيته من السائلين
ومن وافقوا وكم من مواضع لم يظهر فيه القمر وقتئذ لستر الجبل اياه كما يري
الكسوف قوم دون قوم وانشق وهو باق في علوه وان صح نزوله
وطوافه بالبيت ودخوله وخروجه ومن كمه صلي الله عليه وسلم فالله
قادر علي تصغير الجثة العظيمة وتكبير الصغيرة ولما لم يوءمنوا وقد ترادفت
المعجزات انزل الله وان يروا اية يعرضوا (ويقولوا) هي (سحر مستمر)
مطرد دايم وقيل قوي محكم يقال امر رته فاستمر اي احكمته فاستحكم
فهو بعلو كل سحر وقيل مستبشع اي اشتدت مرارته علينا لاتقدر على
قبوله وقيل مار ذاهب لا يبقي ويبطل وذاك تمنية وتعلل والاخري
قول قتادة وقري وان يروا بضم الياء بناء للمفعول من ارى الرباعي
(وكذبوا) النبي والقران (واتبعوا اهواءهم) مازين لهم الشطان
وقيل قولهم سحر القمر قال القاضي ذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهم
من عادتهم القديمة ينكرون العيان وروى انه لما نزل وانذر عشيرتك
الاقربين جمع اهله وعشيرته وقام فيهم خطيبا وقال يامعشر قريش
ان الله بعثني الي العرب والعجم والحر والعبد والابيض والاسود
وانزل علي انذر عشيرتك الاقربين فقام ابو جهل لعنه الله تعالى

وقال يا محمد وحق اللات والعزي والصنم الاعلي ان لم تقطع هذا الكلام
ليمين عليك شان فقام اليه الصديق رضي الله عنه وقال ياعدو الله
مالك ولمحمد اير لم يكف لسانك لاعجلن به فقام ابو جهل وجمع سادات
العرب واهل مكة وشيوخ الحرم ورءوس العرب وانطلقوا الى حبيب
بن مالك فاستاذنوا واذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه في قبة من الديباج
الاحمر منسوجة بقضبان الذهب والفضة وسلموا عليه وفرح بهم واجلسهم
وقال مرحبا بسادات العرب وشرفائهم فيم جئتم وماتريدون فقال
ابو جهل ياسيدنا وكبيرنا انك تعلم ما لنا عماد غيرك ولا احد سواك وان
بني هاشم اصحاب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاهد العظام ونحن عارفون
بحقهم وبقدرهم مقرون بفضلهم وقد ظهر فيهم غلام يتيم فزعم انه نبي ارسله
الله رب العالمين الى العرب والعجم ونحن قد اتيناك في امره قاصدين
وبك مستجيرين ونريد ان تسير معنا انت وقومك الى بطاح مكة تبعث
الى هذا الغلام وتفضحه على رءوس الملا فاذا قطعت حجته اخرجناه من
بلادنا وقتلنا كل من كان معه في دينه فاجابهم حبيب بن مالك لما سألوه
واقاموا عنده تلك الليلة واكرمهم ورحب بهم وكان حبيب بن مالك قد
بلغ عمره مائة واربعين سنة وقد تهود وتنصر وتمجس ولم يبق له دين الا
ودخل فيه ولا كتاب الا واطلعه ودرسه فلما طلع الفجر ركب حبيب بن
مالك وركب معه عشرون الفا من قومه فلما طلعت عليهم الشمس اشرفوا
على مكة وخرجت الهوادج والقباب والخيل والرجال وجاءت الناس
من كل جانب ولما انظر ابو بكر الى حبيب نزل بالبطاح وضربت له قبة
عظيمة من الديباج الاحمر وضرب له كرسي من ذهب فجلس عليه فدارت
عليه العرب اقبل مسرعا الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره ان

الناس تناهضوا من كل واد وشعاب فاطرق صلى الله عليه وسلم مغتما
فقالت له خديجة رضى الله عنها مالي اراك يارسول الله مهموما مغموما
وهذا مالى اعطيه لك في الاستطاعة واستدع العرب واطعم واخلع عليهم
وقاتل من قاتلك حتى يظهر امرك وقال له ابو بكر كذلك واذا بحاجب
حبيب قرع الباب قرعا خفيفا فخرج صلي الله عليه وسلم فقال ماشانك فجعل
الحاجب يقبل يديه ورجليه وقال له ياسيدي اجب دعوة حبيب فقال
حبا وكرامة اعلمه اني في اثرك فاعلمه فلبس ثيابا ما لبسها قط لبس قبطية
من قباطي مصر وتعمم بعمامة خضراء واسبل ذوائبه حتى وصلت خاصرته
وترد برداء عدني وطيبت خديجة راسه بالمسك والكافور فخرج وبكت
حتى بلت ثيابها وكادت يغشي عليها خوفا عليه ونزل جبريل قيل على
صورته بيده حربة غضب لها شعلتان شعلة بالمشرق واخرى بالمغرب
فناداه يامحمد السلام عليك ربك يقرئك السلام ويقول وعزتي وجلالي
ما ارسلت نبيا ولا امة افضل منك ولا اكرم منك ولا من امتك يامحمد انا
معك محيط وحارس وموكل وقد بعث اليك ثلاثون الف ملك فرفع
راسه فراءهم صفوفا بايديهم حراب من نار واوراءهم اهل الارض لما توا
فزعا يادونه السلام عليك يامحمد ياحبيب القلوب ويسيرون بسيره
ويقفون بوقوفه فرد عليهم السلام ولما وصل الي حبيب اجلسه على كرسيه
واتي بكرسي اخر وجلس ازاءه فشخصت الابصار وامتدت الاعناق وسكتوا
باهتين في وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال حبيب يا ابا القاسم ان لكل
نبي اية ومعجزة تدل على نبوته ورسالته نوح وكانت له السفينة كانت لسليمان
الطير والجن والخاتم وبها اطاعه كل شي ولا براهيم برد النار ولموسي
العصي تتحول ثعبانا ولعيسى ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتي فاءيت

بمعجزة تدل على نبوتك فقال اني معجزة ارت ياحبيب قال هذا وقت
الزوال سل ربك ان يرسل ظلمة حتى لا يري انسان صاحبه وتصعد
الى ابي قبيس وتنادي القمر وتامره ان يستدير كاملا من ناحية
المشرق ويقف على الكعبة ويطوف ويسجد فتناديه ان يصعد اليك
ويقول السلام عليك يامحمد انت رسول حقا ثم يدخل في كمك
الايمن ويخرج من الايسر وينشق نصفين فياخذ النصف الي المشرق
والنصف الي المغرب ويلتام في الهوي مستديرا كاملا كاول من وصفق
ابو جهل لعنه الله بيديه وقال ياحبيب واللات والعزي والصنم الاعلى
لقد كشفت الكروب وفرجت عنا فقال له صلي الله عليه وسلم اسكت
ياكلب قومه واهنه ياعدو الله وقال ياحبيب اغير هذا فقال ياابا القاسم
ان فعلت هذا ففيه عبرة للسائلين واية للمتفكرين ولكن اسال
ربك ان يعلمك بما في نفسي وما اريد ان اسالك عنه فاطرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه الى الارض ورفع راسه وقال ان
الله اوحي الي انك ساءلت عن بنتك سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع
ولا بصر ياحبيب انطلق اليها وكلها تكلمك فان ربي رد عليها سمعها
وبصرها ويديها ورجليها وهو القادر على ما يشاء فانطلق فوجدها
صحيحة فقال هذه اية ونزل خباء ئيل وناداه من الحرام وقال له يامحمد
ارفع راسك فان الله يقول وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني
لو سالتني على اطباق السموات علي الارض لفعلت ذلك تعظيما
لقدرك واعلم ان هذه المعجزات خلقتها لك قبل ادم باربعة الاف
سنة فاقدم على قومك وعشيرتك واوثقهم بالعهد والميثاق انهم
اذا راوا هذه المعجزة يقرون لك بالنبوة ولي بالربوبية وتنادي القمر

وتا من بما شئيت فانه يطيعك فوعزتي وجلالي يا محمد لولاك ما خلقت
شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ففرح وتلألأ وجهه نورا وقال جبرئيل
يا محمد لا تخف ولا تحزن فاني معك الى ان تقوم دلالتك وتظهر
للناس معجزتك فرقى اهوى ابوبكر وحمزة والزبير وطالب بن طالب
وعلي وهو ابن اثنتى عشر سنة وكان طالب يعدل بسرجه ابعة الاف
فارس والزبير لا يقوم به احد فقال ان اتيتكم بالمعجزة فهل تومنون
يا حبيب فقال اشهد ولى يا معشر العرب ان اتي بها لا يختلف عليه أحد
وتكن له الرفعة ولقومه الى يوم القيامة والا اخرجناه من بلادنا فرفع
راسه ونادي ربه ودعاه فاوحي الى ملك الظلمة ان يفتح مقدار سم
الخياط فاقبلت الظلمة متراكبه برا وبحرا وكادت نفوسهم تذهب فنادوا
حسبك قد رايبا فادع القمر فدعاربه ونادي القمر وطلع راكضا
ينظرون اليه ووقف بازاء الكعبة واشار اليه فنزل فطاف وسجد
ووقف بين يديه صلى الله عليه وسلم مرتعدا كالورقة قايلا فصيحا السلام
عليك يا محمد انت رسول الله حقا حقا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فدخل من كمه وخرج من
الاخر والناس باهتون فاشار اليه فانشق نصفين نصف المغرب واخر
للشرق وطلعا فاجتمعا في كبد السماء وقال مرني يا محمد بما شئت ودهشوا
فقال ابوجهل حار بكم سحر محمد فقال صلى الله عليه وسلم يا حبيب كيف
رايت قدرة الله ولما سمع وثب قايما قائلا يا معشر العرب ومن حضر
اعلموا ان محمدا رسول حقا مديدك لا كفر بعد اليوم اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال ابوجهل لعنه الله ايها السيد
اخذ سحر محمد سمعك وبصرك وقلبك وما ظننا ك هكذا فاسلم هو ومن

اشراف

اشراف قومه سبعون رجلا ومائة فنزل جبريل فقال السلام عليك
يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول اقرا فقال
وما اقرا قال اقرا اقتربت الساعة وانشق القمر الى شيء نكر ولما قرا
قبل يديه ورجليه حمزة والعباس وابوطالب وقد امتلات وجوههم
نورا وقال الناس وحق الكعبة ما راينا اعظم من هذا واقبل الى منزل
خديجة وقالت يا سيدي وحبيبي وقرة عيني قد رايت القمر حين انحط
وانت على الجبل وانا في عالية داري رايت منزلتك عند الله ولما خرج
من دارها الى حبيب نادتها فاطمة من بطنها حين اشتد خوفها يا اماه
لا تخشى على ابى سيد ولد ادم فان الله معه فلما اخبرته خديجة بذلك
تبسم وقال انها فاطمة اخبرني بها جبرائيل وهي لا تدري اذكر ما في
بطنها ولا انثى ففرح بنواهاشم فرحا شديدا كذا قال اهل القصص وقال
بعضهم ان طلوع القمر وانشقاقه ليلا بعد العشاء قبل وقت طلوعه
ومنكر الانشقاق جاهل لان الكفار لا يعرضون في الاخرة ولا يقولون
سحر مستمر فصح ان انشقاقه في الدنيا ولم ينشق لاحد غير نبينا صلى الله عليه
وسلم وهو من امهات معجزاته لا يكاد يعدلها شيء من معجزات الانبياء
عليهم السلام وذلك انه ظهرت في ملكوت السموات خارجة عن
طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليست مما يطمع فيه بالحيلة
وهي متواترة منصوص عليها في القرآن رواها جماعة كثيرة من التابعين
عن مثلهم من الصحابة اما انس وابن عباس فلم يحضراها لانها كانت
بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وابن عباس لما ولد وانس بالمدينة
ابن اربع او خمس وابن عباس رواها عن ابن مسعود وفي رواية عن
ابن عباس انشق فصار فرقتين وعن ابن مسعود انشق ونحن بمنى

وهذا لا ينافي الرواية عنه انشق ونحن بمكة لانه اراد لسنا في المدينة
وممن طلبها الوليد بن المغيرة وابوجهل والعاصي بن وائل والاسود
ابن المطلب والنضر بن الحارث ونظائرهم وقد انكرها جماعة من
المبتدعين كجمهور الفلاسفة متمسكين ان الاجرام العلوية لا يتهيا فيها
الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح ابواب السماء ليلة الاسراء ونحوه
والجواب انهم ان كانوا كفارا فلينا ظروا اولا على الاسلام فاذا اسلموا
اشتركوا معنا في الكلام فتصح بيننا المناظرة ومتى سلم
نسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض اعني الموجد المتاول ولا سبيل
الى انكار ماثبت في القران من الانخراق والالتيام في القيامة (وكل امر)
من امور محمد * (مستقر) غير مستمر اي غير ذاهب يظهر الى غاية انه
حق قاله بعض وقيل كل امر من خير او شر ثابت لاهله يجازى به او
مستقر باهله في الجنة او النار وقيل كل شي الى غاية وان امر محمد سيظهر
انه حق او باطل او ستظهر لهم عاقبته او كل امر منته في غاية من خذلان او
نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة فان الشيء اذا بلغ غايته ثبت
واستقر وقيل ما قدر كان ولا محالة وقري بجر مستقر نعتا لامر وكل على
هذا معطوف على الساعة لا مبتدا وقال ابن هشام مبتدا محذوف الخبر اي
موجودا وعند الله او واقع او هو حكمة بالغة وما بينهما اعتراض وقول بعضهم
الخبر مستقر وخفضه على الجوار حمل على ما لم يثبت في العربية وقرا
ابوجعفر بفتح القاف مصدر ميمي على حذف مضاف اي ذو استقرار او اسم
مفعول على الحذف والايصال اي استقر عليه او اسم مكان او زمان على
تقدير مضاف اى ذو موضع استقرار او زمانه * (ولقد جاءهم) في
القران * (من الانباء) اخبار القرون او اخبار الاخرة من نحو عذاب

الكفار والتلطف على المؤمنين او اخبار الكل فان القرون السالفة كذبوا
رسلهم فاهلكوا دنيا واخرى وكل من كذب رسوله فكذلك يفعل به
(مافيه مزدجر) مفتعل بفتح العين من الزجر مصدر ميمي ابدلت التاء
دالا لاجل الزاي وهو مطاوع الزجر اي انتهاء عن شركهم للوعيد والعذاب
المخبر به او اسم مكان اي هو في نفسه موضع ازدجار ومظنة له وقري مزجر
بقلب التاء زايا وادغام الزاي فيها * (حكمة بالغة) لغايتها اي تامة
بدل من ما او خبر لمحذوف اي هو والقران وقري بالنصب حال من ما
فانها معرفة ناقصة او نكرة موصوفة او حكمة بالرفع بدل من مزدجر
(فما) نافية او استفهامية انكارية معمول لتغني * (تغن) بحذف الياء
من الخط تبعا للنطق * (النذر) عمن لا يؤمن جمع نذير الذي هو
مصدر او وصف اى الامور المنذرة لهم او المنذر منها اي لا تغني اذا
خالفوها * (فتول عنهم) اعلمك ان الانذار لا ينفعهم ونسخ باية
القتال * (يوم) متعلق بيخرجون وقال الرماني مفعول اذكر وعن
الحسن فتول عنهم الي يوم * (يدع) باسقاط الواو من الخط
تبعا للنطق * (الداعي) اسرافيل او جبريل والاظهر اسرافيل
ينفخ على صخرة بيت المقدس وهو في نسختنا معشر المغاربة بياء منفصلة حمراء
وكذا الاتي * (الى شيء نكر) فضيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو
هول يوم القيامة وقرا ابن كثير باسكان الكاف وقري نكر بضم النون
وكسر الكاف وفتح الراء واثبت ياء الداعي نطقا ووصلا ووقفا البزي واثبتها
وصلا ورش وابو عمرو واما الى الداعي فاثبت ياءه ابن كثير مطلقا ونافع وابو
عمرو وصلا * (خشعا) في قراءة نافع وابن كثير
وابن عامر وعاصم لجواز جمع الحال والنعت السببي

جمع تكسير اذا رفعا جمعا لان جمع التكسير يشبه الفعل وهو يجري مجري المفرد
او على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة وقرا غيرهم خاشعا وهو حال من
واو يخرجون سببية والتذكير لظهور الفاعل مع تانيثه المجازي وايضا هو
جمع تكسير وايضا مضاف لمذكر يغني عنه وقري خاشعة على الاصل
ويجوز كون ابصار بدلا من ضمير في خشعا وقرى خشع بالرفع على الخبرية
وابصار مبتداء والجمله حال ففيه دليل على جواز تقديم الحال الجملية على
العامل * (ابصارهم) والخشوع الذل ووصف الابصار به لان ذل
الذليل وعزة العزيز تظهران في اعينهما وكذا ما في نفس الانسان من حياء
اوصلب وغيرهما * (يخرجون) وقري بالبناء للمفعول من الرباعي
(الامن جداث) من القبور (كانهم جراد منتشر) في الكثرة والانتشار
في الامكنة والتموج لا يدرون اين يذهبون من الخوف والحيرة وقيل
شبههم بالجراد يلزم الارض ليلا واذا طلعت الشمس انتشر والجملة حال
من الواو ايضا ميلا الى معني مشبهين الجراد المنتشر او مقولا فيهم كانهم جراد
منتشر او الا فالجملة انشائية * (مهطعين) مسرعين مادي اعناقهم
(الى الداعي) او ناظرين اليه لا يقلعون عن النظر اليه وهو حال اخرى وقيل
معناه فاتحين اذانهم للصوت (يقول الكافرون) منهم (هذا يوم عسر)
صعب لما راوا من مخايل هوله وعلامات مشقته وفي ذلك اشارة الى انه
عسير على الكافرين دون المؤمنين * (كذبت قبلهم) اي قبل اهل
مكة * (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا والفاء لعطف مفصل على مجمل
وهو يختص بالفاء في الجمل او المعني كذب قوم نوح ايانا فكذبوا نبوة
نوح او كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب بلغ كلما خلا قرن مكذب اعقبه قرن
مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل قبله او بعدما انكروا النبوة راسا

وقالوا

(وقالوا) هو * (مجنون وازدجر) زجروه عن التبليغ بانواع الاذى
كالضرب والسب والتهديد بالقتل وقيل الجملة الفعلية معطوفة على
الاسمية قبلها او على مجنون وحده فهي من مقولهم اي قالوا هو مجنون وانه
ازدجرته الجن ذهبت بعقله (فدعى ربه اني) اي باني وقري بالكسر
لتضمن دعى معني قال او التقدير القول اي فقال (مغلوب) غلبني
قومي اميس من ايمانهم روي انه يلقاه احدهم فيخنقه فينحر مغشيا عليه فيفيق
وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون * (فانتصر) لي منهم اي
انتقم * (ففتحنا ابواب السماء) حقيقة فان للسماء ابوابا تفتح وتغلق
والمجاز في نزول الماء منها فانه من السحاب ونسب للجمهور وقيل الماء منها
حقيقة وقيل لا ابواب للسماء ولكن التماء السحاب او شبه نزوله من السحاب
بنزوله من السماء وخيل لها ابوابا او ابواب السحاب ما ينزل منه الماء وقرا
ابن عامر ويعقوب بتشديد التاء مبالغة وتوكيدا للفتح او لكثرة الابواب
(بماء منهمر) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وقيل شديد
الانصباب وبعد فالتحقيق انه ليس المراد هنا حقيقة باب وابواب السماء
مسلمة غير منكرة وليس المراد السحاب فان ذلك الماء ليس ماء مطر او ماء
مطر ولكن المراد المبالغة والتمثيل لكثرة الماء النازل من جهة السماء
(وفجرنا الارض عيونا) تنبع اي جعلناها كلها عيونا تنبع وتفجر وقيل
كانها عيون وذلك ابلغ من اصله الذي هو قولك فجرنا عيون الارض
وقري بعدم التشديد * (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض قال فيه
للجنس وقري الماء ان الاختلاف النوعين وقرا الحسن ان الماوان بقلب
الهمزة واوا قياسا لانها بدل عن اصل وهو الهاء تقول كساان وكساوان
(على امر) حال * (قدقدر) قضي في الازل فالقدر هنا بمعني القضا

وقال الكلبي على حال مقدرة مستوية وهي ان قدر ما نزل من السماء كقدر ما خرج من الارض وقيل على امر قدر في اللوح كونه وهو هلاك قوم نوح بالطوفان * (وحملناه) اى نوحا * (على) سفينة * (ذات الواح) اخشاب عريضة * (ودسر) جمع دسار ككتاب وهو المسمار من دسره اى دفعه دفعا شديدا لأنه يدسر به منفذه وهذا قول الجمهور وقال الحسن دسرها صدرها وقال الكلبي دسرها عوارضها وقال مجاهد دسرها اضلاعها وقيل الالواح جانباها والدسر اصلها وطرفاها (تجري) السفينة (باعيننا) اي بمرءى منا اي محفوظة بحفظنا وقيل بامرنا واعلم ان ذات الواح ودسر من الصفات التي تغني عن ذكر موصوفها ولا يكاد يذكر معها الا تاكيدا او دفعا للبس ان وجد وانما ذكرته انا للبيان لمن قد لا يعلم وذلك من فصيح الكلام وبديعه * (جزاء لمن كان كفر) وهو نوح فانه نعمة مكفورة فان النبي رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال رجل للرشيد الحمد لله عليك * فقال ما معني هذا فقال انت نعمة حمدت الله عليها او الاصل لمن كان كفر به فهو من الحذف والايصال او كفر كلامه المرسل به فحذف المضاف وقرا قتادة بالبناء للفاعل اي جزاء الكافرين وقرا الحسن بكسر الجيم مصدر جازى كالمجازاة وزعم بعضهم في قراءة البناء للمفعول ان من واقعة على النعم وهو خلاف الاصل وقليل حيث اوقع من على غير عالم بدون اقتران بعالم وبدون ارادة وقيل المراد بمن كفر نوح والموءمنون لانهم مكفورون وجزاء مفعول لاجله لحمل او فجرا او قتح على التنازع عند مجيز التنازع في المفعول لاجله فيقدر للمهمل ضمير مجرور باللام او على عدم التنازع فيقدر له ظاهر مجرور او مفعول لاجله لمحذوف اي فعلنا ذلك جزاء وعلى

البناء للفاعل لا يتنازع فيه حمل بل فتح وفجر الا على معني حمله وابقاء الكفار اي ابقيناهم غير محمودين جزاء لهم * (ولقد تركناها) اي السفينة * (اية) لمن يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر وقال قتادة ابقي الله سفينة نوح صلي الله عليه وسلم ببلدة من ارض الجزيرة تسمى ردي حتى ادركها اوائل هذه الامة وكم سفينة بعدها صارت رمادا وقيل تركها علي الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوايل هذه الامة وقال مكي الضمير للفعلة والقصة * (فهل من) الاستفهام للاستبطاء او للتوبيخ او للامر اي تذكروا ومن صله * (مدكر) مبتدا خبره محذوف اي فيكم اي معتبر متعظ والدال مهملة اصله مذتكر بذال معجمة فتاء ابدلت التاء دالا مهملة وابدلت الذال المعجمة دالا مهملة وادغمت الدال في الدال وقري مذتكر علي الاصل بلا قلب ولا ادغام وقري مذكر بالاعجام ابدلت التاء ذالا معجمة وادغمت فيها المعجمة قال ابو حاتم والاولى مروية عن النبي صلي الله عليه وسلم وقراءة ابن مسعود هذه الاخيرة على النبي فردها عليه * (فكيف) لاستفهام تعظيم ووعيد او تقرير والمراد حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه بالمكذبين لنوح وكيف سوال عن الحال وهي خبر كان التي في قوله * (كان عذابي ونذري) جمع للنذير الذي هو وصف او مصدر وكونه جمعا للمصدر اولى ليوافق عذابي وبه جزم بعض ويكتب نذرى في نسخنا بياء حمراء وياء عذابي بياء سوداء وكذا في المواضع الخمس وتثبت في الاصل عند ورس فقط اعني يا نذري وذلك رواية منه عن نافع وروى غيره عنه الحذف وصلا واما وقفا فيسكن الراء * (ولقد يسرنا) سهلنا او هيانا * (القران للذكر)

للحفظ والدرس او للتذكر لعذوبة الفاظه واختصاره ومواعظه وعبره ويروى ان كتب اهل الاديان كالتوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا * (فهل من مدكر) حافظ دارس او متعظ وفي ذلك حث على تعلم القرآن والاشتغال به جعله الله بحيث يسهل حفظه على العرب والعجم والصغير والكبير * (كذبت عاد) هودا فاهلكوا * (فكيف كان عذابي ونذري) لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم وبين عذابهم بقوله * (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردا شديد الصوت والهبوب احرق اجوافهم وهي الدبور كما مر * (في يوم نحس) بالاضافة اي شوم وقري بالتنعت كقوله ايام نحسات * (مستمر) شومه اي دايم حتي اهلكهم كبيرا وصغيرا او شديد المرارة وهو يوم اربعاء اخر الشهر وليس شوم ذلك اليوم الي الان وقيل تحذر فيه اشياء منها النكاح والسفر * (تنزع الناس) من الشعب والحفر التي استتروا فيها وتصرعهم على رءوسهم فتدق رقابهم فتبين الراس عن الجسد وقيل يصطفون ايضا ويأخذون بعضهم ببعض وتفرقهم وتصرعهم موتي وقيل تنزع ارواحهم * (كانهم اعجاز نخل منقعر) اي كانهم والحال ما ذكر اصول نخل منقلع ساقط على الارض قيل شبهوا بالنخل لطولهم وعن بعض شبهوا بالاعجاز لان الريح اطارت رءوسهم وطرحت اجسادهم فالتشبيه بنخل مقطوع الراس وذكر هنا النخل وانثه في الحاقة المفاصلتين في الموضعين روعي في الحاقة المعنى للفاصلة وروعي اللفظ هنا للفاصلة * (فكيف كان عذابي ونذري) اي كان شديدا هائلا * (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير بمعنى انذار بمواعظ ومواعيد او بمعنى

الامر المنذر بالكسر او المنذر به بالفتح او الرسول او الكتاب او كل ذلك وكذا في مثله لم يومنوا بصالح وما جاء به * (فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه) اي انتبع بشرا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم فحذف تتبع ودل عليه المذكور المشغول بضمير البشر اي لا نتبعه مفردا ونحن جماعة وقرئ بالرفع على الابتداء والنصب اولى لان الفعل بالهمزة اليق والاستفهام للانكار ومنا وواحدا نعتان لبشرا او منا حال من بشرا او من واحدا وواحدا نعت او منا نعت وواحد حال من ضمير الاستقرار وهما حالان * (انا اذا) اى اذا تبعناه (لفي ضلال) ذهاب عن الصواب * (وسعر) جمع سعير عكسوا عليه فرتبوا علي اتباعهم اياه ما رتب علي ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب

وقيل السعر العناء وقيل البعد عن الصواب وقيل شدة العذاب وقال ابن عباس العذاب * (القي بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وهو قراءة نافع وعلامته في كتبنا معشر المغاربة جعل نقطه حمراء مكان الهمزة المسهلة والتسهيل قراءة الهمزة بين الهمزة وبين الحرف المجانس لحركتها وادخال الف بينهما علي الوجهين وتركه * (الذكر) الكتاب او الوحي * (عليه من بيننا) وفينا من هو احق منه بذلك انكروا القاء الوحي عليه من بينهم وهو واحد منهم لا شرف وفيه دليل على ان المراد بقوله ابشرا الخ كيف نتبع واحدا منا غير اشرفنا * (بل هو كذاب) في ادعاء الوحي اليه * (اشر) متكبر بطر حمله بطره وتكبره

علي الترفع علينا بدعوى النبوة * (سيعلمون غدا) هو يوم القيمة جعل لقربه كقرب غد من اليوم قبله قاله الحسن وقيل المراد بالغد وقت نزول العذاب عليهم في الدنيا وذلك حكاية لحالهم قبل نزوله وقرا ستعلمون بالفوقية ابن عامر وحمزة ورويس على طريق الالتفات اشارة الى ان كفارة مكة مثلهم في الهلاك او على حكاية ما اجابهم به صالح * (من الكذاب الاشر) وقري بضم الشين كحدث في حدث وحذر في حذر وقرا ابو قلابة بفتح الشين وتشديد الراء ملحقا باسم التفضيل ورد همزته شذوذ لانها اصل مرفوض اي الابلغ في الشرارة وقيل الاشر بالكسر اللعاب والكافر في الدنيا العاب (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها اليهم من الهضبة وهي الصخرة المنبسطة على الارض كما سالوا (فتنة لهم) امتحانا وبلاء * (فارتقبهم) ما يصنعون (واصطبر) افتعل من الصبر وطاؤه عن تاء اكتسب صبر اشد بدا على اذاهم ولا تعجل حتي ياتيك امري * (ونبئهم) اخبرهم * (ان الماء قسمة) اى ذو قسمة او مقسوم اوا مر الماء قسمة * (بينهم) هذا الضمير لهم ولهم جانب وللناقة وهي جانب لهم شرب يوم ولها شرب يوم وذكر الضمير تغليبا (كل شرب) نصيب من الماء * (محتضر) يحضره صاحبه في نوبته وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن والعسل في نوبتها من ضرعها وليس بمعنى يمنع عنه غير صاحبه لان ضاده غير مشالة كما يدل له كلام القاضي ودأبوا على تلك النعمة حتي ملوها وهموا بقتل الناقة (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود لقتلها وكانت عشراء * (فتعاطى) تناول السيف * (فعقر) قتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف وقيل تعاطي بمعنى اجترا على الامر العظيم وهو قتلها وقيل تعاطي الناقة اي تناولها * (فكيف كان عذابي ونذر) بين هذا العذاب بقوله *

(انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) صاحها جبريل وقيل الصيحة العذاب (فكانوا) بها * (كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المنكسر والمحتظر الذي يتخذ حظيرة لماشيته اي حصنا من الشجر والشوك ما نعا من السبع اما ان يتخذها من الشجر اليابس او من الاخضر ثم ييبس ويتكسرا وماداسته الماشية بارجلها فهو هشيم او الهشيم الحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء او الشجر المتخذ لها وقيل الهشيم العظام النخرة المحترقة وقيل التراب يتناثر من الحائط وقراء الحسن بفتح الظاء اي كهشيم الشجر الذي اتخذ حظيرة او اسم مكان اي موضع اتخاذ الحظيرة * (ولقد يسرنا القراءن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا) ريحا يرميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملاء الكف وانما رمت من كان خارج المدينة او مسافرا او خسف بالمدينة ويطلق الحاصب على نعس الحجارة والاية تحتمل * (الا آل لوط) ابتيه معه (نجيناهم) من العذاب * (بسحر) في سحر متعلق بنجيناهم او بمحذوف حال من الهاء اي كائنين في سحر وهو اخر الليل بل السدس الاخير وقيل المراد بالسحر وقت طلوع الفجر وان السحر سحران وصرف لانه لم يعينه بل ابهمه * (نعمة من عندنا) مفعول لاجله اي انعاما او مفعول لمحذوف اي جعلنا ذلك نعمة * (كذلك نجزي من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة * (ولقد انذرهم) لوط * (بطشتنا) اخذتنا لهم بالعذاب * (فتماروا) تجادلوا اوشكوا او كذبوا يهدي بعض الى بعض ذلك بتعاطيهم الضلال والشبه * (بالنذر ولقد راودوه) طالبوه * (عن ضيفه) ان يتركهم لهم فيلوطون بهم وهم ملائكة جاءوه في صورة بني ادم * (فطمسنا اعينهم) اعيناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه عالجوا الباب

ليدخلوا فقالت الرسل دعهم يدخلوا انا رسل ربك فدخلوا فصفقهم
جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون لا يهتدون الى الباب فاخرجهم
لوط عميا قاله ابو عبيدة وقتادة وقال ابن عباس والضحاك ليس طمسا
حقيقة لكن راوا الرسل ولما دخلوا الدار لم يروهم فسمي حجبهم عن
الرؤية طمسا واشتق منه طمس * (فذوقوا) اي قلنا لهم بالحال
او بالسنة الملائكة ذوقوا * (عذابي ونذري) ما انذركم به لوط
من العذاب او ما تضمنه النذر من الوعيد * (ولقد صبحهم بكرة)
وقت الصبح قيل عند طلوع الفجر والظرف موكد لعامله وقرا زيد بن
علي بمنع الصرف اخبارا بوقت معين * (عذاب مستقر) دائم حتى
يتصل بعذاب الاخرة * (فذوقوا عذابي ونذري ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر) وفائدة هذا التكرير ان يجدد واعند
استماع كل نبإ اذكارا واتعاظا وتنبها واشعارا بان تكذيب كل
رسول مقتض لنزول العذاب وهكذا فيأتي الآمر ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين وكذا تكرير الانبياء والقصص لتكون عبرا حاضرة
للقلوب فليس ذلك توكيدا لفظيا لانه لا يكون اكثر من ثلاث مرات
بالموكد (ولقد جاء ال فرعون) تباعه وأكتفى بذكرهم عن ذكرهن لانه اولى
(النذر) موسى وهارون وقيل وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر
به المرسلون او كتب موسى او اياته التسع ويصح في النذر ان يكون مصدرا
مفردا وكذا فيما سبق (كذبوا بآياتنا كلها) الضمير لجميع الامم المذكورة
وقيل لال فرعون والايات الايات التسع * (فاخذناهم) بالعذاب
(اخذ عزيز) غالب * (مقتدر) لا يعجزه شيء * (اكفاركم)
يا اهل مكة او معشر العرب * (خير من اولئكم) الكفار

المعدودين قوة وعدة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل
اولائكم الذين هم اقوام هود وصالح ونوح ولوط وفرعون بل شر منهم
(ام لكم براءة) من العذاب * (في الزبر) الكتب المتقدمة والاستفهام
انكاري * (ام يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع منتصرون بقوتنا
كما قال * (منتصر) ممتنع لا يرام او منتصر على الاعداء ومحمدا وينصر
بعضه بعضا وافراده نظر للفظ جميع وهو نعته فلا حاجة الى ان تقول افرد
لروس الاي او الى ان تقول افرد على معنى كل واحد منا منتصر وهذا اولى
من الذي قيله قيل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فقدم في الصف وقال لنتصر اليوم
من محمد واصحابه فنزل * (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقد مر ان
الاية مكية وقول بعض انها نزلت في يوم بدر ضعيف وال للجنس اي
ادبارهم اولان كل احد يولي دبره ووقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل
النبوة وعن ابي عمرو وتولون بالفوقية وقيل تكتة الافراد مع الفاصلة ومع
ماتقدم الاشارة الى انهم كنفس واحدة في الادبار لم يتخلف واحد وكان
صلى الله عليه وسلم يقول يوم بدر اللهم ان تهلك هذه الطائفة فلن يعبدك احد
(بل الساعة) يوم القيامة * (موعدهم) زمان وعد الله عذابهم اليه
وما يحيق بهم في الدنيا فطلايع منه وقيل يهلك كفار اخر الامة (والساعة
ادهى) اعظم بلية من كل هزم وقتل واشد داهية والداهية الامر العظيم الذي لا
يهتدي للخلاص منه (وامر) اشد مرارة من عذاب الدنيا قال الحسن
يعذب الله كفار اخر هذه الامة عذابا لم يعذبه امة وهو النفخة الاولى وقرء
سينهزم * (ان المجرمين في ضلال) عن الحق في الدنيا * (وسعر)
نيران في الاخرة وقيل الضلال عذابهم في الدنيا والسعر عذابهم
في الاخرة وقيل السعر الجنون والاكثرون ان المجرمين هنا

المشركون وقيل السعر الشقا * (يوم) مفعول اذكر او ظرف للاستقرار
باعتبار قوله سعر ان فسر بعذاب الاخرة ونارها ومتعلق بقول مقدر
عامل في قوله ذوقوا مس سقر * (يسحبون) يجرون * (في النار
على وجوههم) يقال لهم * (ذوقوا مس سقر) من سقرته النار او
صقرته حرقته اي ذوقوا ايها المكذبون حر النار والمها فان مسها سبب
للتالم اوشبه اصابتها اياهم بالاحراق بمس الحيوان للاخر مسا موجعا
(انا كل شيء خلقناه بقدر) بنصب كل على الاشتغال وهو نص في
ان كل شيء هو مخلوق لله وانه بقدره فهو اولى من قراءة الرفع لانها تحتمل
ان يكون الخبر هو خلقناه فيكون المعنى كمعنى قراءة النصب وهو الصواب
ويحتمل ان يكون الخبر بقدر وخلقناه صفة كل او شيء فيوهم ان ثم مخلوقا
لغير الله كما هو مذهب المعتزلة وهو باطل قاله ابن هشام وخالد ومذهب
المعتزلة ان الافعال الاختيارية والشربة مخلوقة لهم والشيء اسم للموجود
او مقيد بالوجود فلا يرد انه لم يخلق جميع الممكنات وعن الرودانى
ان ابهام الوصفية حاصل مع النصب ايضا لجواز نصب كل بخلقنا
محذوفا على غير الاشتغال اي خلقنا كل شيء مخلوق مثل وفعلت فعلتك
التي فعلت ويدفع بان ابهام الوصفية على النصب ضعيف عن احتمالها
حين الرفع والتقدير الترتيب على مقتضى الحكمة او الكتابة في اللوح قبل
وقوعه او سبقه في علم الله بلا اول قال سعيد بن جبير كل شيء بقدر حتى
هذه وضع السبابة على طرف اللسان ثم على طرف ابهام اليسرى وفي
الحديث لا يومن عبد حتى يومن بالله وبي وبالبعث والقدر خيره وشره
وعن علي لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وما
اصابه لم يكن ليخطئه قال ابن مسعود ما كفر قوم بعد نبوة الا كان مفتاح

ذلك

ذلك التكذيب بالقدر وفي الحديث بنى الاسلام على ثلاثة الجهاد ماض
منذ بعثت الى آخر فئة من المسلمين تقاتل الدجال والكف عما لا تعلم والايمان
بالقدر خيره وشره وانما اخاف على امتي حيف الائمة والتصديق بالنجوم
والتكذيب بالقدر وعن بعض نزل ان المجرمين الى بقدر في القدرية
منهم اسقفا نجران جاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد تزعم ان
السماء بقدر والبحار بقدر وهذه الامور بقدر ونحن نقول الا المعاصي
فنزلت وقيل اختصمت قريش في القدر فنزلت وفي الحديث كتب الله
مقادير الاشياء كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة وقال كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقال لكل امة مجوس
ومجوس هذه الامة القدرية لا تشهدوا جنائزهم ولا تعودوا مرضاهم وهم
شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم به ولا تجالسوهم ولا تفاتحوهم بالكلام
ولا تصيب لهم ولا للمرجئة في الاسلام وينادي يوم القيامة بمسمع الاولين
والاخرين اين خصماء الرحمن فتقوم القدرية فيامر بهم الى النار وذلك انهم
يخاصمون كيف يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه بها قاله ابن الجوزي
وعن الحسن لوصام قدري حتى يكون كالحبل وصلى حتى يكون كالوتد
وذبح ظلما بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر وقيل انه ذوق
مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر والقدر هنا تقدير الاشياء في الازل على
صفة مخصوصة واماكنة وازمنة مخصوصة كالقضاء كما يطلق القضاء على معنى
الايجاد كالقدر ومنه فقضاهن سبع سموات اى خلقهن وزعمت القدرية
انه لم يعلم بالاشياء حتى تقع لعنهم الله وقد انقرضت القدرية القائلون
بذلك ولم يبق عليه احد من اهل القبلة وصار متاخروهم يثبتون القدر
لكن يقولون الشر من غير الله لعنهم الله وقد موهت القدرية بقولهم لسنا بقدرية

بل انتم لاعتقادكم القدر والجواب ان النسبة لادني مخالطة اوانهم نسبوا
الى القدر الذي اثبتوه لانفسهم وسموا مجوسا قيل لاضافتهم الخير لله والشر
لانفسهم كقول المجوس الخير فعل النور والشر فعل الظلمة ونقول الكل لله
خلقا وللعباد كسبا وليس القضاء والقدر جبرا كما توهم ومعنى التحديد بخمسين الف
سنة في الحديث تحديد وقت الكتابة واما علمه فلا اول له والكيس ضد العجز والمراد
العجز والكيس في كل شيء وادعى بعض ان المراد في الطاعة قيل والمراد بالقدرية
الجهمية (وما امرنا الا واحدة) الافعلة واحدة وهي الايجاد بلا معالجة ومعاناة
او الا كلمة واحدة او قولة واحدة سريعة التكوين وهي ان يقول كن بلا
تكرير او الا مرة واحدة وقيل ما امر الساعة الا مرة واحدة وقيل الارجفة
واحدة * (كلمح بالبصر) في السرعة قال ابن عباس يريد ان قضائي
في خلقي اسرع من الخطف بالبصر وقال الحسن ما امرنا بمجيء الساعة * (ولقد
اهلكنا اشياعكم) اشباهكم في الكفر من قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شيء
فعلوه) اى العباد صفة شيء (في الزبر) خبر كل اي كتب الحفظة اي
ثابت او مكتوب في كتب الحفظة اليوم الحساب ليروه والا فالله لا يحتاج
للكتابة .وقيل الزبر اللوح المحفوظ سماه بلفظ الجمع لجمعه ما تجمع الكتب
او باعتبار ان كل جهة مكتوب فيها عمل احد منه فهي كتاب * (وكل
صغير وكبير مستطر) من الاعمال وغيرها من الخلائق والآجال ونحوها
مسطر في اللوح المحفوظ * (ان المتقين في جنات) بساتين * (ونهر)
مفرد كالنهر بالفتح والاسكان والمراد الجنس وقيل السعة وقيل الضياء
كضياء النهار وقري بالفتح والاسكان وقرا الاعمش نهر بضم النون والهاء
جمع نهر بفتح النون والهاء كاسد واسد وانما قيل كضياء النهار لانه لا ليل
عندهم ويشربون من انهارها ماشاءوا من لبن او خمر او عسل او ماء طين

الانهار مسك اذ فرورضراضها الدر والياقوت وحافاتها الياقوت *
(في مقعد) اسم مكان القعود * (صدق) اي في مكان مرضي حسن
حق لا لغو ولا تاثيم ولا كذب ولا شر ولا رداءة واما مجالس الدنيا فلا
تخلو من هذه الاشياء والمراد بمقعد الجنس كما قري في مقاعد صدق * (عند
مليك) كثير الملك وعظيمه والمراد قرب شرف بمن هو كذلك وهو الله
عز وجل والابهام للتعظيم وفي مقعد وعند خبران بعد خبر او في مقعد خبر
ثان او بدل بعض او بدل غير بعض وعند نعت مقعد او حال (مقتدر)
لا يعجزه شيء اشارة الى القدرة التامة كل ملك وقدرة تحت ملكه وقدرته
قال المحاسبي اذا اخذ اهل الجنة منازلهم واطمانوا فيهم في قرب الشرف من
مولاهم على قدر منازلهم في العمل والاعتقاد اللهم بحق نبيك محمد علينا
صلى الله عليه وسلم وبحق السورة اخز النصاري واهنهم واكسر شوكتهم وغلب
المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

سورة الرحمن

وتسمي عروس القران مكية عند الجمهور وهو الصحيح بدليل قول
جابر بن عبد الله لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه سورة
الرحمن حتى فرغ قال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا
وروي مرددا ما قرات عليهم من مرة فباي آلاء ربكما تكذبان
الا قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وقصة الجن

بمكه وعن اسماء بنت ابى بكر سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يصلى نحو الركن قبل ان يصدع بما يومر والمشركون يسمعون فباى الاء ربكما تكذبان وفي هذا دليل على تقديم نزولها على نزول سورة الحجر وقيل مدنية الا بسأله من الاية وقيل مدنية كلها وايها ست وسبعون وقيل ثمان وسبعون وكلمها احدي وخمسون وثلاثمائة وحروفها الف وستمائة وستة وثلاثون وفي الحديث من قراء سورة الرحمن ادي شكر ما انعم الله عليه ورحم الله ضعفه وان قاري الرحمن والواقعة والحديد يدعي في ملكوت السموات بساكن الفردوس وقالوا من علقها على الرمد ازالته وماءها يزيل مرض الطحال واذا كتبت على حايط البيت منعت الهوام *

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرحمن علم القراءن) صدر السورة بعد البسملة بالرحمن لانها مقصورة على تعديد النعم الدنيوية والاخروية وقدم من نعم الدين غايتها واصلها وهو القراءن وهو اعز الكتب ومنشوء الدين ومشتمل على خلاصتها مصدق لها ولنفسه قال صلي الله عليه وسلم خيركم من تعلم القراءن وعلمه والمفعول الاول لعلم محذوف اي علم من شاءه القراءن قيل لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن انكارا له فنزل الرحمن علم القراءن اى الذي قلتم لا نعرفه هو الذى علم القراءن وقيل جواب لهم حين قالوا انما يعلمه بشر فالتقدير عند بعض الرحمن علم محمدا القراءن وقيل التعليم هنا التسهيل للقراءة والحفظ والقراءن مخلوق كما يدل له وصفه بالتنزيل والجعل وغيرهما فبطل قول بعض انه غير مخلوق وانه يدل على ذلك انه ذكر في الكتاب اربعا وخمسين ما فيها موضع صرح فيه

بخلقه

بخلقه ولا اشاره اليه وذكر الانسان على الثالث في ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه * (خلق الانسان علمه البيان) خبر ثان وثلاث بدون عطف لمجيئها على نهج التعديد والانسان الجنس واتبع التعليم بخلق الانسان ليعلم انه خلق للدين ليحيط علما بوحيه وما كان هو الغرض في خلقه وهو القراءن اولى بالتقديم ثم اتبع خلقه بالبيان ليتميز به عن سائر الحيوان وهو الافصاح عما في الضمير وبه يتعرف الحق والكلام هو من نفس الروح وفهم العقل وقيل البيان الكتابة والفهم والافهام فيعرف ما يقول وما يقال وقيل عرف كل قوم لغتهم وقيل الانسان ادم والبيان اسماء كل شيء وقيل اللغات كان عارفا متكلما بسبع مائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان محمد صلى الله عليه وسلم والبيان ما كان وما يكون يبي عن خبر الاولين والاخرين ويوم الدين وقيل الاحكام والحلال والحرام والحدود * (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم في البروج والمنازل وفي ذلك منافع علم السنين والحساب والفصول والاوقات وغير ذلك ذكره الكلبي والحسن وابن عباس وقال مجاهد الحسبان الفلك تشبيها بحسبان الرحي وهو ما يدور الحجر بدوره وعن الحسن هما والنجوم في مثل الطاحونات وفي مثل فلكة المغزل دون السماء ولو التزقت بالسماء لم تجر وقالوا السماء كالقبة وتجري في الفلك دون السماء واقرب الارض للسماء بيت المقدس وابعدها الابلة وعن مجاهد في قوله كل في فلك يسبحون يدورون كما يدور فلك المغزل وعن قتادة الحسبان الفكك المستديرة والصحيح الاول فهو مصدر كالحساب وقال ابو عبيدة والضحاك جمع حساب وان قلت كيف اتصال هذه الجملة والتي بعدها بالتي قبلها قلت لان الحسبان حسبانه والسجود له كانه قال الشمس والقمر بحسبانه

(والنجم) النبات الذي ينجم من الارض اي يطلع ولاساق له (والشجر) ماله ساق يبقى شتاء * (يسجدان) له اي يخضعان له طبعا خضوع الملكفين طوعا شبه عدم امتناعهما عما يريده منهما بسجود الساجد وقيل سجودهما سجود ظلهما وقيل النجم الكوكب وسجوده طلوعه والصحيح الاول لمقابلته بالشجر وعلى الثاني مجاهد وعليه فنسبة النجم وهو جنس النجوم من السماء كنسبة الشجر من الارض لانهما في ظاهرهما وفي الاية الحاق بمراعاة النظير وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان غير مقصودين فالنجم بمعنى الشجر لايناسب الشمس والقمر لكن قد يكون لفظ النجم بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما ويسمى ايهام التناسب واما مراعاة النظير فجمع امر ومايناسبه لابالتضاد مثل قوله سبحانه والشمس والقمر بحسبان وانما عطف الجملتين ومابعدهما وصلا للتناسب والتقارب بالعطف لان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب التقابل وان القمر والشمس لايزالان يذكران معا وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وذلك الاصل واما ترك العطف قبل ذلك فايراد على طريق التعديد تبكيتا لمنكر الرحمن والاية * (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشاء احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين لايفترون عن العبادة وينزلون بالوحي الى انبيائه وبينها وبين الارض خمس مائة عام وقيل كانت على الارض ورفعها وقيل رفعتها بقدرته (ووضع الميزان) اي العدل اي امر به كما فسر بقوله * (ان لاتطغوا في الميزان) اي لاتجاوزوا العدل هذا مذهب الجمهور وقيل قام بالعدل بين خلقه واعطى كل

ذي حق حقه فانتظم امر العالم قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وان تفسير ايضا لدالة عدله على النهي عن عدم العدل وقيل اراد كل مايوزن به الاشياء ويعرف مقاديرها من ميزان ومكيال ومقياس وغيرذلك خلقه موضوعا على الارض حيث علق احكام عباده بالعدل في الاخذ والاعطاء وقرا عبد الله ابن مسعود وخفض الميزان ويجوز كون ان المصدرية ولانافية اي لئلا تطغوا واسقط ابن مسعود ان على ارادة القول اى قال لاتطغوا في الميزان اي لاتظلموا فيه وصف السماء بالرفعة ووصف الارض بمافيها بلفظ الوضع اظهارا للتفاوت ووصفها به ايضا بعد على التحقيق وقرى برفع السماء على الابتداء (واقيموا الوزن بالقسط) بالعدل * (ولاتخسروا الميزان) اي لاتنقصوه فان من حقه التوفية وهي المقصود من وضعه وعن بعض ان الميزان هنا بمعنى الموزون والتكرير مبالغة وحث على التوفية وقراء بلال بن ابى بردة بفتح التاء وكسر السين وقري بفتح التاء وضم السين واما قراءة بعضهم بفتحها فعلى ان الاصل لاتخسروا في الميزان * (والارض وضعها) بسطها واثبتها (للانام) الانس والجن وقيل كل حيوان الاول للحسن بن علي والثاني لقتادة وابن عباس والشعبي وابن زيد * (فيها فاكهة) صنوف مما يتفكه به من انواع الاطعمة والاشربة وقيل انواع الفواكه * (والنخل ذات الاكمام) جمع كم بالكسر قال الكلبي وهو الطلع لانه يكم الاثمار اى يسترها وقيل كلما يغطي من طلع وليف وسعف وذلك كله ينتفع به وهو تمثيل لان نخيل الجنة ليس خشبا بل ذهب وفضة وجوهر وغيرها واقتصر على ذكر النخل لانه اعظم بركة من سائر الشجر وعن الحسن الاكمام اللفف (والحب) كالحنطة والشعير وغيرهما قيل اخر ارتقاء اللاعلى لان الحب

نفع من النخل واعم وجودا في الاماكن * (ذو العصف) قال ابن
عباس التبن وقيل سوق الزرع وعن ابن عباس ورق الزرع
الاخر اذا قطضع رؤسه ويبس وقيل ورق كل شي يخرج منه الحب
وقيل ورق النبات اليابس * (والريحان) الرزق يقولون خرجت
اطلب ريحان الله قال ابن عباس كل ريحان في القران هو الرزق وقيل
ما يشم لرايحته مطلقا وعليه ابن زيد وقتادة وقال الحسن هو ريحانكم هذا
وقرا ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الحب وذا والريحان
اي وخلق الحب ذا العصف والريحان اوامدح اواخص ويجوز ان
يراد وذا الريحان بحذف المضاف وكذا بنصب الثلاثة في مصاحف
اهل الشام وقراحمزة والكسائي بخفض الريحان ورفع الحب وذو وقيل
التقدير وفيها الريحان وفي الاية ذكر طعام الناس ومشمومهم وعلف دوابهم
ولا علف للدابة بذلك في الجنة لانه لا ورق فيها على الحقيقة بل نحو ذهب
وفضة والريحان فيعلان من الروح قلبت واوه للتخفيف اصله الروحان
وقيل اصله ريوحان قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وخفف بحذف
عين الكلمة * (فباي آلاء ربكما تكذبان) باي متعلق بتكذبان وقدم
لان لاى الاستفهامية الصدر والاستفهام تقريري والاء جمع الا او الا والى
ومعناه النعم والخطاب للثقلين المدلول عليهما بالانام وبقوله ايها الثقلان
ولذكر الانسان والجان عقب ذلك ولان الجن والانس هما العقلاء واصل
الخطاب للعاقل وذكرت احدى وثلاثين مرة تقريرا للنعمة وتاكيدا في
التذكير بها كقولك الم تفتقر فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر
هذا الم تكن ذليلا فعززتك افتنكر هذا وهكذا * (خلق الانسان) ادم
(من صلصال) الطين اليابس الذي له صلصلة اي صوت اذا نقر من

صل اذا صات وذلك لجودة الطين اشارة الى ما كان من الجودة في طينه
وذلك قول الجمهور وقيل الصلصال المنتن من صل اذا انتن وعليه مجاهد
(كالفخار) ما طبخ من الطين بالنار وهو الخزف اي له صوت كصوت
الفخار اذا انكسر * (وخلق الجان) هو ابليس ابو الجن وقيل الجان
الجن على حذف مضاف اي اباالجن * (من مارج) من صاف عن
الدخان * (من نار) بيان لمارج فانه في الاصل للمظرب من مرج اذا
اضطرب والمارج اللهب الصافي عن الدخان ويحتمل من نار مخصوصة
او بدل وقيل المارج المختلط من الوان شتى اصفر واخضر واحمر وان قلت
تارة قال انه خلق ادم من حماء مسنون وتارة من طين الخ قلت متفق
في المعنى وبفيد انه من تراب ثم جعل طينا ثم حماء مسنونا ثم صلصالا
(فباي الاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما في اطوار خلقكما * (رب
المشرقين) مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو
غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) مغرب الصيف ومغرب
الشتاء وقيل مغرب الشمس ومغرب القمر واضافهما لنفسه تشريفا لهما وقيل
المراد ما بينهما ورب خبر لمحذوف اي هو رب المشرقين وقري بالجر بدلا
من ربكما * (فباي الاء ربكما تكذبان) مما في ذلك من فوائد لا تحصى
كاعتدال الهوي واختلاف الفصول * (مرج البحرين) ارسلهما يقال
مرجت الدابة اي ارسلتها الملح والعذاب (يلتقيان) يتجاوران ويتماسان لا فصل
بينهما في راى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله جل وعلا وقيل البحران
بحر فارس وبحر الروم والفاصل الحاجز بينهما جزائر وقيل بحر الروم وبحر الهند
والحجاز حاجز وقيل الحاجز الناس وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في
كل عام وزعم بعض الجهال انهما فاطمة وعلي وفيه من نحو هذا اقوال باطلة

(لا يبغيان) لا يبغي احدهما على الاخر بالمزجة وابطال الخاصية والازالة من موضعه اولا يبغيان على مابينهما اوما يجانبهما فيغرقاه * (فاي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وقرا غير نافع وابي عمرو بالياء للفاعل من الثلاثي وقرا نخرج بالنون مضمومة وبالراء مكسورة ونصب مابعده اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وقيل اللؤلؤ الدر وقيل الكبير والمرجان الخرز الاحمر وعلى الاول سعيد بن جبير وقال مجاهد المرجان ما عظم من اللؤلؤ ولا شكال على القول بان البحرين بحر فارس وبحر الروم والقول بانه بحر الروم وبحر الهند وكذا على قول بعضهم بحر القلزم وبحر الشام واما على القول بانهما الملح والعذب فانما قال منهما مع ان اللؤلؤ والمرجان من الملح فقط لان المراد من مجموعهما الصادق باحدهما وهو الملح اولانهما لما التقيا صارا كواحد كما نقول يخرج من البحر ولم يخرج من جميع البحر بل من بعضه ونقول خرجت من البلد وانما خرجت من دار ومحلة اوالتقدير مضاف اي من احدهما وهو الملح وقيل لايخرجان الامن ملتقي الملح والعذب ومثل العذب الانهار العذبة والامطار المنصبة فيه وكل ما اغرق فهو بحر ونسب للجمهور وقيل من ماء السماء وماء البحر اذا امطرت في نيسان طفا على الماء الملح حيتان على صور الحيات فيفتحن افواههن فما وقعت من قطرة في افواههن صار لؤلؤا ومرجانا بي لؤلؤا صغيرا ولؤلؤا كبيرا بقدر القطرة والقطرات وقال ابو حيان يخرجان من البحر الملح والبحر العذب وحكاه الاخفش عن قوم والمثبت مقدم على النافي ومن زعم ان البحرين فاطمة وعلى زعم ان اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وما اكذب هذا واشباهه * (فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار)

المنشئات المرفوعات الشرع وقيل التي يرفع خشبها بعضها على بعض وقيل المحدثات المصنوعة وعلى الاول مجاهد وقراء حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او المحدثات الامواج او السير * (في البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم بفتح اللام وهو الجبل الطويل فهن في البحر كالجبال في البر عظما وارتفاعا وتفاوت مابينهما (فباي الاء ربكما تكذبان) من خلق ماتصنع به السفن وما تحتاج اليه والارشاد اليها والى تركيبها واجرائها (كل من عليها فان) يعني ما على الارض من حيوان وغيره فمن تغليب للعقلاء او اراد الثقلين ويفني من في السماء وجميع الخلق والفناء الذهاب فليصرف العاقل زمانه الى مايبقى له الطاعة * (ويبقى وجه ربك) اى ذاته والمخلوقات كلها فانية في حد ذاته وان وجدت والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللانسان * (ذو الجلال) العظمة والاستغناء المطلق والتنزيه عن التشبيه اوالقول ما اجله وقيل لايجوز ما اجله وما اعظمه ونحوه * (والاكرام) للمومنين بانعمه او للخلق جميعا بالنعم دينا واخري ولاحظ للكافر في الاخري اوالقول ما اكرمه اوالمراد بهما من عنده الجلال والاكرام للمخلصين وذلك من عظام صفات الله قال صلى الله عليه وسلم الظوا ياذا الجلال والاكرام اي تمسكوا به ولازموه ومر برجل يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك * (فباي آلاء ربكما تكذبان) النعمة في الفناء وبقاء الله معجي في وقت الجزاء وذوقعت لوجه وقرا ابن مسعود

ذي بالجر نعتا الربك * (يسئيله من في السموات والارض) من ملك
للمغفرة وانس وجن لها واللارزاق وحوايجهم ولاغني لمخلوق عنه وان
عظم لانه عاجز فهو كامل القدرة والمراد السئوال نطقا وحالا ليدخل
فيه من لايسئله كميكروالمجنون. فان ذواتهم وصفاتهم محتاجة دالة
على العجز وقيل المراد جميع الحيوانات والجمادات والسوال بالنطق
وبالحال * (كل يوم) اي وقت * (هو في شان) امر
يظهره علي وفق ارادته وتقديره الازلي من احياء واماتة واعزاز واذلال
واغناء واعدام واجابة داع واعطاء سايل وغفران ذنب وتفريج
كرب وغير ذلك وتلاها صلى الله عليه وسلم فقيل ما الشان فقال
من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين والدنيا
كلها عنده يوم شانه فيه ذلك واليوم الاخر وهو يوم القيامة شانه فيه
الجزاء والاية رد على اليهود اذ قالوا الله لايقضي يوم السبت شيئا
استراحة وعن ابن عباس اللوح من درة بيضاء وياقوت احمر قلمه نور
وكتابته نور ينظر فيه كل يوم ثلاثماية وستين نظرة اي يصرف منه
ذلك العدد انواعا وقال الدارانى الشان الاحسان يتجدد كل
وقت للعبد وقيل هو ان يخرج كل يوم وليلة عسكرا من اصلاب الرجال
الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور
وسال بعض الملوك وزيره عن الاية فاستمهله الى غد وذهب كيئيبا يفكر
فقال له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك علي يدي
فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شانه انه يولج
الليل في النهار والنهار في الليل ويخرج الحي من الميت والميت من الحي
ويشفي ويسقم ويبلي ويعافي ويعز ويذل ويفقر ويغني فقال احسنت وامر

الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان
الله ودعا عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل وقال اشكلت علي ثلاث ايات
فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وكل يوم هو في شان وقد جف
القلم بما يكون وان ليس للانسان الا ماسعى اما بال الاضعاف فاجابه
الحسين بجواز ان لايكون الندم توبة في تلك الامة وقيل ندمه على حمل
هابيل وقيل لم يات بشروط التوبة والانسان ماسعى عدلا والاضعاف
الى الف واكثر فضلا وفي كل يوم شان بيديه اي يظهره لاشان يبتدبه
فقام عبد الله فقبل راسه وسوغ خراجه وكل ظرف لاضافته ليوم متعلق بما
تعلق به في شان * (فباي الاء ربكما تكذبان) مما يسعف به سوالكما
ومايخرج لكما من ممكن العدم حيا فحيا * (سنفرغ لكم) اى سنوفر
عذابكم والانتقام منكم ايها المشركون وهذا وعيد وتهديد مستعار من قول
الرجل لمن يهدده سافرغ لك يريد ساتجرد للايقاع بك من كل مايشغلني
والا فالله لايشغله شان عن شان وقد يقول الرجل ذلك ومابه شغل
فيكون استعارة ايضا قاله ابن عباس لكنه لم يجعل الخطاب للمشركين
والفراغ للعذاب فقط بل الخطاب للخلق والفراغ للحساب وهو حسن
ويجوز ان يكون المعني ستنتهي الدنيا وتبلغ اخرها وتنتهى شوون الخلق
فلا يبقي الا شان واحد وهو الجزاء والحساب يوم القيامة ولا يفعل فيه غير
الحساب والجزا فجعل فراغا لهم على طريق التمثيل وقيل سنقصد لكم يا محمد
بالقول والامهال وقرا حمزة والكسائي سيفرغ لكم بالمثناة تحت اي الله وقري
سافرغ لكم بالهمز وقري بالنون مفتوحا مع الراء وقري بالنون مكسورا
مع فتح الراء وقري بياء مفتوحة مع الراء ومضمومة مع فتح الراء وقراء ابى
سنفرغ اليكم اي نقصد اليكم * (ايها الثقلان) قيل اراد المشركين

منهم فقط وقيل جميع الانس والجن قال جعفر بن محمد الصادق سموا
الثقلين بالذنوب وقيل الثقلهم على الارض احياء وامواتا ووجه التسمية لا
بحبها وقيل لرزانة رأيهم وقدرهم وكل ذي قدر ثقل وفي الحديث اني
تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي جعلهما ثقلين لعظم شانهما وقيل لثقلهم
بالتكليف * (فباي الاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس) كالترجمة
لقوله ايها الثقلان ويكتب ايها هنا وبا ايها الساهر في الزخرف وايها
المؤمنون في النور باسقاط الالف المتصل بالهاء في نسخنا معشر العلم
الغرب * (ان استطعتم قدرتم * (ان تنفذوا) تخرجوا *
(من اقطار) اي جوانب * (السموات والارض) هاربين من
الله وقضائه كالاماتة والامراض والافقار * (فانفذوا) خرجوا *
(لاتنفذون الا بسلطان) الا بقوة وقهر ولا قوة لمخلوق على ذلك
وليس ما وراء الاقطار خارجا عن ملك الله اذ لا مالك سواه ولكن
تمثيل وكذلك لو صح لهم النفوذ منها لم ينفذوا قضاءه وقدره
الجن لانهم اشد نفوذا منا والامر للتعجيز وقال ابن عباس
ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات وما في الارض فانفذوا ولكن
لاتنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون اليها بافكاركم
وقال الضحاك يقال لهم ذلك يوم القيامة وهو الصحيح قال بفر الناس
في اقطار الارض والجن لما يجدون من هول القيامة فيجدن سبعة
صفوف من الملايكة احاطت بالارض فيرجعون فيقال لهم ذلك
وقيل تنزل الملائكة فتحيط بهم والنار فاذا رأوهم هربوا فلا يأتون
وجها الا وجد وافيه الملائكة وعن عطاء بن يزيد ترجف مساكنهم
ولا فئد تهم فيخرجون الى مكان البر وقد زال ماؤه فيلبثون فيه

جميعا ثم تتول الشياطين ما يحبسنا هلموا نلتمس المخرج فيخرجون حتى يأتوا
الافق من قبل مغرب الشمس فيجدونه مسدودا بالحفظة فيرجعون الى
الموضع ثم يقولون هلموا فياتون المشرق فيجدونه كذلك فيرجعون فبينما هم
اذا شرفت عليهم الساعة ايها الناس اتى امر الله فما للمرأة باشد استماعا لها
من اليد في حجرها لوكان لكن لا تقوم على وليد بل البالغين * (فباي
لاء ربكما تكذبان) من التحذير والعفو مع كمال القدرة او منصب من
المعارج العقلية والنقلية الى مافوق السموات * (يرسل عليكما شواظ)
لهب لادخان فيه وقيل اللهب مطلقا وعليه ابن عباس والاول لابي
حيان. وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرا
من كثير شواظ بكسر الشين وهو لغة وقيل هما بمعنى اللهب الاخضر المنقطع
ابن الدار * (من نار ونحاس) بالرفع عطفا على شواظ وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب رواية عنه بالجر عطفا على نار وقري ونحس بضم النون
والحاء جمع نحاس كرسول ورسل وقري يرسل عليكما شواظا من نار
ونحاسا بالنصب وبناء يرسل للفاعل والنحاس الدخان قال بضي كضوء
سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل دخان لا لهب فيه وعليه الخليل
ونسب للاكثر ونسب الاول لابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يرسل
عليهما ونسب اليه ايضا وقيل عنه يذاب ويرسل على رؤسهما وقري نحاس
بكسر النون وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة
وهذا مرة قال بعضهم او يرسلان معا من غير امتزاج * (فلا تنتصران)
لاتمتنعان من الله ولا ناصر لكم وتساقون الى المحشر * (فباي الاء ربكما
تكذبان) وانما قال هذا لان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي
بالجزاء من اعداد الاء * (فاذا انشقت السماء) انفرجت

وابها لنزول الملائكة جوابها محذوف اي فما اعظم الهول يتدر بعد الدهان * (فكانت وردة) اي حمراء كوردة قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء وقرأ عبيد بن عمير برفع وردة على ان كان تامة اي فحصلت سماء كوردة وهو من التجريد البديعي كقول قتادة بن مسلمة الحنفي *

* فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوي الغنائم او يموت كريم *

اي الى ان يموت كريم يعني نفسه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه (كالدهان) صفة الوردة اي وردة مذابة كالدهان او خبرثان وهو مفرد اسم يدهن به او جمع دهن وقيل الاديم الاحمر وقيل كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو ردي الزيت وعن الحسن كالدهان اذا صب بعضه على بعض رأيت له حمرة وقال مجاهد كألوان الادهان تتلون عند انشقاقها كتلون النوار يحمر ويصفر في الربيع واذا اشتد الحر اغبر فيذهب وقيل تتلون في الساعة الوانا في جهاتها وقيل تكون كالورد ابيض الى الحمرة وقيل الدهان ادم بالين وقال ابن جريج يصلها حر جهنم فتذوب حتى تكون كالدهن وقيل من شدة الهول وقيل المراد بانشقاقها خروجها * (فيومئذ) يوم اذا انشقت * (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) لا يطلب علم ذلك منهم لان الله تعالى يذنوبهم وهي مكتوبة في صحفهم ولا ينافي لسئلتهم اجمعين ونحوه لان السؤال سؤال توبيخ والسؤال في الاية هذه سؤال استخبار لعدم علم ولهذا نفاه وقيل لا يسئلون اذا بعثوا للحشر لانهم معروفون بسيماهم ويسئلون في المحشر قال جار الله يوم طويل يسئلون في موطن ولا يسئلون في اخر وعن قتادة كانت لهم مسئلة ثم ختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وقيل لا يسئلون هل عملتم كذا ويسئلون لم عملتم

ونسب لاول لابن عباس وما قاله جار الله لقتادة والانس والجان هنا الفرد في سياق النفي اي واحد من الانس ولا واحد من الجن والجان في الاصل ابو الجن اطلق على ولده كما يقال هاشم لولد هاشم او هو فاعل للنسبة للجن وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد جأن بالهمزة مفتوحا فرارا من الساكنين ولو كان على حدهما لان الاول لين والثاني مدغم والهاء للانس لان المراد وهو متقدم رتبة ولو تاخر لفظا وهاء الجان محذوفة او لهما لان المعنى لا يسئل احدهما * (فباي الاء ربكما تكذبان) مما انعم الله سبحانه وتعالى به على عباده المؤمنين في هذه اليوم * (يعرف المجرمون بسيماهم) بعلامتهم من الكآبة والحزن وسواد الوجوه وزرقة العيون * (فيوخذ بالنواصي) ناثب يوخذ جمع ناصية وهو شعر مقدم الراس * (والاقدام) يجمع بين ناصيته وقدمه بسلسلة من خلفه ولا يضطرب ويلقي في النار وقيل يطوي كالحطب فيلقي وقيل يجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في بنانهم وقيل تارة يسحب بالناصية وتارة بالقدم فيلقي فيها وقيل يؤخذ بعض بالناصية وبعض بالقدم * (فباي الاء ربكما تكذبان) حتى لا تحذروا موجب هذا الاخذ ومن الاء اخذ اعدائكم المجرمين بالنواصي والاقدام ونجاتكم ويقال لهم * (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون) يسعون ويترددون وقرئ يطوفون بضم الياء وكسر الواو مشددة مبالغة وقرئ يطوفون بفتح الياء والطاء والواو مشددتين اصله يتطوفون ابدلت التاء طاء او سكنت وادغمت وقرئ يطافون بالبناء للمفعول من اطاف * (بينها وبين حميم) ماء حار * (ان) بلغ في الحرارة اناه اي غايته وانتهى حره يقال اني الشيء حضر ثم يلقون فيها وقيل يقال ذلك وهم فيها وذلك توبيخ لهم وقيل لا يقدر القول وانما ذلك اخبار بحالهم وعلى

التقدير بالغيبة التفات سكاكي لان مقتضي الظاهر يقال لهم هذه جهنم التي
تكذبون بها تطوفون الخ * وامكنه الوصف بالاجرام انه هو السبب ومراعاة
لحق حال غائبة اولا التفات بل يقال ذلك في الاخرة بالغيبة صونا عن
خطابهم لحسنهم وللامر الواحد اعتبارات وقرأ ابن مسعود هذه جهنم التي
كنتما بها تكذبان لانهما تموتان فيها ولا تحييان وهي مثوية للاثنين وذلك الماء
يصب عليهم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الذي كالمهل
وقال كعب الاحبار رضي الله عنه ان وادبا من اودية جهنم يجتمع فيها صديد
اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتي تنخلع اوصالهم ثم يخرجون
منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيردون في النار فذلك الطواف بينها
وبين الحميم الآني وذكر ان شجرة الزقوم نبتت في الباب السادس من ابواب
جهنم علي صخرة من نار تحتها عين من الحميم سوداء غليظة فيسلط على
احدهم الجوع فينطلق به فياكل منها ملأ بطنه فيغلي بطنه كغلي الحميم
فيطلب الشراب يبرد به جوفه فينزل من الشجرة الى تلك العين التي
تخرج من تحت الصخرة من فوقها الزقوم ومن تحتها الحميم فتزلق قدماه
على الصخرة فيقع بظهره وجنبه فيستوي عليها كالسمكة على المقلي وتسحبه
الخزنة على وجهه فينحدر على تلك العين ويسقيه الخازن في اناء من حديد
من نار فاذا دناه من فيه اشتوى وجهه فاذا وضعه على شفتيه تقطعت شفتاه
وتساقطت اضراسه ولسانه من حره فاذا استقر في بطنه اخرج ما فيه من
دبره وعن ابن عباس ان في اصل جهنم شجرا لا يد المكافر من الاكل منها
ملأ بطنه مرة بعد اخري وعن الحسن وقد غلى ذلك الماء منذ خلق السموات
والارض واعراب آنٍ على الباء المحذوفة الالتقاء الساكنين كقاض *
(فباي الاء ربكما تكذبان) هو كالذي قبله مع ان ما مر كله مواعظ وزواجر

فهي

فهي نعم * (ولمن خاف مقام ربه) اي قيامه بين يدي ربه للحساب فيترك
المعصية والاضافة تشريف والمقام مصدر او الموضع الذي يقوم فيه للحساب
فهو اسم مكان او الزمان الذي يحاسب فيه فهو اسم زمان وذلك تفسير
الحسن وقال مجاهد مقام ربه اطلاعه عليه فيترك المعصية التي اهتم بها فهو
مصدر ميمي ويصح كونه اسم مكان او زمان اى يخاف مقامه اي حضرته
وقيل المراد عظمته وهو كذلك وقيل خوف مقامه المراقبة لله سرا وعلانية
بترك المعصية ويخلص الطاعة ويحب السر وقيل مقامه حفظه ومراقبته
وقيل المقام مقحم كقولك اخاف جانب فلان * (جنتان) قيل جنة
للخايف الانسي وجنة للخايف الجني كانه قيل ولكل خايف منكما جنتان جنة
للانسي وجنة الانسي وقيل لجنتان للواحد جنة للطاعة وجنة لترك المعصية
وقيل جنة للثواب وجنة للمفضل وقيل جنة عدن وجنة نعيم وكان
شاب في زمان عمر رضي الله عنه في غاية الجمال والحسن واعجبه وتفرس فيه
الخير فاجتاز الفتى بامراة فاعجب بها ولما وهم بها نزلت عليه الخشية وعصمة
الله فوقع على وجهه مغشيا عليه فحملته المراة الى منزله وكان له اب شيخ كبير
اذا امسي جلس على الباب ينتظر فما راءه الشيخ غشي عليه ولما افاق سأله
عن حاله فقص عليه ثم صاح صيحة فخر ميتا ودفن وقراء عمر على
قبره ولمن خاف مقام ربه جنتان فنادا ه من القبر ان الله اعطانيهما
وزادني ثالثة وقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله وقيل روحانية
وجسمانية وكذلك ما جاء مثني بعد وفي الحديث من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة ادلج
باسكان الدال سار اول الليل وبالشد السير اخره والمراد هنا الاول
اي بكر للامر وجد والخايف جنتان وان زنى وان سرق وان زنى

وان سرق وان زنى وان سرق ان تاب وان مات بلا توبة فليس بخايف * (فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان) بالتنوين جمع فن وهي الغصون المستقيمة طولا وقيل ظلال الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس الوان الفواكه وقال عطاء في كل وعصن فنون من الفواكه فجمع بين القولين وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما وقيل الافنان انواع الاشجار والثمار وقيل ان الغصن الفنن بترك الادغام النوع الفن وجمعها افنان وخص الافنان من الاشجار على تفسير الاغصان لانها منها يمتد الظل وتجتني الثمار وقيل الافنان انواع النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال

ومن كل افنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش اخضر ناضر

وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة فالواو عن الف ذات والالف بعدها عن لام الكلمة واصلها واو او ياء والتاء للتانيث والالف للتثنية * (فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) في الاعالي والاسافل من غير اخدود احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل وتجريان من جبل مسك وقيل احدهما الماء والاخرى الخمر * (فباي الاي ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف وقيل رطب ويابس وعن ابن عباس ما في الدنيا شجرة حلوة او مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو * (فباي الاء ربكما تكذبان متكيين) منصوب على المدح للخايفين او حال من من لان من خاف في معنى الجمع او حال لمحذوف اي يتنعمون متكيين * (على فرش) وقرى باسكان الراء * (بطائنها) جمع بطانة او بطين وهو ما يلي الارض لخفائه (من استبرق) ديباج ثخين اي غليظ وهو بالفارسية استبره واذا كانت

البطاين من استبرق فما ظنك بالظهائر قيل له صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق فكيف الظواهر قال من نور يتلالاء وقيل ظهايرها من سندس وهو الديباج الرقيق والمراد بالنور في الحديث نور جامد وقال الحسن البطائن الظواهر وهي التي تلي جلودهم فهي بطائن والصحيح ما مر وقيل انما بين البطائن ولم يبين الظواهر لانها لا تعرف بشيء في الارض * (وجنى الجنتين) الجنى ما يجتني من الثمار فهو الثمار كالنجا بمعنى ما ينجي اي يسلخ وهو الجلد وقد يطلقان مصدرين وقرى بكسر الجيم * (دان) بالتنوين كقاض اي قريب بناله مضطجعا في فراشه او قايما او قاعدا او متكئا لا يرد بهم عنها بعد ولا شوك لعدمها وقيل بعيدة واذا اراد ها دنت منه وما جني عاد في موضعه * (فباي لاي ربكما تكذبان فيهن) اي الجنات لانه من خاف جنتان فتلك جنتان او في الاماكن والقصور من الجنتين او فيهما وفي ما شتملتا عليه من ذلك او للفرش او في لالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجني كما تقول زيد في الدار والبيت الا في موضع واحد منها * (قاصرات الطرف) اي نساء قاصرات ابصارهن على ازواجهن والطرف جنس اي حبسن اعينهن عليهم لا يطرون الغيرهم ثواب لمن خاف وقصر طرفه في الدنيا عن الحرام والشبه واللذات وزينتها تقول الزوج لزوجها وعزة ربي ما اري في الجنة شيئا احسن منك الحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) اي لم يطمث الانسيات انس ولا جان ولا الجنيات جن ولا انس وذلك ان الادميين قد يتزوجون الجنيات في الدنيا وقد يزنون بهن والجن قد يزنين بالانسيات في الدنيا وفشى ذلك في الجاهلية وذكروا ان من لم يسم

الله عند ارادة لجماع جامع الجن معه فنفى الله عن نساء الانس التى يعطون من الحور وعن نساء الجن كذلك ان يكن وقيل لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفي الاية دليل علي ان لجن تجامع كل لانس في الدنيا وعلى ان لهم ثوابا وهن حور وزعم بعض ان نسائهم في الجنة منهم وقيل ان تلك القاصرات ادميات للادميين وجنيات للجن يجعلهن الله ابكارا ومنهن من يموت في الدنيا بكرا وقيل الطمث الجماع وقيل دم الفرج اي لم يفضهن انس ولا جان قبلهم في الجنة اي لم يخرج ذلك الدم وقرئ الكعبي بضم الميم وقيل ادميات وجنيات يخلقهن الله هناك * (فباي الاء ربكما تكذبان) صفة * (والمرجان) اي الموءلؤ بياضا اركانهن الياقوت في حمرة الوجنة والمرجان في بياض البشرة وصفاؤها او المرجان الحجر الاحمر والياقوت اراد به الياقوت من حيث الصفاء واحسن الالوان البياض المشوب بحمرة والياقوت حجر اذا دخل فيه سلك اري من خارج للصفاء ونساء الجنة يرى مخهن من وراء سبع حلة كالشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء واول زمرة يدخلون الجنة كالقمر التام وبعدهم كالكوكب الدري لا يبصقون ولا يمتخطون انيتهم الذهب والفضة ومشاطهم الذهب ورشحهم المسك ولكل واحد زوجتان وبخورهم العود يسبحون الله بكرة وعشيا وقالت امة صلى الله عليه وسلم عجمته ادعوالله ان يجعلني من نساء الجنة فقال لا تدخلها عجوز فولت تبكي فقال باعمتي تدخلها العجوز بكرا * (فباي الاء ربكما تكذبان هل) ما * (جزاء الاحسان) بالعمل * (الا الاحسان) بالثواب والمعرفة هنا غير الاولى على خلاف الغالب او هي عينها باعتبار الحقيقة فانما هي الاحسان بالعمل والاحسان بالثواب واحدة والاية في المومنين

وعن بعضهم الاحسان الاول الايمان قال ابن عباس والحسن لا اله الا الله بعمل صالح ثمن الجنة وقال محمد بن الحنفية وابن المنكدر وابن زيد الاية عامة للكافر والمومن ان احسن الكافر احسن الله في الدنيا ويجازي المؤمن على حسناته في الدنيا والاخرة وفي الاخرة قالها صلى الله عليه وسلم وقال هل تدرون ما قال ربكم عز وجل قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وحضر قاضي برحتي واصح هذا الحديث ونحوه اوجب الوقوف عليه ولكن الشان في الصحة بل هو صحيح لكنه مقيد بالعمل الصالح واراد التوحيد التام وهو المصاحب بالعمل بل العمل من مقتضيات التوحيد وقيل هل جزاء من احسن اليكم بالنعيم الان تحسنوا له العبادة وقيل الاية عامة حتى ان من احسن اليك من الخلق يجب عليك ان تحسن اليه وصحته للمر وفي الاية مائة قول وكذا في اذكروني اذكركم وكذا وان عدتم عدنا * (فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما) اي تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين السابقين * (جنتان) لمن دونهم من اصحاب اليمين وهم المقتصدون قيل وهم المحاسبون يسيرا والاولون لا يحاسبون وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج جنتان للسابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الحسن السابقون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون من بعدهم وبعد فالجنان الجنات الاربع لمن خاف مقام ربه فانصف لكل الاخيرتين دون الاولتين في الحسن او معنى ومن دونهما امامهما وقبلتهما وقد قال الضحاك الاوليان من ذهب وفضة والاخيرتان من ياقوت وزبرجد فيها فضل * (فباي الاء ربكما تكذبان) وفي

الحديث الجنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما * (مدهامتان) خبر لمحذوف اي هما او نعت والجملة بينهما معترضة وهو اسم فاعل من قولك ادهام بالالف واتشديد كاصفار واحمار كذلك واصل هذه المادة اللون العارض القريب الزوال واستعملت هنا للدوام والاصل مدهامتان بكسر الميم الاولى سكنت وادغمت في الثانية وبسطت الكلام على هذه المادة في شرح اللامية والمعني خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة لشدة الري قال البخاري سودا وان من الري والمراد الوصف بانهما ناعمتان قال القاضي وفي الايه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على الارض وعلى الاولتين الاشجار والفواكه ودلالة على ما بين ذلك من التفاوت * (فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لاتنقطعان وانضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة لانه الرش فقط اوفوق الرش بقليل قيل تنبعان من اصل الجنتين ثم تجريان واما عينا الاوليين فتجريان من اصولهما وذلك من جملة التفاوت وكذا ماياتي اقل مما ذكر للاولتين وعن ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنه وقال ابن مسعود بالمسك والكافور وقال اوس بن مالك بالمسك والعنبر على دور اهل الجنة كطش المطر * (فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) خصها بالذكر العامة لهما تشريفا لهما وبيانا لفضلهما حتى انهما لعزيتهما كانتهما جنسان اخران وقد قال ابو حنيفة من حلف لايا كل فاكهة فاكل رمانا اورطبا لم يحنث وخالفه صاحباه وذلك ان التحل رطبه فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه قاله جار الله واراد المزية واد فكثير من الفواكه كذلك لكن دونهما لما

ابو

ابو حنيفة يراها غير فاكهة وجذوع نخل الجنة ذهب وسعفها حلل ورطبها كاثل هجر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واليانع من الزبد قاله الحسن وعن ابن عباس جذع نخل الجنة ذهب احمر وكرباها زبرجد اخضر وثمارنخلها دار ابيض وسعفها الحلل ورطبها اشد بياضا من الفضة واحلى من العسل واليانع من الزبد ليس في شيء منه عجم طول العذق اثنا عشر ذراعا مضود من اعلاه لاسفله السمر كانه كله قطعت عادت وعن ابن عباس جذعها زمرد اخضر وكرباها ذهب احمر وعن ابن مسعود من اصلها الى فرعها ثمر نضيد وفي حديث الاسراء ثم اعطيت الكوثر فسلكته حتى انتهيت بي في الجنة فاذا الرمانة كالبعير المقتب مراده كالبعير مع قتابه وعن الحسن قال صلى الله عليه وسلم في كل رمانة حبة من رمان الجنة احسبه قال لايا كلها المنافق * (فباي الاء ربكما تكذبان فيهن) اي في الجنتين ومافيهما على مامر وزعم الخازن ان الضمير للجنات الاربع * (خيرات حسان) الاصل خيرات بالتشديد كما قرئ به وخفف وليس جمع خير الذي هو اسم تفضيل لانه لايجمع بالالف والتاء ولا بالواو والنون اي فاضلات الاخلاق حسان الخلق وسالته صلى الله عليه وسلم ام سلمة فقال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وفي الحديث لروحة اوغدوة في سبيل الله خير من الدنيا ومافيها ولقاب قوس احدكم في الجنه اوقيد سوط خير من الدنيا ومافيها ولواطلعت امراة منها على الدنيا لملات ماضوءا وريحا وخمارها خير من الدنيا ومافيها * (فباي الاء ربكما تكذبان حور بيض في تفسير العامة وبحار الناظر فيهن ويرى وجهه في عنقهن في تفسير مجاهد ومر غير ذلك * (مقصورات) محبوسات مستورات * (في الخيام) في بيوتهن والبيوت من درمجوف ولولوء وزبرجد مجوف

من لى القصور قال ابو موسي الاشعري ان للمؤمن خيمة طولها في
السماء ستون ميلا وفي رواية عرضها ستون ميلا فيها اهلون يطوف عليهم
لا يرى بعضهم بعضا عن ابن عباس الخيمة لؤلؤة مجوفة فرسخ في فرسخ لها
اربعة الاف مصراع من ذهب على كل مصراع وصيف قايم . قيل
مقصورات جعلهن الله قاصرات عيونهن وانفسهن على ازواجهن لا يبغين
بدلا وفي رواية عنه ان للمؤمن من خيمة بيضاء من لؤلؤة طولها
ثلاثون ميلا * (فباى الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان) كبور الاولين والمراد قبل اصحاب الجنتين ان قلنا غير اصحاب
الاولين دل عليهم ذكر الجنتين * (فباي الاء ربكما تكذبان متكئين)
فيه مامر * (على رفرف خضر) نوع كالبسط وقيل البسط وقيل
الوسايل والمرافق . قال الحسن المجالس وقيل عن ابن عباس رياض
الجنة المخصبة الخضر وقيل كل ثوب عريض، وقيل مجالس خضر فوق
الفرش وقيل ما يتدلى من اطراف الثياب من خيوط اوما يتدلي من
الخباء من الخرقة للغاية حوله والمفرد رفرفة والخضر جمع خضراء وقري
رفارف خضر بضمتين وعن الكساءى ضم ميم يطمثهن * (وعبقري)
اراد به الجنس ولذلك نعته بالجمع في قوله * (حسان) وهو الزرابي
والطنافس وقيل الطنافس الرقيقة وعن ابن عباس والكلبي الزرابي وعن
ابن زيد الطنافس وعن مجاهد عن ابن عباس العبقري الوسايد وعن
الحسن الافرف المجالس والعبقري المرافق قال الخليل والاصمعي كل
خليل نفيس من الرجال وغيرهم عبقري عند العرب قال صلي الله عليه
وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا يفري فريه فعار مثلا لكل شيء
عجيب رفيع وعنها ان العرب اذا استجادت شيئا قالت عبقري وقيل

ان العبقري بسط حسان فيها صور تصنع في عبقر وهو موضع يعمل
فيه الوشي والديباج والبرب قيل تسمي كل ثوب موشي عبقريا وقيل
نسب الى عبقر بلد بالجن ينسبون اليه كل عجيب لانهم يعتقدون فيهم
كل صفة واعمال عجيبة وقري عباقري عباقري نسبة الي عباقر اسما للبلد وروي
ابو حاتم عباقري بمنع الصرف ولا وجه له ولا يخفي افضليه ذواتا افنان
عن مدهامتان وتجريان عن نضاختان وكل فاكهة عن فاكهة وكذا
صفات الحور والمتكئ * (فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام) وقراء ابن عامر ذو الجلال بالواو علي انه نعت للاسم
وقد قيل ان المراد به المسمي والمشهور انه زائد قيل ان المعنى ان الاسم
في نفسه ذو الجلال والاكرام لعظمته ودلالته على الاكرام وسببيته للاكرام
في الدعاء به وكتابته وغير ذلك ختم الاء الدنيا بذي الجلال والاكرام والاء
الاخرة بذي الجلال والاكرام اشارة الي تحميده وتمجيده وكان صلى الله
عليه وسلم اذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك
السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ولا يقعد بعد السلام الا مقدار ما يقول
ذلك فيما روي عن عايشة والدعاء بياذا الجلال والاكرام مرجو الاجابة
اللهم ياذا الجلال والاكرام ببركة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وببركة
السورة اخز النصاري واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين
عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *

سورة الواقعة

مكية الاثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم
الى تكذبون وقيل الا فيهذا الحديث الا يه وثلة من الاولين الاية
واياها تسع وتسعون وكلمها ثلاثمائة وسبعون وحروفها الف وسبعمائة
وثلاثة أحرف وفي الحديث من قراء سورة الواقعة كل ليلة او غدوة
لم تصبه فاقة ابدا وتهون الم المرض والموت والفاس ومن قراءها طاهرا
صباحا ومساء لم يجتمع ولم يعطش ولم تلحقه شدة ولا خوف ولا فقر *

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وحدثت وسماها الواقعة لانها
تقع لامحالة فكانه قيل اذا نزلت التي لابد من نزولها ويقال حدثت
الحادثة وجواب اذا محذوف اي كان كذا وكذا واجاز بعض كونها مفعولا
به لمحذوف اي اذكر اخراجا لها عن الصدر والشرط واجاز بعض
كون الجواب ليس ويرده عدم اقترانه بالفاء لكن قد ورد غير مقرون
وقيل الواقعة النفخة الاخيرة وعن ابن عباس الواقعة اسم من اسماء
القيامة وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور * (ليس
لوقعتها كاذبة) نفس تكذب بها كما كذبت بها في الدنيا او قصة
كاذبة اي كل مخبر بها صادق وقيل كاذبة مصدر كالعافية اي
كذب وقيل اسم مصدر اي تكذيب وكل نفس يومئذ مومنة
فلما رأوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تاتيهم الساعة بغتة وقيل لاتكون حين تقع نفس تكذب على
الله واللام للتوقيت مثل لدلوك الشمس وكتبته لليلة مضت من المحرم
او للتعليل اي ليس لاجل وقوعها كاذبة او لمعنى من قولك كذبت

زيدا

زيدا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت لك تطيقه
واهلكته اي لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه عند عظام الامور
من الاحتمال والطاقة لانهم يومئذ اذل والامر اشد وهم كالفراش
المبثوث * (خافضة) خبر لمحذوف اي هي القيامة خافضة لاقوام *
(رافعة) لاخرين وصفها بالشدة تبعا لقوله وقعت الواقعة فان
الواقعات العظام يرتفع بها قوم وينخفض اخرون وقال قتادة تخفض
اقواما في النار لا يرتفعون ابدا وترفع اقواما الى الجنة فلا ينزلون
وقال ابن عباس ترفع اقواما كانوا في الدنيا متخفضين بالطاعة وتخفض
اقواما مرتفعين وقيل تزازل الاشياء عن مقارها فتخفض بعضا وترفع
بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتناثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر
في الجو مر السحاب وقري بنصب خافضة رافعة على الحال وقيل المعني
مظهرة لخفض اقوام بدخولهم النار ولرفع اخرين بدخولهم الجنة * (اذا رجت
الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم ما فوقها من بناء وجبل
ويتكسر كل ما فيها خوفا من الله اذا اوحي اليها واذا بدل من الاولى
او متعلق بخافضة او رافعة ويقدر للاخر واذا قدرنا جواب الاولى قدرناه
بعد منبثا او جعلنا هذه بدلا منها واجيز ان يكون الجواب فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة وقري ببناء رجت وبست للفاعل اى ارتجت وذهبت
(وبست الجبال بسا) فتتت وكانت كالدقيق المبسوس وهو المبلول
قاله ابن عباس وقيل سيقت كالغنم وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد
ارتفاعها وقيل قلعت من الاصل * (فكانت هباء) غبارا وعن ابن
عباس الهباء ما يتطاير في الهواء من الاجزاء الدقيقة ولا يكاد يرى الا في الشمس
اذا دخلت من كوة * (منبثا) منفرقا ذاهبا بالمعجمة وقري بالمثناة اي

منقطعا (وكنتم ازواجا) اصنافا بقبل الاصناف التي يضم بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج * (ثلاثة) اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون . قيل المؤمن والمنافق والمشرك فالمؤمن شامل لاصحاب الميمنة والسابقين والمنافق والمشرك داخلان في صحاب المشئمة * (فاصحاب الميمنة) مبتدا اي اصحاب المنزلة الميمنة اي السنية (ما) خبر لما بعده او مبتدا له والجملة خبر لما قبله * (اصحاب الميمنة) والاستفهام تعجبي وتعظيم وبذلك اقام الظاهر مقام المضمر والاصل ماهم * (واصحاب المشئمة) المنزلة الدنية يقال فلان مني باليمين وفلان بالشمال وصفا بالرفعة والضعة لتيمنهم باليمين وتشؤمهم بالشمال حتى اشتقوا لليمن الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى * (ما اصحاب المشئمة) تعجيب وتحقير وقيل اصحاب الميمنة الذين كانوا ميامين على انفسهم بالطاعة اي مباركين فهم اصحاب اليمن اي البركة واصحاب المشئمة اصحاب الشوم وهم المشائيم على انفسهم بالمعصية وقيل اصحاب الميمنة من يوتى صحيفته بيمنه واصحاب المشئمة من يوتى بشماله وقال بعضهم الذين يوخذبهم ذات اليمين للجنة والذين يوخذبهم ذات الشمال للنار وعن ابن عباس الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية وقال الله سبحانه وتعالى هولاء الى الجنة ولا ابالي والذين على شماله وقال عز وجل هولاء الى النار ولا ابالي (والسابقون) الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير توان او الى حوز الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم سابقون لذلك وقال ابن عباس السابقون الى الهجرة وقيل من صلى للقبلتين وقيل الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل المسارعون للتوبة وقيل اهل القران وعنه صلى الله عليه وسلم هم من اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس

بحكمهم لانفسهم وهو مبتدا وقوله * (السابقون) خبره اي السابقون هم من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقول ابي النجم *

* اذا ابوا النجم وشذري شعري *

اي شعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وقيل السابقون الى الخير هم السابقون الى الجنة وقيل السابقون نعت للتوكيد وقيل توكيد لفظي والخبر جملة (اولئك) هم (المقربون) قرب رحمة ورضى ويقربون قرب درجة اي درجاتهم عالية وهم في ظل العرش قريبون من العرش قيل السابقون الاول معطوف واصحاب الميمنة خبر لمحذوف اى هم اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون فالوقف عليه والسابقون الثاني مبتدا خبره الجملة ولا باس بما اورده بعض * (في جنات النعيم) وقري في جنه النعيم والافراد مرادا بها مجموع الجنه اوجنس اجتهم والاذكر الاهوال ذكر المحسن ليزداد احسانا والمسيئ ليرجع الى الاحسان فالسابق المقرب قيل هو من انكر الخير في صغره ودام حتي مات واصحاب اليمين من ابتكروا الذنوب وغفلوا وماتوا تائبين واصحاب المشئمة من لم يتوبوا وهو الذي لا مزع سماه * (ثلة) جماعة كثيرة لا تحصى * (من الاولين) الامم السابقة من آدم الى نبينا محمد صلى الله وسلم عليهما * (وقليل من الاخرين) من هذه الامة الاخرة والثلة من الثل وهو الكسر كان الامة من الام وهي الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم وثلة مبتدا للتقسيم خبره من الاولين وكذا قليل من الاخرين وكل من الثلة والقليل مقربون وقيل ثلة خبر لمحذوف وقليل معطوف اي هم ثلة وقليل وكون الاخرين هم هذه الامة لانها في قوله صلى الله عليه وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر

من تابع الامم ومن الحسن سابقوهم اكثر من سابقي الامة وتابعوهم مثل تابعيها وهذا في السابقين فلا ينافي وثلة من الاخرين لانه في اصحاب اليمين وكثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وعن مقاتل ان هذه منسوخة بقوله وثلة من الاخرين روي ان الصحابة حزنوا بقوله وقليل من الاخرين فنزل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وبرده انه لا نسخ في الاخبار وروي ان الفريقين في امتي سابق اول الامة ثلة وسابق سايرها الى يوم القيامه قليل وقيل الثلث سباق المهاجرين والانصار والقليل اصحابه بعدهم وعن عائشه كلاهما في امة كل نبي هي في الصدر ثلث وفي اخر الامة قليل قال الدهلي اخر من يخرج من النار رجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنه تعالوا نسأله هل بقي بعدك في النار احد يقول لا اله الا الله ولا خروج عندنا * (على سرر موضونة) منسوجة بقضبان الذهب والجوهر والياقوت الرطبة وعن عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وقيل موضونة موصول بعضها ببعض اي ادني بعضها البعض والجار والمجرور خبر خبر للضمير المقدر في قوله ثلة وان لم يقدر فخبر لمحذوف اي هم على سرر (متكئين) حال من ضمير الاستقرار في على سرر * او عليها متقابلين) لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفهم بحسن العشرة وزعم بعضهم انهم صاروا ازواجا وحانية ليس لهم ادبار وظهور وعن بعض ان ذلك في الزيارة اذا تزاوروا * (يطوف عليهم) للخدمة * (ولدان مخلدون) مبقون ابدا على اشكال الولدان وحد الخدمة قاله ابن كيسان وقيل مقرطون والخلدة القرط وهي الحلقه تعلق في الاذن وعليه الفخر واختار بعضهم الاول لشهرته قال العرب لمن كبر ولم يشب انه لمخلد قيل هم اولاد الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها

فقيل اولاد المؤمنين ورد بانهم ملحقون بآبائهم وبان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد المؤمن الاخر لكان منقصة لابيه وقيل اولاد الكفار وفي الحديث اولاد الكفار خدم اهل الجنة وزعم بعض ان اولاد الكفار في النار ونسب لاكثر قومنا وتوقف بعض وعليه اكثرنا وقال بعضنا في الجنة والصحيح ان الولدان في الاية يخلقون في الجنة كالحور وسموا اولادا مع انهم لم يولدوا لانهم خلقوا على شكل الاطفال وقيل ان في الجنة ولادة (باكواب) جمع كوب اناء لا عروة له ولا خرطوم * (واباريق) جمع ابريق وهو اناء له عروة او خرطوم سمي قيل لبريق البريق لونه من الصفا بري باطنه من ظاهره * (وكاس من معين) اناء شرب الخمر وهي خمر جارية ظاهرة لا تنقطع وذلك حال الشرب وغيره * (لا يصدعون) لا يصابون بصداع صدر * (عنها) او بسببها فعن للمجاوزة او للسببية او المعنى لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد بفتح الياء وتشديد الصاد كالدال ادغام التاء فيه بعد اسكانها وقلبها صادا اصله لا يتصدعون اي لا يحصل لهم صداع ولا يتفرقون عنها وقري يصدعون بضم الياء وفتح الصاد بلا تشديد وكسر الدال مشددة اي لا يفرق بعضا والضمير للخمر المعلومة من الكاس او للكاس نفي عنها ما يحصل من خمر الدنيا من صداع الراس والتفريق بسببه * (ولا ينزفون) لا تذهب عقولهم بالبناء للمفعول من انزفه الشراب اذهب عقله وقرأ الكوفيون بفتح الياء وكسر الزاي من نزف عقله ذهب وقيل لا ينفد شرابهم * (وفاكهة مما يتخيرون) ياخذون خيره وافضله اي يختارون * (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون وقري لحوم ونفس الجائع تميل الى اللحم اذا حضر مع الفاكهة والشبعان الى الفاكهة واهل الجنة ياكلون تلذذا وتفكها لا جوعا ولذا قدم الفاكهة

وصفها بالتخير واخر اللحم ووصفه بالاشتهاء والطير كالابل تصف فرسخا
وطيورها ولي لله كل مني فقد رعيت في كذا وكذا فيها اشتهاه منها
اضطاب ووقع في مائدته نصفين قديرا وشواء ويؤكل منه اربعين سنة كلما
شبع التى عليه الف باب من الشهوة واذا اشتهى طعاما جاءت طيور خضر
ترفع جنحتها ويؤكل من جنوبها ما شاء * (وحور عين) الحور شديدات
سواد العين وبياضها والعين ضخام العيون والطف على والدان وقيل
مبتداء اي وفيها حور او لهم حور وقراحمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات
اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان المعنى ينعمون باكواب
وقري بالنصب اي ويؤتون حورا * (كامثال اللؤلؤ المكنون)
المصون عما يغيره او الذي في صدفه لم تمسه اليد ولا الشمس ولا الهواء
واذا ضحكت سطع نور في الجنة واذا مشت سمع تقديس الخلخال من ساقيها
وتحيد الاسورة من ساعديها ونعالها من ذهب شراكها اللؤلؤ تصران
بالتسبيح ويضحك عقد الياقوت من نحرها * (جزاء) مفعول
لاجله اي جعلنا لهم ذلك الجزاء او مفعول مطلق اي جزيناهم
جزاء (بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا) اي في الجنة باطلا او فاحشا
من الكلام او قبيحا * (ولا تاثيما) نسبة الى الاثم لا يقال لهم اثمتم *
(الا قيلا) اي قولا قال ابو حيان اي في الجنة الظاهر ان الاستثناء
منقطع لانه لا يندرج في اللغو والتاثيم وقيل متصل وهو بعيد اه *
(سلاما) مفعول للقليل من اثمال المصدر المنون او بدل من قيلا
قيل او نعته وفيه النعت بالمصدر او مصدر * (سلاما) تكرير
للدلالة على كثرة السلام بينهم وقري برفع السلام على الحكاية اعني
انه معرب بنصب مقدر على مامر او مبتدا محذوف اي سلام عليك

سلام عليك ووجه بعضهم اتصال الاستثناء بتقدير الاسماع قيل وعن
بعضهم ان السلام من الملائكة وقيل من الله وزعم بعضهم ان قولهم
يسلم عن اللغو والتاثيم سلاما وقيل الاخير اخبرا * (واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين) هم * (في سدر) شجر النبق * (مخضود)
مقطوع الشوك اي مخلوق بلا شوك قاله ابن عباس وقال مجاهد موقر
يثني اغصانه لكثرة الحمل من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب
والثمر كقلة نظر المسلمون الى زوج وهو واد مخصب بالطايف فاعجبهم
سدره فقالوا ليت لنا مثله فنزلت الاية قال الفخر في الاية اشارة الى ان
هذا المخضد بازاء اعمالهم التى سلموا منها اذ اهل اليمين ليسوا بسابقين
قال الفخر وقد بان لي بالدليل ان اصحاب اليمين الناجون الذين
اسرفوا وعفا عنهم بادنى حسنة * (وطلح) شجر الموز عند الاكثر وقيل
شجر ام غيلان وله انوار كثيرة طيب الرائحة وقال السدي شجر يشبه
طلح الدنيا الكثير الشوك ولكن له ثمر احلى من العسل ولا شوك فيه
وفضل شجر الاخرة على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا وروي
الاول عن علي وروي عنه انه قراه وطلع بالعين فقيل له انما هو وطلح
فقال ما للطلح والجنة وقرأ لها طلع نضيد فقيل له اصلحها في المصحف
فقال ان المصحف اليوم لا يهاج ولا يغير وعن ابن عباس مثله *
(منضود) مركب بالثمار من اوله الى اخره ولا غصن ولا ساق ظاهر
عن الثمار وليس في الجنة ثمر في غلاف كالباقلا والجوز وباقلاها وحوزها
ونحوها بلا غلاف * (وظل ممدود) منبسط لا ينقبض مثله
في الرؤية ظل السحاب العام وظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
لا شمس معه وفي الحديث ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد

المنضر في ظلها مابة سنه لايقطعها وإقرأ وظل ممدود
وعن ابن عباس في الظل الممدود انه ظل شجرة على ساق يخرج اليها
اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله
عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا * (وماء
مسكوب) يسكب حيث شاء ولي كيف شاء لا الى سفل او علو بلاتعب
وقيل دايم الجري لا ينقطع وقيل مصبوب على وجه الارض يجري بغير
اخدود شبه حال السابقين في التنعم باعلى ماينصور لاهل المدن وحال
اصحاب اليمين باكمل مابتهنا اهل البادية اشعارا بالتفاوت
بين الحالين قاله القاضي * (وفاكهة كثيرة) افرادا وانواعا
(لامقطوعة) في زمان كفاكهة الدنيا وقال ابن عباس لاتنقطع اذا
جنيت وفي الحديث لاتنقطع ثمرة الا ابدل مكانها ثمرتان وقيل واحدة وقيل
لاخطر فيها كما يكون الخطر في فاكهة الدنيا بالمصايب والحوايج * (ولا
ممنوعة) بثمن او بعد ولا يرجه ما يمنع به فاكهة الدنيا ولايمنع من اراد اخذها
وقري فاكهة كثيرة بالرفع اي وفيها ولهم فاكهة * (وفرش) وقري
باسكان الراء * (مرفوعة) كما بين السماء والارض بعضها فوق بعض
او على الاسرة او علوها لعلو منزل صاحبها الذي هي فيه وقيل النساء بدل
له مابعده ورفعهن فضلا وحمالا او على الاسرة اقوال ولابعد في ذلك لان
الاخرة كلها خرق عادة وفي رواية ارتفاعها قدر مابة عام (انا انشاناهن
انشاء) ابتدانا هن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد التي ابتداء
انشاءهن وهن لحور العين والتي اعيد انشاءهن سالت ام سلمة النبي
صلى الله عليه وسلم عن الاية فقال هن اللاتي قبضن في دار الدنيا عجايز شطا
رمصا جعلهن الله بعد الكبر ابكارا على ميلاد واحد كلما اتى ازواجهن

وجدها

وجدوها ابكارا والرمص بالصاد المهملة جمع رمصاء وهي التي يجتمع الوسخ في
طرف عينها مايلي انفها والشمط جمع شمطاء وهي من خالط سواد شعرها
بياض وروي عمشاء والهاء في الاية للنساء دل عليهن ذكر الفرش اذا قلنا
انها المضاجع ومايفرش (فجعلناهن ابكارا عربا) متحببات الى ازواجهن
جمع عروب وقرأ عاصم باسكان الراء وكذا نافع في رواية عنها وصح الاسكان
عن حمزة وقال الحسن العرب العاشقات لازواجهن والاول عن ابن
عباس وقيل الغنجات وعن اسامة حسان الكلام فصيحات وروي ان نساء
الدنيا احسن من الحور لصلاتهن * (اترابا) مستويات في السن
بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك جرد مرد بيض مجعدون
مكحلون والمجعد هو الذي قص شعره والمراد بالمكحلين انهم سود الاشفار
بلا كحل وفي رواية ابناء ثلاثين وقيل معنى قوله اترابا امثالا في الخلق
والشكل والقد وفي رواية ان اهل الجنة على قدر ابن اربع عشرة في الشباب
والنظر وروي ان طولهم ستون ذراعا وعرضهم سبعة كادم * (لاصحاب
اليمين) متعلق بانشاءنا اوجعلنا قاله جار الله واجاز القاضي كونه نعتا
لابكارا اوخبرا لمحذوف اي هن اوالثلة بعده واجيز تعليقه باترابا اي
متساويات لازواجهن سنا وقدا * (ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين) لما نزل ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكي عمر
فقال لما بك وصدقك ومن ينجو منا قليل فنزلت هذه فدعاه
فاخبره فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال صلى الله عليه
وسلم ثلة من ادم الينا وثلة مني الى يوم القيمة ولا يستتمها الا سودان
من رعاة الابل ممن قال لااله الا الله واثلة الجماعة العظيمة وهذه في
اصحاب اليمين وتلك في المقربين كما مر فلا منافاة وقد عرض عليه صلى الله

عليه وسلم ليلة الاسرى الامم قال فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه
الرجل والرجلان والنبي ليس معه احد فقيل لي انظر الى الافق اذرفع الى
سواد عظيم فظننتهم امتي فقيل هذه موسى معه ولكن انظر الى الافق فاذا
سواد عظيم فقيل انظر للافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل هذه امتك
ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب ثم نهض فدخل
منزله فخاض الناس في السبعين الفا فقال بعض ولعلهم الذين ولدوا في
الاسلام ولم يشركوا فخرج عليهم فقال فيم تخوضون فاخبروه فقال
هم الذين لايرقون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام اخر وقال مثله
فقال سبقك بها عكاشة والرهيط تصغير رهط وهو مادون العشرة سافلا
وقيل ماردت الاربعون وقيل غير ذلك وقال ابن مسعود كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ثلث
اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا
نصف اهل الجنة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور
الاسود اوكالشعرة السوداء في جلد الثور الابيض وفي رواية ان امتي
ثلثا اهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك
ثمانون صفا كذا وجدت ، وروي انهم عشرون ومائة صف ثمانون من
هذه الامة واربعون من سائر الامم وقال ابو العالية ومجاهد وعطاء والضحاك
والزجاج ثلة من الاولين من امن بالنبي وعاينه ممن في عصره وثلة من
الاخرين من يأتي بعده مؤمنا والمشهور الاول وفي الحساب الاطفال
تكمل العدة باطفالنا واطفالهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا الله ورسوله اعلم قال ايسركم

ان تكونوا شطر اهل الجنة قالوا الله ورسوله اعلم وروى انه
قال اني لارجوان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله واستبشروا
ثم قال اني لارجوان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا وحمدوا
واستبشروا ثم قال اني لارجوان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا
وحمدوا واستبشروا قال الحسن ان ذلك هو قوله عزوجل ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين * (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال
في سموم) ريح حارة من النار تنفذ المسام او حر النار ينفذ المسام
ومر مثله * (وحميم) ماء متناه في الحرارة * (وظل من يحموم)
دخان شديد السواد وهو يفعول من الحمة وهي السواد هذا
قول ابن عباس والجمهور وقيل هو سرادق النار المحيط باهل
النار فانه يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وفسر بعضهم هذا السرادق
بالدخان وقيل اليحموم جبل في النار اسود وقيل اسم من اسماء النار
وهي سوداء وكل شيء فيها اسود * (لا بارد) كغيره من الظلال فلا
ينفعهم اذا اووا اليه من الحر بل يزيدهم حرا * (ولا كريم) اي لاحسن
المنظر كسائر الظلال لانه من النار وقيل لا نافع وذلك نفي لصفتي الظل
والظاهر ان نفي ذلك ابلغ من ان يقال ظل حار ضار كريه مبتن وفيه تهكم
بان اصحاب الشمال لايستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لضدهم في
الجنة وقري بالرفع اي لاهو بارد ولا كريم قيل وهو الظل الذي لايغني عن
اللهب * (انهم كانوا قبل ذلك) اي في الدنيا * (مترفين) منعمين
في سرف وغنى ولا يتعبون في الطاعة وهم المشركون * (وكانوا يصرون
يقيمون (على الحنث) الذنب اي جنس الذنوب وقيل الاعتقاد
السيء وهو الشرك * (العظيم) وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس

يحالفون انهم لا يبعثون يقال بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المواخذة بالاثم وحنث في يمينه خلاف بر وتحنث تاثم وتحرج اي تجنب الاثم والحرج (وكانوا يقولون ائذا متنا) همزة الانكار واذا الشرطية وجوابها محذوف اي نبعث اذا نالمبعوثون لعدم الفاء وكررت الهمزة في قراءة غير الكسائي ونافع في اء نالمبعثون وقوله اوابائنا في قراءة وهي الهمزة قبل الواو العاطفة المفتوحة اصالة تاكيدا لانكار البعث ولاسيما حال كونهم ترابا وعظاما كما قال * (وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) بتحقيق ~~همزتي~~ ائذا وهمزتي ائنا وتسهيل الثانية في موضعين وادخال الف بينها على التحقيق والتسهيل * (او ابائنا الاولون) نقرؤه باو العاطفة فالهمزة ليست للاستفهام بل بعض ولكن نقل فتح همزة ابائنا الواو فتحذف هذه الهمزة لنقل حركتها فتمد الواو بالف التي كانت الهمزة المحذوفة ممدودة بها وذلك قراءة ورش واما نافع فقيل عنه بسكن الواو والعطف على الضمير المستتر في مبعوثون بلا فاصل على القلة اوعد الواو والنون فاصلين ولوكانا من تتمة الاسم لان الاستتار فيما قبلهما اومحل اسم ان الذي هو الرفع عند الكوفيين او مبتدا محذوف الخبر والمعطوف جملة وقري بفتح الواو واثبات الهمزة بعدها مفتوحة ونسبت هذه لورش في بعض الروايات فالواو عاطفة والهمزة قبلها للاستفهام كما مر وتكفي فاصلا دخلت المدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وقرأ ابن عامر كنافع * (قل) يا محمد * (ان الاولين والاخرين لمجموعون) وقري لمجموعون بالتشديد للتوكيد * (الى ميقات يوم معلوم) هو يوم القيامة والى على اصلها لانهم ينتهون اليه او بمعنى في اولام التوقيت والميقات ما يحد به الشيء والاضافة

للبيان اي هو يوم معلوم * (ثم انكم ايها الضالون) عن الهدى والخطاب اهل مكة وقيل لكل كافر * (المكذبون) بالبعث (لآكلون من شجر من زقوم) من الاولى للابتداء والثانية للبيان قاله ابن هشام وغيره * (فمالئون منها البطون) الضمير للشجر والتانيث باعتبار المعنى (فشاربون عليه) الضمير للشجر وذكره باعتبار اللفظ كذا قال جار الله والظاهر عوده للزقوم وقري من شجرة فالتذكير للزقوم وقيل لها التاء بالحمل بالزقوم لانه تفسيرها * (من الحميم فشاربون شرب الهيم) وانما عطف الشاربين على الشاربين للاختلاف من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فالصفتان مختلفتان بينهما عموم وخصوص من وجه والشرب بالضم مصدر وهو قراءة عاصم وحمزة وقري بالفتح كذلك وقري بالكسر على انه بمعنى المشروب فيكون مفعولا به لا مصدرا كالاولين والهيم الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب فلا تروي ولا تزال تشرب حتى تموت او تمرض شديدا وهو ماء اصفر في البطن يجتمع في البطن يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء كاحمر وحمراء قال ذو الرمة *

فاصبحت كالهياء لا الماء مبرد * صداها ولا ينقضي عليها هيامها

والاصل ضم الهاء في الهيم ولكن كسرت لئلا تقلب الياء واوا وقيل جمع هيان وهيبي كعطشان وعطشى والمراد العطاش وقيل جمع هايم لان الجمل اذا اصابه ذلك الداء هام على وجهه وقيل جمع هيام بالفتح وهو الرمل الكثير الذي لا يتماسك ولا يروى وقيل الارض ذات الرمل والاول قول ابن عباس والثاني قول الكلبي وقال الحسن الابل الطوال التي تشرب حتى تبقطع اعناقها وروي عن ابن عباس والثوري انها الرمل الكثير الذي لا

ائذا بائنا بالواو لابائنا وقرا قالون باو بلا نقل لحركة الهمزة من ابائنا

يروي وعلى كل حال الاصل ضم الهاء روي انه يسلط عليهم الجوع حتى يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل وهو دردى الزيت او ذائب الفضة او النحاس فاذا ملأوا بطونهم سلط عليهم العطش حتى يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعائهم فيشربون شرب الهيم * (هذا نزلهم) اي قراهم بكسر القاف وهو ما يهيئ للضيف تكرمة له وهو مجاز لانهم لا ينفعهم ذلك بل يضرهم وذلك كقوله *

تقرتهم لهزميات تقدبها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وقوله

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنى والمرهفات له نزلا

وفي ذلك تهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم وقري باسكان الزاي * (يوم الدين) يوم الجزاء قال الشيخ هود رحمه الله دخل رجل على علي بعدما صلي الصبح فقال يا امير المومنين ما بلغ عطش اهل النار فغطي وجهه بكي حتى ارتفع النهار ثم كشف وجهه فقال ابن السائل عن عطش اهل النار تعال اخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل النار ليبكون الدموع في النار زمانا حتى تنفد الدموع ثم يبكون الدم زمانا حتى ينفد ثم تقرح العيون فيخرج القيح ولو قذفت السفن في ذلك لجرت فيجتمعون ويقولون يامعشر الاشقياء نعم الزرع تزرعون لو كنتم في الدنيا امامن احد نستغيث به فيقولون ما نعلمه الا اهل الجنة فانهم ابانا وامهاتنا فيصيحون باصوات ملعونة يا اهل الجنة يا اهل الجنة يامعشر الاباء والامهات يامعشر القرابة والانساب الم تكن في الدنيا تتراحم الم نسئل فنعطي الم نظلم فنعفو انا اخرجنا من الدنيا عطاشا وسكنا في القبور عطاشا وخرجنا من القبور عطاشا ووقفنا طول الموقف عطاشا ثم سحبنا الى النار على وجوهنا عطاشا

فقد احرقت القلوب ونضجت الجلود وعميت الابصار وصمت الاذان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فيسكتون مقدار عمر الدنيا منذ خلقها الله الي يوم القيمة ثم يوذن لهم في الجواب فيقولون ان الله حرمهما علي الكافرين فينقطع رجائهم وينادون بالويل والثبور والشهيق انتهي * (نحن خلقناكم) وقد علمتم * (فلولا تصدقون) بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة او بالخلق فانهم ولو صدقوا به لكن انكارهم البعث تكذيب له فحضضهم بلولا على التصديق متيقنين محققين للصدق بالاعمال الدالة عليه والخلق (افريتم ما تمنون) بضم التاء مبنيا للفاعل والاصل تمنيون بياء مضمومة بعد نون مكسورة اي ما تقذفونه من النطف في الارحام فالمفعول محذوف اي تمنونه وقراه ابو السمال تمنون بفتح التاء من مني الثلاثي بمعني امنى ويحتملها من نطفة اذا تمنى * (ااانتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا * (ام نحن الخالقون) ولا يخفى على عاقل ان تصوير المني الذي يخرج منه او من غيره لا عمل فيه لاحد ولا ارادة ولا قدرة والاستفهام تقرير او انكار (نحن قدرنا بينكم الموت) اثبتنا وقضينا الآجال محتومة وقيل المعني سوينا بين الخلق في الموت بين اهل الارضين والسموات وهو تفسير الضحاك وعن ابن كثير قدرنا بتخفيف الدال وفي الهمزتين في انتم في المواضع الاربعة تحقيق الهمزتين وابدال الثانية وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه * (وما نحن بمسبوقين) لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اي غلبته عليه لا يرد ما نريد * (على ان نبدل امثالكم) حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى لام التعليل وما نحن بمسبوقين اعتراض وذلك على الاول اما على الثاني

فمتعلق بمسبوقين واعنى بالاول والثاني تفسيري مانحن بمسبوقين والامثال
جمع مثل بالاسكان اي على تبديلنا منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق او مثل
بالفتح اي صفة اي على تبديل صفتكم في الخلق والاخلاق التى انتم عليها
(وننشئكم) نخلقكم (فيما لاتعلمون) من الصور ان شئنا خلقناكم خنازير
وان شئنا خلقناكم قردا ومن الصفات والاية تنحو الى الوعيد وعن سعيد بن
المسيب فيما لاتعلمون في حواصل طير سود كانها الخطاطيف تكون
ببرهوت وهو واد باليمن وفيه بئر يسمى ايضا برهوت لانها في ذلك الوادى
وقيل المعنى نبعثكم في وقت لايعلمه احد فلاتتكلوا على طول المدة ولاتغفلوا
عن اعداد العدة فانكم اذا بعثتم جوزيتم باعمالكم واذا منتم لم تستطيعوا
عملا او الانشاء فيما لايعلمون احضارهم للاخرة بالموت فانهم اذا ماتوا انتقلوا
الى دار لايعلمونها (ولقد علمتم النشاة) اي الانشاءة فهو اسم مصدر بمعنى
الخلق او مصدر الثلاثي على لغة تعديه (الاولى) وهو الايجاد الاول الذي
اقروا به ففي ذلك اثبات للنشاءات الاخرى فان من قدر على الخلق
اولا يقدر عليه ثانيا واثبات لصحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس
الاخري على الاولي والمراد بالاولى خلق الخلق آدم وغيره وقيل خلق آدم
وقريء بفتح الشين * (فلولاتذكرون) حضضهم علي التذكر ليوءمنوا
بالبعث فان من تذكر الاولي انتبه والاصل تتذكرون ابدال التاء الثانية
ذالا وادغمها في الذال * (افرايتم ما تحرثون) ماتبذرون حبه *
(ا انتم تزرعونه) تنبتونه * (ام نحن الزارعون) المنبتون المقيمون
اياه علي ساق او باسطوه وليس منكم الا القاء البذر كما يلقون النطفة ويخلقها
الله كيف شاء ذكر الرزق بعد ذكر ابتداء الخلق لانه آلة البقاء وذكر
منه الحب لانه اصل المأكول ثم ذكر المشروب ولم يذكر الا الماء لانه

اصل المشروب ولاغنى عنه وذكر النار بعد ذلك لان بها صلاح كثير من
الاغذية وكون التم فاعلا لمحذوف دل عليه تزرعونه اولى عندهم من كونه
مبتداء لان همزة الاستفهام بالفعل اليق وفي الحديث لايقولون احدكم
زرعت ولكن يقول حرثت ثم تلا الراوي وهو ابو هريرة * (لو نشاء
لجعلناه حطاما) نباتا يابسا متفتتا لاحب فيه كالتبن بحيث لاينتفع به
في مطعم ولاغيره ويبطل بذلك قول من يقول انه يكون زرعا بنفسه لا
بفعلنا ولابفعل غيرنا فهل يدفع عن نفسه او تدفعون عنه الافات
(فظلتم) اصله ظللتم بلام مكسورة حذفت تخفيفا وقد قرئ به وقري فظلتم
بكسر الظاء نقلا من اللام المحذوف وكان المحذوف اللام الاول لانها تدغم
وقبل الثانية لان الثقل حصل عندها * (تفكهون) تعجبون بما نزل
فيه وقال الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه وقيل على المعاصي
التي اوجبت ذلك وقيل تتلاومون وقيل تحرثون وقيل تتأسفون على
مافاتكم والاول لابن عباس وقال ابن زيد تتفجعون وقيل تتطرحون
الفاكهة عن انفسكم والاصل تتفكهون حذفت احدي التاءين وقريء
يتفكنون وفي الحديث مثل العالم كمثل الحمة وهي عين ماء تستشفي
به المرضى ياتيها البعداء ويتركها القرباء فبينماهم كذلك اذغار ماءها فانتفع
بها قوم وبقي قوم يتفكنون اى يتندمون * (انا لمغرمون) اي تقولون
انا لمغرمون اي ملزمون غرامة ما انفقنا على زرعنا او مهلكون لهلاك رزقنا من
الغرام وهو الهلاك قال بعضهم الغرام ذهاب المال بلاعوض وقيل معناه
مولع بنا وقال ابن عباس خسرنا ما بذرنا بلاعوض وقيل الغرام اشد
العذاب وقراء عاصم أأنا بالاستفهام * (بل نحن محرومون) من الرزق
لاحظ لنا فيه ولانجت وقيل المحروم الذى يبعد عنه الرزق بعد قربه *

(افريتم الماء الذى تشربون) العذب الصالح المشرب * (انتم انزلتموه من المزن) السحاب واحدته مزنة مطلقا وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب وقال الحسن المزن السماء * (ام نحن المنزلون) وجملة الاستفهام مفعول ثان للرؤية ان جعلت علمية * (لونشاء جعلناه اجاجا) ملحا لايمكن شربه وعن ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرلايمكن شربه وقيل من الارجح فانه محرق الفم وجرد جواب لو هذه من اللام الفاصلة بين جواب مايتحض للشرط ومايتضمن معناه لعلم السامع بمكانه والاكتفاء بسبق ذكرها او يختص مايقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التاكيد قاله القاضي قال شيخ الاسلام مايتحض للشرط هو لو ومايتضمن معناه هو نشاء والضمير في مكانه للمحذوف وهو اللام ولو قال بمكانها لكان انسب وأريد بسبق ذكرها سبقه في لونشاء لجعلناه حطاما واشار الى حكمة ذكرها في الاول دون الثاني بقوله ويختص اي بذكرها مايقصد لذاته وهو المأكول ويكون اهم اي من الشرب وفقده اصعب اي من فقد الشرب لمزيد التاكيد اي فيما يقصده لذاته اه * (فلولا تشكرون) هذه النعم ومن الشكر الايمان * (افرايتم النار التى تورون) تخرجون من الشجر الاخضر والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخرى ويسمون الاعلى الزند والاخر الزندة شبهوها بالفحل والطروقة والعودان من المرخ والعفار وقيل المراد جميع شجر النار * (انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة) الضمير للنار التي يورون اي جعلناها تذكرة لنار جهنم وعلقنا بها اسباب المعاش وغيرها ليكثر خطورها فتتذكرون بها او جعلناها مثالا يعرف به نار جهنم ونار جهنم اعظم وفي الحديث ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية قال فانها

فضلتها بتسعة وستين جزءا ولقد ضربها في الماء مرتين وروي غسلت في سبعة ابحر ونار الحجارة وغيرها كذلك ويجوز كون الضمير لمطلق النار فيكون الاستخدام وكون التذكرة معناها التبصرة في امر البعث او في الظلام وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن ونار جهنم سوداء لايضيء لهبها وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني اصبعه من النار ويقول يا ابن الخطاب انك لا تصبر على هذه فما ظنكم عباد الله بعبد جعلت في عنقه سلسلة تحرق ما ظهر من جلده وما بطن ولوان حلقة منها وقعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص ويطمئن وجهه على دبره ويجمع ما بين ناصيته وقدمه وقرن معه شيطانه مسود الوجه بادي العورة ذليلا كاسفا ائسا من كل خير مستيقنا من كل شر تسحبه الملائكة بالسلاسل في نار تغلي على القطران والقطران صب على جلده والتذكرة مصدر على غير قياس والقياس التذكير * (ومتاعا) منفعة (للمقوين) الذي نزلوا في القواء وهي الارض قفراء الخالية البعيدة يقال اقوت الدار خلت من ساكنها يعني المسافرين قاله الحسن وابن عباس وقيل الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام وقيل الاقوياء الذين قوتهم على ما يريدون وقيل هم للمستمتعون بها من الظلمة المصطلون بها من البرد المنتفعون بها في الطبخ والخبز وغير ذلك فاحتاج اليها الغني والفقير واهل الحر والبرد والجائع والشبعان والمقيم والمسافر والحضري والبادي واهل البادية احوج اليها يوقدونها ليلا لطرد السباع ويهتدي بها الضال وغير ذلك والقواء بالمد والقصر الارض لاماء فيها ولانبات * (فسبح) يا محمد والخطاب لكل احد * (باسم ربك العظيم) الجار والمجرور زائدان اي نزه ربك عما لا يليق به او الاسم بمعنى الذكر اي سبح بذكر ربك

او يقدر مضاف اي بذكر اسم ربك والعظيم نعت لربك او للاسم ان جعل غير زايد والمعني انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله تنزيها عما يقول الظالمون الجاحدون الكافرون لنعمه او تعجبا من امرهم في غمط الائه واياد به الظاهرة او شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها والاسم بمعني الذات والباء زائدة ولما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل فسبح باسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم * (فلا اقسم) لا زائدة للتوكيد اولام ابتداء دخلت على المضارع واشبعت وبدل له قراءة الحسن فلا اقسم بلام فهمزة فقاف بلا مد وهي ايضا لام ابتداء دخلت على المضارع ويجوز في قراءته تقدير المبتدا بعدها اي فلانا اقسم وكذلك يجوز على القراءة الاولى لكن لما حذف للمبتدا اشبع فتحة اللام اولا نافية اي لا اقسم لوضوح الامر او ناهية اي لا تكذبوا بما ذكر من النعم والايات اولا تقولوا ان القرآن سحر او شعر او كهانة ولتعظيم الامر كما يقال لا تسئل عما جري وليس المراد النهي عن السئوال وقيل نافية على تقدير لا صحة لما يقول الكافر وليست لام جواب القسم لانه لا يحسن والله اقسم ولان تجريد المضارع المثبت المقرون بلام جواب القسم من نون التوكيد قبيح ضعيف ولان لاء فعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال وياتي كلام في لا القسم (بمواقع النجوم) بمساقطها جمع موقع اسم لمكان الوقوع او زمانه وخص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود موثر لا يزول تاثيره اولان له تعالى افعالا مخصوصة عظيمة عند غروبها اولان للملايكة عبادات موصوفة قبل اولانه وقت

قيام

قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك قسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله * (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات حكمته ان لا يترك عباده مهملين او اراد بمواقعها منازلها ومجاريها وله في ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي نزولها وقيل اراد انتشار نجوم السماء يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وقيل مواقعها غروبها وطلوعها والجمهور على ان النجوم السماء وان لا نافية وانه لقسم معترض بين القسم وجوابه ولو تعلمون معترض بين الصفة والموصوف وقال ابن عطية اعتراض واحد وهو لو تعلمون لان وانه لقسم عظيم توكيد لا اعتراض ورده ابن هشام بان التوكيد والاعتراض لا يتنافيان قيل وهذه الاية تدل على ان النجوم نجوم القرآن روي عن ابن عباس ان المعني مواقع نزول الوحي وقري بموقع وجواب لو محذوف اي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم وقيل لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون اعلموا عظمته (انه لقرآن كريم) اي ان المتلو عليكم معز وكرمه عزته على الله او حسنه في جنسه او كثرة نفعه لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وقيل الكرم اسم جامع لما يحمد والقرآن جامع لذلك فالفقيه يستدل به وياخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوي به فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل كرمه انه يحفظه الكبير والصغير والذكي والبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل كرمه عزته وعدم هوانه بكثرة التلاوة وكثرة الرد ولا يمل ولا يثقل على الالسنة

ثقل كراهة بل غض طرى والكلام اذا كرر يسامه السامعون * (في كتاب مكنون) مصون عند الله بايدي الملائكة المقربين عما يدنسه وعن الدنيس والكتاب واللوح المحفوظ وقيل المصحف وكنه حفظة من التبديل والتحريف والاول اصح * (لايمسه) اي ذلك الكتاب المكنون وهو اللوح المحفوظ ولا تافية * (الا المطهرون) من ادناس الذنوب وغيرها وهم الملائكة والجملة صفة لكتاب او ان جعلته صفة لقران والضمير له فالمعني لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المنسوخ من اللوح وكانه نهي ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه وان جعل بمعني النهي او نهيا مقدر الجزم لئلا يلتقي ساكنان قدر القول اذا جعل صفة ويصح جعل ذلك حالا من ضمير كريم او مكنون او ضمير في كتاب او خبرا خر على ان المطهرين الملائكة ومن الناس من حمل الاية على القراءة ايضا قال ابن عمر احب الي ان لا يقراه الا طاهر وعن ابن عباس اباحة القراءة للجنب وقيل المعني لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل لا يقراءه الا الموحدون والظاهر المشهور انه لا يجوز مسه الا للمتطهر من الشرك والجنابه والحيض قال ابن عباس في رواية وجميع الاحداث وهو قول انس وابن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد وكان ابن عباس ينهي ان يمكن المشرك من قراءة القران ومسه قال عطاء وطاوس وسالم والقاسم ومالك والشافعي واكثر الفقهاء لا يقراه ولا يمسه الجنب والحائض والمحدث روي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وانه كتب لاهل اليمن ان لا يمسه الا طاهر ونهي ان يسافر به لارض الشرك واختلف في اشتراط الوضوء لقراءته ومسه واجاز حكيم وحماد وابو حنيفة للجنب

والحايض

والحايض حمله بعلاقة واجاز بعضهم قراءته ومسه للحايض وبعض لجنب ايضا والاية تدل على تنزيه القراءن عن هولاء كلهم ولو قلنا المطهرون هم الملايكة فانه اذا كان من شانه وشرفه بتلك الرتبة الا على فحق علينا ان لا يتناوله منا الا موحد منطهر وقري بما كان الطاء من اطهره بمعني طهره اي الا من اطهره الله من الشرك وهم الملائكة والموحدون او اطهره الماء بعد التوحيد وقري بكسر الهاء بعد فتح الطاء اي طهر والنفسهم بالتوحيد والماء او الملائكة طهرت غيرها بالاستغفار والوحي وانفسها وقري المتطهرون والمطهرون بتشديد الطاء والهاء بابدال التاء طاء وان قلت كيف قيل الكتاب كتب المسلمين اعني مصاحفهم ولم تكن يومئذ قلت قال بعضهم ذلك اخبار بالغيب او المراد انه اذا كتب في شي ما فصونوه * (تنزيل) اي منزل من التسمية بالمصدر او باق على المصدرية ماول بالمنزل او بذي تنزيل او بلا تاويل مبالغة في تنزيله لانه نزل نجوما من بين سايرالكتب وهو نعت للقران او خبر اخر لان او خبر لمحذوف اي هو وقري بالنصب على المفعولية المطلقة اي نزل تنزيلا او على الحالية بالتاويل او عدمه على ما مر * (من رب العالمين) لا شعرا وسحرا وكهانة كما تقولون * (افبهذا الحديث) القران متعلق بمدهنون * (انتم) يا اهل مكة * (مدهنون) متهاونون مكذبون يقال ادهن في الامر اي الان جانبه ولم يتصلب تهاونا به قيل وهو من الدهن للينة وقيل المدهن الكافر الكذاب والمنافق لانه جار على خلاف الباطن * (وتجعلون رزقكم) اي شكر رزقكم * (انكم تكذبون) اي به اي بالرزق وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قراء انكم تكذبون به اي يجعلون بدل الشكر التكذيب كقوله *

* فشر كما لخير كما الفداء * يقولون مطرنا بنوء كذا
ينسبون انزال المطر الى النجم ولا يرونه من فضل الله وناء النجم ينوء
غاب وقيل طلع وصلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل يعني المطر فاقبل على الناس وقال هل
تدرون ما ذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي
مؤمن وكافر فمن قال مطرنا بفضل الله مؤمن بي كافر بالنجم ومن
قال مطرنا بنجم كذا كافر بي مؤمن بالنجم فنزلت الاية وقال ما نزلت
نزلة من السماء الا اصبح بها فريق كافرين يقولون امطرنا بنجم كذا
وقيل عطشوا في سفر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان
دعوت لكم فسقيتم فلعلكم تقولون سقينا هذا المطر بنوء كذا فقالوا ما
هذا بحين الانواء فصلي ركعتين ودعا فهاجت ريح واثارت سحابة فمطروا
حتى سالت اودية وملئوا الاسقية فمر برجل يغترف بقدح وهو يقول سقينا
بنوء كذا ولم يقل من رزق الله فنزلت الاية وذلك كفر شرك كما قال
الشافعي والجمهور من العلماء وزعم بعض قومنا انه كفر نعمة ومن
قال مطرنا بنوء كذا ولم يعتقد ان الكوكب فاعل مدبر بل اعتقد ان
الفاعل المدبر الموجد للمطر هو الله بفضله ونوء النجم ميقات له فلا
كفر ولكن يكره ذلك كراهة تنزيه لئلا يساء الظن به ولان ذلك
قول الجاهلية وشعارهم وقيل يحرم ذلك القول وقال الحسن تكذبون
بكتاب الله اي تجعلون ظنكم ونصيبكم من القران التكذيب به او تجعلون
شكر نعمة القران التكذيب به والرزق بمعنى الشكر لغة ازد شنوة وقراءة
على وابن عباس شكركم وزعم بعضهم ان المفسرين اجمعوا ان الاية
في الانواء ويدل على ان المحرم اعتقاد تاثير النجم وايجاده ما زعم قومنا

من

عن عمر انه استسقى بالمصلي ونادي العباس كم بقي من نوء الثريا
فقال العباس ان العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد
وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد كم
بقي من الوقت الذي جرت العادة بالمطر عند تمامه وقراءة تكذبون
بفتح التاء واسكان الكاف اى تكذبون بقولكم القران سحر وشعر والمطر
من الانواء * (فلولا) حرف توبيخ قال ابن هشام تختص بالماضي اه
وقيل لا تختص قال هي في الاية مفصولة باذا وجملة الشرط اي فهلا ترجعون
الروح اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وحالتكم انكم شاهدون
ذلك ونحن اقرب الى المحتضر منكم بعلمنا او بالملائكة ولكن لا تشاهدون
ولولا الثانية تكرار للاولى ودخلت على المضارع لحكاية الحال اه بايضاح *
(اذا بلغت) الروح او النفس عند الموت * (الحلقوم) مجري
الطعام وقيل اعلى الحلق * (وانتم حينئذ) اي حين اذ بلغت *
(تنظرون) الى الميت متي تخرج روحه كذا عن ابن عباس وقيل
الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع والخطاب لجماعات المشركين الحاضرات
الموتي وقيل لاهل مكة وقيل لجميع الناس * (ونحن اقرب اليه)
اي الى المحتضر * (منكم) بالعلم والقدرة عبر بالقرب عنهما لانهما مسببان
عنه وقيل ورسلنا الذين يقبضون اقرب باجسامهم اليه * (ولكن
لا تبصرون) لا تعلمون كنه ما يجري عليه وحقيقته وقيل لا تبصرون
الملائكة الحاضرين المقبض * (فلولا ان كنتم غير مدينين) غير
مملوكين اذلاء وغير مربوبين مقهورين يقال دانه اذله واستعبده وقيل
غير مجزيين وقيل غير محاسبين وقيل غير مقرين بالبعث * (ترجعونها)
اي الروح الى مواضعها وهو جواب اذا وجواب اذ محذوف دل عليه

ترجعون المذكور المسلط عليه لولا و يقدر مقرونا بلولا والجملة توكيد
لجملة اذا وما معها وكذا جواب * (ان كنتم صادقين) اي في اقوالكم
وتعطيلكم بتكذيب القرآن والرسول والبعث وان ثم قابضا فيما لكم لاترجعون
الروح الى البدن اذا خرجت كلا لاقدرة لكم فاعلموا ان الامر الى غيركم
وهو الله * (فاما ان كان) المتوفي واما يليها اداة شرط وبعضهم يقدر المبتداء
اي فاما المتوفي ان كان * (من المقربين) اي السابقين في الازواج
الثلاثة المذكورة في اول السورة * (فروح) اي فله روح اي استراحة
وقراءة الحسن بضم الراء وفسر بالرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء
وهو خالد مع الرزق والنعيم وفسر المضموم والمفتوح بعضهم بالرحمة وبعض
بالراحة وبعض بالسعة وعن الحسن انه فسر المضموم بالحياة في الجنة
والتحقيق ان الجواب لان وان ومابعدها جواب لاما وحذفت احدى الفاءين
وذلك كما يتصل بمعمول جواب اما بينها وبين جوابها وقيل الجواب
لاما وجواب ان مقدر وقيل لها وقيل لاجواب لان استغناء بجواب اما
وقال ابن هشام الجواب لاما لسبقها وجواب ان مقدر لتاخرها ولو
حذف جواب اما لحصل اجحاف لحذف شرطها قلت لا اجحاف لان شرطها
لم يحذف حذفا بل اقيمت مقام الشرط واداته وقد ذكر جار الله حذف
جواب اما في بعض المواضع والاولى ما قدمت وانما حذفت الفاء لئلا
تجتمع فاآن والظاهر ان المحذوفة فاء جواب ان لحصول التكرار بها *
(وريحان) رزق حسن قاله مجاهد وقال الضحاك الاستراحة وقيل
ما تنبسط اليه النفوس وقيل الطيب وقيل الريحان الذي يشم قال
ابو العالية لايخرج احد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصن من
ريحان الجنة وروي بجوزة فيشم ذلك فيموت قال مجاهد ما من

ميت

ميت يموت الا عرض عليه اهل مجلسه ان كان من هل الذكر فمن
اهل الذكر او من اهل اللهو فمن اهل اللهو * (وجنة نعيم) ذات
تنعم وعن ابي بكر الوراق الريحان دار القرار وهذه جنة النعيم والروح
النجاة من النار * (واما ان كان من اصحاب اليمين) المذكورين
اولا * (فسلام لك من اصحاب اليمين) قيل فيقال سلام لك
من اخوانك اصحاب اليمين او انك من اصحاب اليمين او انت من
اصحاب اليمين وقيل المعنى فسلام لك يا محمد منهم جملة تقتضي غاية
المدح اي لاترى في امرهم الا السلامة وانت يا محمد سالم مما تكره لهم فيما
تحب لهم تجاوز الله عن سيئاتهم وقبل حسناتهم * (واما ان كان من
المكذبين الضالين) اصحاب المشئمة وصفهم بالتكذيب والضلال اشعارا
بان ذلك هو موجب خزيهم وزجرا عنها * (فنزل) اي جزاءهم
نزل وقرئ باسكان الزاء وقدمر * (من حميم وتصلية جحيم) ادخال
معظم النار ومقاساتها وقيل المراد مايجد في قبره من سموم النار ودخانها
وقرئ بالجر عطفا على حميم * (ان هذا) المذكور في السورة
او في شان الفرق * (لهو حق اليقين) اي اليقين الحق او حق
هو اليقين اي لاشك فيه وعن بعض حق الخبر اليقين * (فسبح باسم
ربك العظيم) قدمر اي نزهه من كل سوء وقيل صل بذكر ربك
وامره وكان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم
وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما ياتي على اية رحمة الا سال او على اية عذاب
الا تعوذ وذلك في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر الا اخبرك باحب
الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وقال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم والامر

بتسبيح الله العظيم امر بالاعراض عن الدنيا والاقبال الى الاخرة قال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وروي شجرة وقال صلي الله عليه وسلم ان مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها لمايحب احدكم ان لا يزول له مايذكر به ومر صلي الله عليه وسلم بابى هريرة يغرس فقال الا ادلك على غراس افضل من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة ويجوز في الاية والتى سبقت ان يراد بالاسم جنس اسمائه ويجوز ان يكون العظيم صفة للاسم اي الاسم العظيم وان كان لم ينص عليه قيل ويويد هذا ويشير اليه اتصال سورة الحديد واولها اسماء وقد قال ابن عباس اسم الله الاعظم موجود في ست آيات من اول سورة الحديد وعنه صلي الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وان المؤمن اذا احتضر يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه والكافر اذا احتضر كره لقاء الله وكره الله لقاءه وقراء فلولا اذا بلغت الى اخر السورة وقال صلي الله عليه وسلم اذا احتضر المؤمن قيل لنفسه اخرجي طيبة من جسد طيب وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان وتفتح لها السموات والكافر بعكس ذلك ترد روحه ويقال لها لامرحبا بالنفس الخبيثة ارجعي ان يفتح لك اللهم بحق هذه السورة ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم علينا يا الله ياعزيز ياحكيم يامحيي يامميت يا اول يا اخر ياظاهر يا باطن اخز النصاري واكسر شوكتهم واهنهم وغلب الموحدين والمسلمين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

سورة

سورة الحديد

وهي مكية وقيل مدينة ونسبه بعضهم للجمهور قال بعض ولا خلاف ان فيها مدينا لكن يشبه صدرها ان يكون مكيا والصحيح الاول وفي مسند البزاز وغيره عن عمر انه دخل على اخته قبل ان يسلم فاذا صحيفة فيها اول سورة الحديد فقراها وكان ذلك سبب اسلامه قال ابن مسعود وغيره لم يكن بين اسلامنا وبين نزول هذه الايه يعاتبهم الله بها الا اربع سنين ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية واستثني اخرها فانه مدني وايها تسع وعشرون وكلها خمس ماية واربع واربعون وحروفها الفان واربع مائة وستة وسبعون قال صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله وقالوا من تلاتها وقاتل لم ينفده الحديد اولم يصله وتزيل الورم *

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله) اصل التسبيح التعدي بنفسه وعدي باللام هنا اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله سبحانه وخالصا له والفعل هو التسبيح او لتضمنه معنى الخضوع اوتارة بنفسه واخري باللام كنصح وشكر وانما كان اصله التعدي لامعنى سبح نزه وابعد عن السوء من سبح بالتخفيف بمعنى بعد وجاء هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبح الله في جميع اوقاته لانه اهل للتسبيح في كل حال فالماضي للاستمرار كالمضارع والظاهر ان الماضي للحال وماقبله والمضارع للاستمرار

وجاء في الاسراء بالمصدر اشعارا باستحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل وقت
وذلك لانه مصدر لم يذكر له فاعل ولا يدل على الزمان الاعم وما
(ما في السموات والارض) من غير عاقل وعاقل حيوان وغيره ان قلنا
التسبيح الخضوع والانقياد او الدلالة على الصانع وتعظيمه وان قلنا تسبيح
الحيوان لساني وغيره خضوع ودلالة لزم الجمع بين معنيي كلمة بل التسبيح
حقيقة في اللسان مجاز في غيره عند بعض فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز
وفي ذلك خلاف وقيل المراد العقلاء (وهو العزيز الحكيم) حال مشعرة
بما هو المبدو وللتسبيح والعزة الغلبة وكمال القدرة والحكمة كون الفعل على الصواب
ووضع الشيء في موضعه وروي ان الدعاء بعد سورة الحديد مستجاب
(له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والمتصرف فيها وهو الغني
عن الخلق وهم المحتاجون اليه * (يحيي ويميت) استيناف او خبر
لمحذوف اي هو يحيي او حال من هاء له والمراد احياء النطف والبيض
والموتى واماتة الاحياء وقيل احياء النطف والبيض واماتة الاحياء وقيل
احياء الموتى واماتة الاحياء * (وهو على كل شي قدير) من الاحياء
والاماتة وغيرها وقدير تام القدرة * (هو الاول) سابق الموجودات
لانه موجدها ولا ابتداء له * (والاخر) الباقي بعد الفناء وهو حي دايما
والظاهر انه الاخر ببقاء صفاته والخلق تفنى صفاتهم وقالت المعتزلة تفني
ذواتهم بالكلية وتمسكوا بالاية وقيل الاول تبتدي منه الاسباب والاخر تنتهي اليه
المسببات وقيل الاول القدير والاخر الرحيم وقيل الاول ببره اذ عرفك
توحيده والاخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة وقال الجنيد الاول بشرح
الافئدة والاخر بغفران الذنوب وقيل الاول خارجا والاخر ذهنا (والظاهر)
ظهر وجوده بكثرة الدلائل * (والباطن) عن ادراك الحواس دنيا

واخرى وقال ابن عباس الظاهر الغالب على كل شي والباطن العالم
بباطن كل شي وقيل الحكيم والعالم وقيل الموفق والساتر وقال الجنيد
الطاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسال عمر كعبا عن معني
الاية فقال علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن
وعن الحسن اجتمعت اربعة املاك فقال الثلاثة لاحدهم من اين جئت
فقال من السماء السابعة من عند ربي وقالوا للثاني من اين جئت فقال
من الارض السابعة من عند ربي فقالوا للثالث من اين جئت فقال من
المشرق من عند ربي فقالوا للرابع من اين جئت فقال من المغرب من عند
ربي ثم تلا الاية هو الاول والاخر والظاهر والباطن (وهو بكل شي عليم)
ما ظهر وما خفي قال الشيخ هود ولا اعلمه الا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
والواو الاولى للدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثانية
للدلالة على انه الجامع بين الظهور والخفاء والوسطى للدلالة على انه
الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو
المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية ظاهر باطن في جميعها
والداخلة على هو للحال او للعطف او للاستئناف قال سهيل بن ابي صالح
كان ابو صالح يامرنا ان نضطجع على الشق الايمن عند ارادة النوم
ونقول اللهم رب السموات والارض ورب العرش العظيم ربنا ورب
كل شي خالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان
اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته اللهم انت الاول لا شي
قبلك والاخر لا شي بعدك والظاهر لا شي فوقك والباطن لا شي دونك
اقض عنا الدين واغننا عن الفقر ورواه عن ابي هريرة وبين كل
سماء واخرى خمس مائة سنة وكذا بين كل ارض واخرى وكذا غلظ

كل سماء وكل ارض وبين السماء السابعة والعرش مالايحصي وقيل
مابين السماءين ذكره النبي صلي الله عليه وسلم وقال لوادليتم بحبل الى
الارض السابعة لهبطتم على الله اي علمه وقدرته ثم قراءة الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم * (هو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام) اولها الاحد واخرها الجمعة تعليما
المتاني بلا وعدم العجلة وهو قادر ان يخلقهن في اقل من لحظه وخطب
امير جاهل وقال ان الله خلق السموات والارض في سنه لشهر فقيل له
في ستة ايام فقال لقد قلتها وانا استقلها وقيل اليوم منها كالف سنة
من ايامنا * (ثم استوي على العرش) استولى عليه بالملك بعد خلقه
وقيل العرش الكرسي * (يعلم) اخر العلم عن الخلق لما ياتي *
(مايلج في الارض) كالبذر والمطر والموتى * (ومايخرج منها)
كالزرع وماء العيون والمعادن والموتى * (ومايتنزل من السماء)
كالمطر والرحمة والسخط والوحي * (ومايعرج) يصعد ويدخل *
(فيها) كالاعمال الحسنة والسيئة والابخرة * (وهو معكم اينما كنتم)
بالعلم والقدرة والحفظ قيل باجماع الامة على هذا التفسير * (والله
بما تعملون بصير) عليم فيجازيكم وقدم الخلق على العلم لدلالته عليه *
(له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور) لا الى غيره *
(يولج) يدخل * (الليل في النهار ويولج النهار في الليل)
فيزيد احدهما وينقص الاخر * (وهو عليم بذات الصدور) اي
اي بنفس الصدور كناية عن العلم بما فيها اوبالاشياء صاحبة الصدور
اى بالاسرار والمعتقدات * (امنوا بالله ورسوله) خطاب لقريش
وان قلنا للمومنين فمعناه دوموا علي الايمان وما يقتضيه وفي ذلك امر

بالاعراض عن الدنيا قال الضحاك نزلت الاية في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك *
(وانفقوا مما جعلكم مستخلفين) من الاموال التى جعلكم الله فيها خلفاء في
التصرف فيها وانما هي لله فليهن عليكم الانفاق منها كما يهون الانفاق من مال الغير
اوانتم خلفاء فيها عمن قبلكم حفاظا لها لمن بعدكم فلايصعبن عليكم الانفاق والظاهر
ان الانفاق هنا تطوع وقيل التطوع وغيره * (فالذين امنوا منكم وانفقوا
لهم اجر كبير) اشارة الى عبد الرحمن بن عوف ومن في معناه ممن انفق
ماله في الله ولم يبطل نفقته وذلك وعد مؤكد بالجملة الاسمية واعادة
ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير
بعد ما سهل لهم انفاق المال بكونه لله في ايديهم بعد كونه في ايدي
غيرهم وسيكون في ايدي غيرهم * مر رجل باعرابي فقال له لمن هذه الابل
فقال لله عندي فهذا موفق مصيب ان صحب قوله عمله * (ومالكم لا
تومنون بالله) جملة لا تومنون حال والاستفهام انكار وتعجيب بعدم
ايمانهم مع ظهور الادلة واخذ الميثاق عليهم ودعاء الرسول كما قال *
(والرسول) بالرفع علي الابتداء والواو للحال من واو تومنون فهي
متداخلة وقري وما لكم لا تومنون بالله ورسوله بالجر والرسول يدعوكم
بالرفع (يدعوكم لتؤمنوا بربكم) ويبهكم ويتلوا لكتاب الناطق بالبرهان
(وقد اخذ ميثاقكم) حال من كاف يدعوكم اي وقبل ذلك قد اخذ
ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب الادلة وازاح العلل او
حين اخرجكم من ظهر ادم ذرا وقرأ ابو عمرو بالبناء للمفعول ورفع ميثاقكم
والميثاق ان يومنوا بالله ورسوله * (ان كنتم مؤمنين) جوابه محذوف اي
ان اردتم الايمان فبادروا اليه وان كنتم تومنون لموجب ما فان هذا موجب
لامزيد عليه او فقد اخذ ميثاقكم فان اخذ الميثاق سبب للايمان وملزوم

له اوقانتم مومنون بالميثاق * (هو الذي ينزل على عبده) محمد صلى
الله عليه وسلم * (ايات بينات) اي القران * (ليخرجكم) اي الله
او عبده بدعوته * (من الظلمات) ظلمات الكفر * (الى النور)
نور الايمان * (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسل
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وقرئ باسقاط الواو
تخفيفا * (وما لكم الا تنفقوا) اي في ان لا تنفقوا فحذف في وادغم النون
في اللام وقيل ان زائدة ناصبة وهو ضعيف وعليه فالجملة حال * (في
سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) ارثهن بما فيهن فلا يبقى
لاحد مال فانفاقه اولى لانه يعوض اجرا كبيرا هو الجنة * (لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح) لمكة وبه عز الاسلام وكثر اهله وقلة الحاجة
الى القتال وقرئ باسقاط من ونصب قبل (وقاتل اولئك اعظم درجة)
والمعادل محذوف اي ومن انفق من بعد الفتح وقاتل لقلة الحاجة اليهما بعد
الفتح وذلك بيان لتفاوت احوال المنفقين المقاتلين من قبل والمنفقين
المقاتلين من بعد فالاولون اقوى يقينا وتحريا للحاجات ولذلك قال اولئك
اعظم درجة وهو دليل على المحذوف * (من الذين انفقوا من بعد) بعد
الفتح * (وقاتلوا) وذلك قول الجمهور وقتادة وزيد بن اسلم ومجاهد
وهو الفتح الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
وحكم باقي الاية باق في غابر الازمنة من انفق في وقت الحاجة او قاتل
في وقت الشدة كهذا العصر اعظم اجرا ممن فعل في غير ذلك فمن
قاتل اليوم اعظم ممن قاتل بعد الفتح وقال ابو سعيد الخدري والشعبي
هو فتح الحديبية وقال الكلبي نزلت الاية في ابي بكر رضي الله عنه
اول من اسلم واول من انفق ماله في سبيل الله واول من خاصم

الكفار وقد ضرب ضربا اشرف به على الموت وعن ابن عمر كنت
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل عليه السلام فقال مالي
اري ابا بكر عليه عباءه مخلله فقال صلى الله عليه وسلم انفق ماله علي
قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له اراض
انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال كيف اسخط على ربي اني على ربي
راض اني على ربي راض وهؤلاء المهاجرون الاولون الذين قال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه وهذا في ذلك الزمان واما في هذا الزمان فالمسلم
الواحد خير من سبعين من ابي بكر وعمر لقلة اعوانه على الخير * (وكلا
وعد الله الحسنى) الجنة ولكن درجات جنة المنفقين المقاتلين قبل
الفتح اعظم وقرا ابن عامر برفع كل على الابتداء وحذف الرابط اي وعده
ليطابق ما عطف عليه * (والله بما تعملون خبير) عن صفوان
ابن امية وسهيل بن عمرو ورجلين اخرين قدموا على النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة فقال ما جاء بكم فقالوا اسمعنا انه لا ايمان لمن لم يهاجر
فقال صلى الله عليه وسلم ان الهجرة قد انقطعت ولكن جهاد ونية
وحسبة ثم قال اقسمت عليك يا ابا وهب لترجعن الى مكة * (من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا) هو الانفاق في سبيل الله قيل هذا في
الغزو وصدقة التطوع شبهه بالقرض لانه اذا اعطي ماله اوجه الله
فكانه اقرضه اياه ولانه يعوض عنه الجنة وحسن الانفاق باخلاصه وتحري
اكرم المال وافضل الجهات وفي الحديث الرباني كل حسنة بعملها ابن
ادم بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فهو لي وانا اجزي به ولذلك

قال * (فيضاعفه له) اي يعطيه اجره مضاعفا اضعافا من فضله *
(وله اجر كريم) زيادة على المضاعفة في مقابلة عمله وهو نفس الجنة
وهو مقترن به رضي وقبولا وهذا معنى الكرم او معناه العظم وقراءابن
كثير فيضعفه بالتشديد ورفعه على القراتين على العطف على يقرض
او على انه خبر لمحذوف والفاء للاستيناف وقراءعاصم فيضاعفه وقرابن
عامر ويعقوب بضعفه بالتشديد بنصبها في جواب من الاستفهامية
وعن بعضهم لايكون القرض لله حسنا الابعشرة ان يكون من حلال
وان يكون من احد المال وان تكون محتاجا لما تقرض وان تصرفه
لمن هو احوج وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالاذى او بالمن
وان تقصد وجه الله ولا تراءي وان تستحقر ما تعطي وان كثر وان يكون احب
مالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقر (يوم) متعلق باستقرار
له او بيضاعف او مفعول لاذكر محذوفا تعظيما لذلك اليوم
(تري) بعينيك يامحمد * (المؤمنين والمومنات يسعى نورهم بين
ايديهم) اي امامهم * (وبايمانهم) اي في ايمانهم والسعداء يوتون
صحايف اعمالهم من يمينهم ومن امامهم والاشقياء من شمائلهم ووراءهم فيجعل النور في
ايمان السعداء وامامهم شعارا لهم وآية ساعيا امامهم ويمينا معهم الى الجنة ويكون
ايضا من فوق وتحت وخلف وشمال ولكن خص الامام واليمين لما مر من
كونهما موضعي اعطاء الصحف لهم ولكونهما افضل جهة او عبر بالامام واليمين
عن جميع الجهات وفي الحديث من المومنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن
وصنعاء ودون ذلك حتى ان منهم من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من
يوتى نوره كالنخلة الطويلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل القايم وادناهم نورا

من

من نوره على ابهامه فيطفاء مرة ويوقد اخرى وقيل المعني ويعطون كتبهم
بايمانهم ويطفأ نور المنافق قال قتادة ما من عبد الا وينادي يوم القيامة يافلان
هذا نورك ويا فلان لا نور لك وهذا النور هو بقدر نور البصيرة وعن
بعضهم ان هذا النور يجعل في شي يحمله المؤمن وكونه غير حامل اولى
واحكام تلك الدار ليست كاحكام هذه وتقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم
(بشراكم اليوم جنات) مبتدا وخبر واليوم متعلق ببشري وقدر بعضهم
مضافا اي دخول جنات او بشرى اسم مصدر مضاف لما هو مفعول عامله
اي نبشركم بشرى وجنات خبر لمحذوف اي المثوبة جنات وروى القرطبي
من المالكية انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الخلائق يوم القيامة
فياذن لامة محمد في السجود فسجدوا طويلا ثم يقال لهم ارفعوا رؤسكم فقد
جعلنا عدتكم فداء من النار وانه قال ان هذه الامة مرحومة عذابها
بايديها فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من المسلمين رجل من
المشركين فيقال هذا فداءك من النار وفي صحيح مسلم دفع الله الى كل مسلم يهوديا
او نصرانيا فيقول هذا فداءك من النار ولم يثبت هذا عند الاصحاب او
ياولون المسلم بالسعيد واما القوم فالمشرك عندهم فداء المسلم فلا
يدخلها وفداء لمن يدخلها فيخرج ويبقي المشرك بدله * (تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) وقرى باسقاط هو
واشار بذا الى النور والبشرى بالجنات بتاويل المذكور * (يوم) بدل
يوم (يقول المنافقون والمنافقات) هم من ضيع العمل واتى بالقول
عندنا ومن اسر الشرك عند غيرنا * (للذين امنوا) عملوا بمقتضى الايمان
(انظرونا) انتظرونا * (نقتبس من نوركم) ناخذ القبس منه
يحسبون انه كقبس الدنيا اذا طفئ جدد ذلك انه يسرع بهم الى

الجنة كالبرق الخاطف او المراد انظرنا الينا ليستقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنورهم لانه بين ايديهم وبايمانهم بحيث لا يضيء للمنافقين قيل تغشى الناس ظلمة عظيمة فيعطي المؤمن نورا بقدر عمله ويعطي المنافق نورا خديعة كخدعه في الدنيا فيبعث الله ريحا فتطفئ نوره ويقول انظرونا وقيل لا يعطي المنافق نورا بل يستضيء بنور المؤمن ثم يفوته فيقول انظرونا يطمع المنافقون في شيء من انوار المؤمنين جهلا لان النور نتيجة الاعمال في الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يلقى من حجر جهنم وكلاليبها وحسكها على الطريق ثم تمضي زمرة نور وجه كل واحد كالقمر ليلة التمام سبعون الفا لا يحاسبون ثم زمرة كاضوء كوكب ثم كذلك تغشاهم ظلمة تطفي نور المنافقين واولى من ابدال يوم من يوم تعليقه بالفوز او العظيم او بمحذوف خبر ثان او حال من الفوز او من ضمير الوصف او بمحذوف معرفة نعت للفوز لان ظهور المرء يوم حمول عدوه ابدع وافخم اي يفوز المؤمنون اي ينجون من النار الى الجنة والرضوان والامان يوم يعتري المنافقين ضد ذلك ويجوز تعليقه باذكر محذوفا والقبس الشعلة من النار او من السراج وقرا حمزة انظرونا بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء من الانظار وهو التاخير * (قيل) اي قال المؤمنون وقيل الملائكة والاول لابن عباس * (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طردهم وتهكم بهم وتخييب وقنوط اي ارجعوا الى الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوا النور فيه فمنه يقتبس فيرجعون ولا يجدون شيئا فادركتهم خدعة الله او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا عنا خائبين فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الي هذا ووراء متعلق بارجعوا مؤكد وقد يقال

لا توكيد لان الرجوع قد يكون الى غير وراء مثل ان يكون انسان في موضع وينصرف عنه الى موضع اخر ثم ينصرف عن الاخر الى جهة فافهم ويصح ان يكون وراءكم اسم فعل بمعني تاخروا واذا رجعوا حجز بينهم كما قال * (فضرب بينهم بسور) اي بين المؤمنين والمنافقين بحائط بين الجنة والنار قيل هو الاعراف وعليه مجاهد وقيل جبل احد قال صلي الله عليه وسلم ان احدا جبل يحبنا ونحبه وانه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار ويحبس عليه اقوام يعرفون بسيماهم ان شاء الله من اهل الجنة وقيل ان اصحاب الاعراف يميل بهم الصراط مرة الى الجنة ومرة الى النار ثم يصيرون الى الجنة قال ابو امامة الباهلي اذا رجعوا الى موضع اقتسام النور فلم يجدوا رجعوا الى المؤمنين فيجدون السور مضروبا * (له باب) يدخله المؤمنون * (باطنه) اي باطن السور او الباب وهو ما يلي الجنة * (فيه الرحمة) الجنة * (وظاهره) ما يلي النار * (من قبله) جهنم * (العذاب) النار والظلمة للمنافقين وعن ابن عمر السور هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وقد في جهنم وعن كعب ان الباب هو باب الرحمة في بيت المقدس ونائب ضرب هو بينهم على قول من اجاز نيابة الظرف غير المتصرف ويبقى على نصبه او بسور وهو اولى وعدي بالباء لتضمنه معني الفصل وقال ابو البقاء الباء زايدة وسور نائب وقري بالبناء للفاعل فالباء للتعدية لتضمنه معني الفصل او زائدة في المفعول * (ينادونهم الم نكن معكم) على الطاعة وذلك بحسب ظاهرهم * (قالوا بلي) كنتم معنا * (ولكنكم فتنتم انفسكم) اهلكتموها بالنفاق * (وتربصتم) تاخرتم عن التوبة

اونزبصتم بالنبي صلي الله عليه وسلم والمؤمنين الدوائر يقولون يوشك
ان يموت فنستريح (وارتبتم) شككتم في الدين * (وغرتكم
الاماني) الاطماع في امتداد العمر ونزول الدوائر وغير ذلك
وطول الامل وهو غرور لكل احد * (حتي جاء امر الله) الموت
وقيل القاءهم في الغار وقيل الفتح وقيل ظهور الاسلام * (وغركم
بالله الغرور) الشيطان بان الله عفوكريم لا يعذبكم حيث اقررتم
وقيل الغرور الدنيا والتذكير باعتبار الشيء ولان غرورا فعول
بمعنى فاعل لكن مع مبالغة والواو للعطف او للحال فيقدر قد عند بعضهم
اي جاء امر الله وقد غركم بالله وقد قرئ بضم الغين تسمية للشيطان
بالمصدر او للدنيا او بتقدير مضاف او بأول بالمصدر والمبالغة في الاول
كما تقول زيد صوم ويجب عليك ان تعتبر هذه الاية في نفسك وتسويف
توبتك واعلم ايها الاخ ان الدنيا غرارة للمقبلين عليها فان اردت النجاة
والفوز فازهد فيها واقبل لصلاح دينك قال ابو الدرداء لاصحابه اين
حلفتم لي على رجل منكم انه ازهدكم لاحلفن لكم انه خيركم وفي الحديث
يبعث الله تبارك وتعالي يوم القيامة عبدين من عباده كانا على سيرة واحدة
احدهما مقتر عليه والاخر موسع عليه فيقبل المقتر عليه الى الجنة ولا
يثنى عنها حتي ينتهي الى ابوابها فيقول حجبتها اليك اليك فيقول اذن
لا ارجع وسيفه في عنقه فيقول اعطيت هذا السيف في الدنيا اجاهد به فلم
ازل اجاهد به حتى قبضت وانا على ذلك فيرمي بسيفه الى الخزنة
وينطلق ولا يحبسونه عن الجنة فيدخلها فيمكث فيها دهرا ثم يمر به اخوه
الموسع عليه فيقول له يا فلان ماحبسك فيقول ماخلى سبيلي الى الان
ولقد حبست مالوان ثلاثماية بعير اكلت خمصا وورذت على عرقي

لصدرن

لصدرن منه ريا * (فاليوم لا يوخذ منكم فدية) ما يفتدي به لا يقبل
عنكم فداء انفسكم من النار باموالكم بل لا مال هنالك ولا بالتوبة وقراء
ابن عامر ويعقوب بالمثناة فوق والخطاب للمنافقين والظرف متعلق
بيوخذ ولا صدر للا النافية خلافا لبعض مطلقا ولبعض في جواب
القسم * (ولا من الذين كفروا) اشركوا * (ماواكم) مصيركم
(النار هي مولاكم وبئس المصير) هي ومعني هي مولاكم هي اولا بكم
او هي مقربكم اي موضع القرب اى مكانكم منها قريب او هي
ناصركم او صديقكم لا ناصر او صديق لكم سواها والمراد نفي الناصرية
او الصديقية كقولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع وقوله تعالى يغاثوا
بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار وقيل المعني
انها التي ملكت امركم واسلمتم اليها وقيل تليكم وقيل استعارة لانها تصيبهم
وتباشرهم كالصديق * (الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم) اي
لم يحن من اني الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من ان يئين
بمعناه والما يان والم يئن بالتشديد من ان يئن بمعناه ايضا وان تخشع فاعل
او الاستفهام للاستبطاء قاله ابن هشام ولا يقال الاستبطاء لحضور خشوعهم
لا لعدمه لانا نقول الاستبطاء وان تعلق بالحضور لكنه عدل عن الاستفهام
عن الاثبات الى الاستفهام عن النفي اشعارا بان الراجح من الطرفين هو عدم
الحضور فعلق به الاستفهام وفيه من المبالغة ما لا يخفى * (لذكر الله وما
نزل من الحق) اراد بالذكر وما نزل القران لانه جامع للذكر والنزول
او المراد ان يذكر الله واراد بما نزل القران وقرا غير نافع وحفص ويعقوب
نزل بالتشديد وقرئ انزل والاية نزلت في شان الصحابة لما اكثروا المزاح
وقيل نزلت فيهم لما هاجروا واصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه

انتي عن بعضه وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطاء قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل ماانتروا وما مزحوا ولكن استزادهم والمشهور انهم مزحوا وفتروا عن بعض ماكانوا عليه قال الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤن من القران اقل مما تقرؤن فانظروا في طول ماقراتم منه وماظهر فيكم من الفسق وقرئت الاية عند ابي بكر وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا ثم قست القلوب وهذه الاية سبب توبة الفضيل وابن المبارك وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بستة قالوا لسلمان حدثنا عن التوراة فان فيها العجايب فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن سوال سلمان ماشاء الله ثم سالوه فنزلت الاية فالمراد امنوا بالسنتهم * (ولايكونوا) وقرا اويس بالمثناة الفوقية التفاتا للخطاب والعطف على تخشع ويجوز ان يكون نهيا غيبة وخطابا (كالذين اوتوا الكتاب من قبل) يعني اليهود والنصارى وقيل بني اسرائيل * (فطال عليهم الامد) الزمان بينهم وبين انبيائهم وقري الامد بالمد اي الوقت الاطول وقال مقاتل الامد الاجل وقيل امد انتظار القيامة * (فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم كافرون بعيسى وموسى ومحمد نهي الله المؤمنين عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد توبيخهم ببطئ الخشوع وذلك ان اهل الكتاب كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا ورقت قلوبهم ولما طالت اعمارهم وامالهم غلبهم الجفاء والقسوة واخلفوا وحرفوا وبعث ابو موسى الاشعري الى قراء البصرة فدخل

عليه

عليه ثلاثمائة رجل قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم * (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الموتى ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القسوة والاول لابن عباس وفي الاية ترجية وامساك للاياس * (قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون) اي تتعقلوا عن الله ببيانه او ليكمل عقولكم * (ان المصدقين والمصدقات) ابدل التاء صادا وادغمها في الصاد في المصدقين والمصدقات وقري بهما على الاصل وقرا ابن كثير وابو بكر بفتح الصاد بلا تشديد اى صدقوا الله ورسوله فهي في الايمان والاولى في الصدقة * (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطفا على المصدقين او المصدقات والضمير للكل تغليبا للذكور وانما عطف الفعل عليهما لانهما بمنزلة الفعل اي ان الذين تصدقوا واللائي تصدقن * (يضاعف) قرضهم * (لهم) وقري يضعف بالتشديد وقري يضاعف بالبناء للفاعل سبحانه وانما عطف الاقراض اعلاما بان الصدقة باطلة مالم تكن مخلصة وهذا الاضعاف زيادة من فضل الله على اجورهم * (ولهم اجر كريم) فالتضعيف للمحقون بالشهداء كما قال * (والذين امنوا بالله ورسله) وهم المصدقون والمصدقات اعادهم بالذين ليصفهم بالايمان الذي هو سبب اعمال البر وقيل غيرهم * (اولئك هم الصديقون) الكثير والصدق * (والشهداء عند ربهم) اي بمنزلة الصديقين والشهداء او هم انفسهم صديقون لتصديقهم بجميع اخبار الله ورسله وشهداء اي قايمون بالشهادة لله ولانفسهم وعلى الامم السالفة قال مجاهد كل من امن بالله ورسوله فهو صديق وتلا الاية فقيل اراد الله

ابابكر وعمر وحمزة ونحوهم وعمر ملحق بمن سبق اسلامه ولو تاخر اسلامه
لصدقه والصديق بالتشديد مبالغة من الصدق لا من التصديق كما قيل
وفي الحديث مؤمنوا امتي شهداء وقال ابن عباس والضحاك ومسروق
تم الكلام في الصديقون والشهداء استيناف فقيل عند ربهم خبر وهم
الانبياء يشهدون على الامم وروي هذا عن ابن عباس قيل وهو بعيد
عن لفظ الاية وقيل كل مؤمن من الامة وقيل الذين قتلوا في سبيل
الله او الخبر * (لهم اجرهم ونورهم) اي مثل اجرهم ونورهم بلا تضعيف
ليحصل التفاوت والاجر والنور الموعود ان لهم على الصراط وقيل النور
ثواب علمهم فهو مرادف للاجر وفي الحديث بانساء المؤمنات لا تحقرن
احداكن لجارتها ولو كراع شاة محرقا وقال ردوا السائل ولو بظلف محرق وقال
ابن عبد البر ففي الحديث الحث على قليل الصدقة وكثيرها وفي قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اوضح دليل في هذا الباب وقال اتقوا النار
ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة فاذا كان الله يربي الصدقة فما بالنا نغفل
ولقد تصدقت عايشة بحبتين من عنب فنظر اليها بعض اهل بيتها فقالت
لا تعجبن فكم فيهما من مثقال ذرة وفي الحديث الرجل في ظل صدقته حتى
يفصل بين الناس قال يزيد بن حبيب فكان ابو الخير لما حدثه
به عقبة بن عامر الصحابي لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشيء ولو
ببصلة * (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)
النار لا يقال في الاية دليل على اختصاص الخلود بالمشركين من حيث
الحصر بتعريف الطرفين ودلالة الصحبة عرفا على الملازمة لانا نقول
الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة عرفا وغيره وتطلق الصحبة على غير
الملازمة كما تطلق على الملازمة * (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة

وتفاخر

وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) لما ذكر حال الفريقين في
الاخرة امرهم تاكيدا ان يعلموا انحصار امر الدنيا التي لا يتوصل بها الى
الفوز في امور كالخيال قليلة النفع سريعة الزوال فمن لعب باطل لا
حاصل له كلعب الصبيان ومن لهو اي فرح ساعة ينقضي قريبا يلهون به
عن الاخرة ومن منظر يتزينون به كالمراكب والمنازل والملابس
الحسنات ومن تفاخر بالانساب وتكاثر بالاموال والاولاد فالاولاد
عدد بفتح العين والاموال عدد بضمها وقيل يجمعون ما لا يجل
فيتطاولون بالمال والخدم والولد على اولياء الله والدنيا نفس نائمة
والاخرة نفس يقظانة فالنجاة من النايمة العلم وثمرتها مخالفة الهوى في اجتناب
المناهي ثم مكابدة النفس على اداء الفرائض والطهارة من الادناس
فيورث السهولة في التعبد والحول في مقامات العابدين فيذيقه ما اذاق
اولياءه واصفياءه من درجة المذاق كما ذكر عن سيدنا ابراهيم خليل
الرحمن انه اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر في مفازة فنظر الى
حبشي يرعى الابل فقال له هل عندك ماء فقال يا ابراهيم ايما احب اليك
الماء او اللبن قال الماء فضرب بقدمه على صخرة فنبع الماء فتعجب ابراهيم
عليه السلام فاوحى الله عزوجل يا ابراهيم اوساني هذا الحبشي ان ازيل
السموات والارض لازلتهما فقال ولم ذلك يارب فقال ليس يريد من
الدنيا والاخرة غيري ثم ضرب لهذه الحياة الدنيا مثال بقوله (كمثل غيث)
مطر * (اعجب الكفار) اي الزراع لانهم يكفرون البذر اي يسترونه
في الارض لينبت او الكفار بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان
المومن اذا اري معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر
يستغرق فكره فيه * (نباته) الناشي عنه * (ثم يهيج يبيس *

(فتراه مصفرا) ويبسه بسماقة اوعقوبة لهم او بلوغ اوانه * (ثم يكون حطاما) مفتتا متكسرا وذلك مثال في سرعة التقضي وقلة الجدوي وعظم امر الاخرة * (وفي الاخرة عذاب شديد) للمنافقين والمشركين * (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين لايثارهم الاخرة على الدنيا * (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يتمتع به الكافر واما المؤمن فهي له بلاغ الى الاخرة * (سابقوا الى مغفرة من ربكم) سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار ومن ذلك التسارع الى قتال المنافقين والمشركين ولاسيما في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الكفرة واختل فيه النظام وفي الحديث ما بين حياة الشهيد في الدنيا وحياته في الاخرة الا كمضغ تمرة وفي الحديث ان الشهيد لايجد الم القتل الا كما يجد الم القرصة ونعم ما روي انه قال لاصحابه ما الشهيد عندكم قالوا القتيل في سبيل الله فقال ان شهداء امتي اذن لقليل ثم قال القتل في سبيل الله شهادة لكل مسلم والبطن شهادة والطاعون شهادة والغرق شهادة والحرق شهادة والنفاس شهادة والسيل شهادة وكل مؤمن شهيد وشتان ما بين الشهادة الحربية والايمانية امرهم بالسبق الى اسباب المغفرة من التوبة والاعمال الصالحة في مقابلة مسارعة الكفار الى امور الدنيا * (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) لو وصلت احداهما بالاخرى فما ظنك بالطول فان ماله عرض وطول فان طوله ابسط واوسع وهذه جنة الواحد اي ليسارع كل منكم الى جنة هي كذلك وقيل ان الجنس الشامل للارضين والسموات اوالمراد تمثيل للوسع بما يعلمه البشر والحقيقة اكثر من ذلك وقد ورد ان سقف الجنة العرش وان السموات في الكرسي كالدرهم في الفلاة والكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة وان الجنة مائة درجة

كل

كل درجة عرضها السموات والارض (اعدت للذين امنوا بالله ورسله) وطرحوا الدنيا جيفة واقبلوا الى الاخرة وتركوا الدنيا افضل من الرغبة في حلالها والتفاقه لما فيها من الخطر وقيل بالعكس ولما حضرت الوفاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بكى بكاء شديدا وقال كان مصعب بن عمير خيرا مني توفي ولم يترك مايكفن فيه وبقيت بعده حتى اصبت من الدنيا واصابت مني ولا احسبني الا سأحبس عن اصحابي بما فتح الله علي من الدنيا وبكى حتى فارق الدنيا واما الاغناء في ووجدك ضالا فاغني فاغناء القلب فرحم الله قوما عملوا بالاية فكانوا يتسارعون الى الصلاة اول وقتها اجابة لدعاء الله وكان رجل من اهل القيروان متعبدا اسمه عبد الخالق كثير الخوف والحزن وبالخوف مات راى فرسانا تتسابق وراى فرسا تقدم وجد التالي حتى لحقه وسبقه فتخلل الناس حتى وصل الى السابق فجعل يقبله ويقول بارك الله فيك صبرت فظفرت ثم سقط مغشيا عليه تذكر سبق الاخر * (ذلك) الموعود به * (فضل الله) من غير ايجاب (يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون * (والله ذو الفضل العظيم) فلا يبعد منه التفضل بذلك الموعود به وان عظم قدره اوفاعل واصاب لازم بمعني حدث * (ما اصاب) مفعوله محذوف اي احدا اوشيئا * (من مصيبة) فاعل ومن صلة اوفاعل اصاب الله ومصيبة مفعول به اي ما احدثها * (في الارض) من جدب وعاهة في الشجر والنبات (ولا في انفسكم) كمرض وموت (الا في كتاب) اللوح المحفوظ مكتوبة فيه مشيئة في علم الله عز وجل (من قبل ان نبرأها) نخلقها والضمير للمصيبة والارض والانفس وقيل للانفس والمصيبة وقال ابن عباس للمصيبة اوقيل لاحدى ذلك وقيل للانفس وقيل للارض وقيل للسموات

والارض * (ان ذلك) على كثرته وعسره عند الخلق اي اثبات ذلك في اللوح وتصريفه وقيل خلق ذلك وحفظه * (على الله يسير) هين سهل لانه غني عن عدة ومدة * (لكيلا تاسوا) اي اثبت ذلك وكتبه لكيلا تحزنوا حزنا يخرج عن الرضى بالقدر * (على مافاتكم) من نعم الدنيا * (ولاتفرحوا بما اتاكم) اعطاكم وقري بالقصر اي جاءكم اي ولكيلا تفرحوا فرح بطر فان من علم ان ماعنده مفقود لامحالة لم يشتد جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك ومن علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لايفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله واصل الحزن والفرح ضروري لايخلو منه احد لكن المراد بالحزن والفرح المنفيين الحزن المذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر ولا باس بفرح الشكر عن النعمة وفي قراءة القصر وهي لابي عمر معادلة لفاتكم وفي الاولى اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها وفي ما حصولها وبقاءها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها وقرأ ابن مسعود بما اوتيتم وهي مثل هذه قال ابن عباس وعكرمة ليس احدا لا يفرح ويحزن لكن اجعلوا الحزن صبرا والفرح شكرا وعن جعفر بن محمد الصادق يا ابن ادم مالك تأسف على مفقود لايرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه في يديك الموت وفي الحديث مايصيب المسلم من وصب ولانصب ولا سقم ولاحزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته وفي الحديث ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له فيها درجة ومحيت عنه عنه بها خطيئة ولما نزل من يعمل سوء يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم سددوا وقاربوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها وعن ابن عمر ما

ابالى على اي حال رجعت الى اهلي ان كانوا على عسر اني لا انتظر اليسر وان كانوا على يسر اني لاانتظر العسر وعن حذيفة رضي الله عنه ان اقر ايامي لعيني يوم ارجع الى اهلي وهم يشكون الي الحاجة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ابالى اي حال سبق الي يسر ام عسر لان احدهما يتلو صاحبه قالت كبشة امراة مسروق مافلت لمسروق قط ما اصبح لعيالك اليوم رزق الا تبسم وقال ايم الله لياتينهم الله برزق * (والله لايحب كل مختال) متكبر بما اوتي * (فخور) به على الناس دليل على ان الفرح المذكور هو الموجب للبطر والاختيال * (الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضربه غالبا فانهم لشدة فرحهم وتعظيمهم له يبخلون به ولايخرجون منه الحق ويامرون بالبخل وقيل خبر لمحذوف اي هم الذين وقيل نعت لكل لان كلا واو كان نكرة لكنه يخصص نوعا ما وهذا على مذهب الاخفش ولا النافية لعموم السلب هنا ولو تقدمت على كل وقيل مبتدا خبره محذوف اي الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الله غني عنهم دل عليه * (ومن يتول) يعرض * (فان الله هو الغني الحميد) اي ومن يتول عن الانفاق فالله غني عنه محمود في ذاته اوالى اوليائه لايضره الكفر ولاينفعه الشكر بل الشكر والانفاق مصلحة لهم وقيل من يتول عن امر الله ولم ينته عن نواهيه من الاسا على الفايت والفرح بالاتي فان الله غني عنه وقال ابن عباس يتول عن الايمان وقرا غير ابن عامر ونافع فان الله هو الغني وقيل الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل هم اليهود كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (لقد ارسلنا رسلنا) الملائكة الى الانبياء قبلك والانبياء الى الامم * (بالبينات) بالحجج

بالمعجزات * (وانزلنا معهم الكتاب) جنس الكتب وقيل الوحي ليتبين الحق والصواب * (والميزان) اي انزل اسبابه وامرنا بمداده ليسوي به الحقوق ويقام به العدل قيل نزل جبرائيل بالميزان الى نوح وقال مرقومك يزنوا به وقال الاكثرون الميزان العدل * (ليقوم الناس بالقسط) العدل * (وانزلنا الحديد فيه باس شديد) فان آلات الحرب منه * (ومنافع للناس) كل صنعة محتاجة اليه فاراد معادن الحديد قال بعض ارسل كتبا لشرعه وسلاحا لمن لم يقبله وعاند وقيل انزاله الهامهم باخراجه من المعادن قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والمبقعة والمطرقة والابرة وروي معه المر والمسحاة وفي الحديث انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح * (وليعلم الله) عطف على محذوف اي وانزلنا الحديد لينتفع به في الحرب وليعلم الي اخره او متعلق بمحذوف اي وانزله ليعلم وترتيب العلم على الانزال تمثيل باختيار بعض الناس بعضا والا فالله عالم بلا انزال ويجوز العطف على ليقوم * (من ينصره) اي دينه * (ورسله) باستعمال الحديد في الكفار * (بالغيب) حال من ضمير ينصر او من الهاء اي لا يشاهدونه فهم ينصرونه ولا يبصرونه وامنوا به بما ظهر من الآيات * (ان الله قوي) على الاهلاك * (عزيز) غير محتاج لنصرة وجهادهم يرجع ثوابه اليهم لامتثال امره او قوي في امره وسلطانه عزيز في نقمته وملكه * (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) لا ينافي الامن نسلهما تشريفا لهما والكتاب جنس الكتب وقيل التوراة والانجيل والزبور والفرقان فكان اول كتاب نزل في الحلال والحرام كتاب موسى

وقيل الكتاب الوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا كما يقال كتابة * (فمنهم) من الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا * (مهتد) يقدر الرفع على الياء المحذوفة للتنوين * (وكثير منهم فاسقون) منافقون ومشركون والمهتدون قليل ولاجل الدلالة بالاشارة الى غلبة الضلال وقلة الاهتداء والمراد عدل عن طريق المقابلة وهو ومنهم فاسقون وانما قالت بالاشارة لان الكثير لا يلزم ان يكون نصفا او اكثر ولكن ذكره في مقابلة قليل يدل عليها * (ثم قفينا على اثارهم برسلنا) ارسلنا رسولا بعد رسول والهاء لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليه ومن عاصرهما من الرسل لا للذرية لان الرسل المقفى بهم من الذرية والتقفية الاتيان بشيء في قفي الاخر وبعده (وقفينا بعيسى بن مريم) اخر من قبله وانت بعده يا محمد * (واتيناه الانجيل) وقرأ الحسن بفتح همزته وليس بشاذ لانه اعجمي بخلاف البرطيل في لغة فتح الباء لا في لغة كسرها وهو حجر مستطيل شبه راس الناقة * (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة) وقرى رافة براء فهمز فالف * (ورحمة) فيما بينهم كقوله سبحانه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم * (ورهبانية) كانه نسب الى رهبان بالضم جمع راهب كتراكب وركبان اي وكونهم رهبانا وقرى بفتح الراء نسبا الى رهبان بفتحها وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي لكثير الخشية والمراد شدة الخوف والمبالغة في العبادات والرياضة والانقطاع عن الناس وترك النساء ترهبوا في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المومنين بعد رفع عيسى وقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم

فاختاروا الرهبانية والنصف عطف على رافة او رحمة و* (ابتدعوها) نعت لها والنصب على الاشتغال * (ما كتبناها) ما فرضناها (عليهم الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله او متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وقيل مفعول لاجله وهو ظاهر قول مجاهد وهو ضعيف وقراءة ابن مسعود لكن ابتدعوها قال الحسن فرضها الله عليهم حين احدثوها * (فما رعوها) اي فما راعوا جميعا * (حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد لله لا يحل نكثه بل ضيعوها وقالوا بالتاثيث وقصدوا السمعة وكفروا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين ادركوه وكفر بعضهم بعيسى ودخل في دين ملكهم وبقى بعض على دين عيسى عليه السلام وادرك النبي صلى الله عليه وسلم وامن به والواو عند ابن زيد وغيره للذين ابتدعوها وعند الضحاك للاخلاف الذين جاءوا بعدهم قال صلى الله عليه وسلم لبلال بن الحارث اعلم قال ما اعلم يا رسول الله قال اعلم يا بلال قال ما اعلم يا رسول الله قال انه من احيا سنة من سنني قد اميتت بعدى فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من وجورهم شيئا ومن ابتدع ضلالة كان له مثل اثام من عمل بها لا ينقص من وزره شي وقال لكل امة رهبانية ورهبانية امتي الجهاد * (فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم) وهم الذين رعوا حقها من التوحيد والايمان بمحمد وغير ذلك * (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن عهد نبي الله عيسي عليه السلام المشركون ومنافقون روي ان الكفار منهم لما غلبوا المسلمين قال المسلمون تعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى يعنون نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم تمسك ومنهم من فتر وقال لابن مسعود يا ابن ام عبد

اتدري

اتدرى ما رهبانية امتي قال الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على البلاغ وعن ابن عباس كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل وفيهم جماعة مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل للملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او يدخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطايفة قالت دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش وان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبايل الا وله حميم فيهم ففعلوا هذا ومضوا على منهاج عيسي ولم يبق عليه الى زمان نبينا الا قليل لما بعث جاء هذا من صومعته وهذا من دير وهذا من سياحته وامنوا به واما كثير تركوا الوضوء وغسل الجنابة والختان واكلوا الخنزير وشربوا الخمر * (يا ايها الذين امنوا) من اليهود والنصاري بموسى وعيسي * (اتقوا الله وامنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم * (يوتكم) يعطكم * (كفلين) نصيبين * (من رحمته) كفل لايمانكم بعيسى والانجيل وكفل لايمانكم بمحمد والقراءان وفي الحديث ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله وسلم عليهما والعبد المملوك الذي ادى حق مولاه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم عتقها فتزوجها فله اجران هذا ولا يبعد ان يثابوا على

دينهم بعد نسخه ببركة الاسلام أن امنوا وقيل الخطاب للنصارى والذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة الخطاب للمؤمنين من الامة فمعنى امنوا دوموا على الايمان يوتكم كفلين بالاضافة الى ما كان قبل يعطونه او كفلين كاهل الكتاب في قوله يوتون اجرهم مرتين لانكم مثلهم في الايمان لانفرق بين احد من رسله قال ابو موسى كفلين ضعفين بلغة الحبشة او يجعل لكم نورا تمشون به) في ظلمات الصراط كما مر وقيل الهدي والبيان وقيل القران* (ويغفرلكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم) لمن تاب (لئلا يعلم) بحذف الهمزة وادغام النون في اللام وبقلب الهمزة ياء ونحن نقرءها بالتسهيل قري لئلا بفتح اللام الاولى على الاصل في ما كان على حرف وهي قراءة الحسن لازايدة للتوكيد اي ليعلم * (اهل الكتاب) وقراءابن عباس والمجدري ليعلم وروي ابراهيم التيمي عن ابن عباس كي يعلم وروى عن حطان الرقاشي لان يعلم وقري لان يعلم بادغام النون في الياء وقري ليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وقري لكي يعلم وهذه القراءات دلائل على زيادة لا واللام متعلقة بمحذوف اى اعلمكم بذلك ليعلم اهل الكتاب الذين لم يومنوا * (ان) مخففة * (لايقدرون على شي من فضل الله) من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله اولا يتمكنون من نيل شي منه فضلا عن ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويدل له قوله * (وان الفضل بيد الله) في حكمه (يؤتيه من يشاء) كمحمد * (والله ذوالفضل العظيم) وقري ان لا يقدروا بالنصب وقيل لا غير زائدة اي لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون على شي من فضل الله فيكون قوله وان

الفضل تعطفا على ان لا يعلم وروي انه لما نزل الوعد المذكور للمؤمنين حسدهم اهل الكتاب وكانوا يعظمون انفسهم ودينهم ويزعمون انهم احباء الله واهل رضوانه فنزل لئلا يعلم اهل الخ وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعونه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن امن من اهل الكتاب وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيبي لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا باموال لهم فواسوا بها المسلمين فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب الى ينفقون. فلما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله يوتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا انا من امن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يومن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فانزل ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم الى الخ وعن بعض يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين ولاحاجه الي هذا لان من امن بنبينا فهو من امتهِ فلهُ اجر عمله قبل واجر عمله بعد فلا يستوي بعيره الامن عمر كعمره وعمل كعمله ومن لم يومن فجزاءه جهنم ولو عبد عبادة الملائكة وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدى والارجل وما خرج من العرب كفروا بهِ فنزل لئلا يعلم الخ وبعد فقد ظهر ان تامل المومنين من اهل الكتاب قبل ان يومنوا بنبينا ناقص فقير الحديث رواه نافع انما مثلكم ومثل اليهود والنصاي قبلكم كرجل استاجر عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود على ذلك وقال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر على قيراط فعملت النصاري على

ذلك وقال من يعمل لي من العصر الى المغرب على قيراطين الا وانتم اصحاب القيراطين الا فلكم الاجر مرتين فغضب اليهود والنصاري فقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا قال فهل ظلمتم من حقكم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء واليهود ست ساعات والنصارى اربع ولامة محمد صلي الله عليه وسلم ساعتان فذلك اثنتا عشرة ساعه في النهار وعن نافع عن ابن عمر عنه صلي الله عليه وسلم ان ما آجالكم في آجال من مضي قبلكم كما بين صلاة العصر الى ان تغيب الشمس وقال صلي الله عليهِ وسلم انما بقي من زمانكم فيما مضي كما بقى من يومكم فيما مضى منه وقد كانت الشمس على سعف النخل وشرف المسجد قال ابن عمر وقفت عشية عرفة مع النبي صلي الله عليه وسلم حتي اذا تدلك الشمس المغروب واصفرت فقال انما بقى من الدنيا فيما مضي كما بقى من الشمس في يومنا وفي رواية في الحديث السابق انه قاله على المنبر وان اليهود استوجروا للعمل فخدموا الى نصف النهار فعجزوا فاعطوا قيراطا وعمل النصارى من النصف للعصر فعجزوا فاعطوا قيراطا وعملنا الي الغروب من العصر فاعطينا قيراطين الجوعن ابى موسي عنه صلى الله عليه وسلم مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر قوما اخرين بعدهم فقالوا لهم اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطنا لهم من الاجر فعملوا الى صلاة العصر فقالوا ما عملنا باطل ولكم الاجر الذي جعلتم لنا فقالوا اكملوا بقية يومكم فانما بقى من النهار شيء يسير فابوا فاستاجر قوما بقية اليوم واستكملوا اجر الفريقين اللهم بحق هذه السورة ونبيك محمد صلي الله عليهِ وسلم اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين

والموحدين

والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة المجادله

بفتح الدال مصدر او بكسرها اسم فاعل وسميت في مصحف ابي الظهار وهي مكية وقيل مدنية وقيل مكية الا قوله ما يكون من نجوى ثلاثه الاية وقيل مدنية الا هذه الاية وايها اثنتان وعشرون وقيل احدى وعشرون وكلمها اربع مائة وثلاث وسبعون وحروفها الف وسبعمائة واثنان وتسعون وفي الحديث من قراء سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة ومن قرأها عند مريض نام وسكن ومن لازم قراءتها في ليله ونهاره حفظ من كل طارق واذا كتبت وطرحت في الحبوب ازالت عنها ما يفسدها باذن الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد سمع الله) علم وقبل وقد للتحقيق او التوقع فهي مشعرة بان الرسول صلي الله عليه وسلم او كليهما يتوقعان ان الله يسمع مجادلتها وشكواها اي يقبلها ويفرج عنها قال ابن هشام وانكر بعضهم كونها للتوقع مع الماضى وقال التوقع انتظار الوقوع والماضي قد وقع وقد تبين بما ذكرنا ان مراد المثبتين لذلك انها تدل على ان الماضى كان قبل الاخبار متوقعا لا انه الان متوقع والذي يظهر لي انها لا تفيد التوقع لامع المضارع لان الظاهر من حال المخبر عن مستقبل انه متوقع له بلا قد ولامع الماضي والاصح ان يقال لا حرف استفهام في قولك لا رجل لانه جواب لقول القائل هل من

رجل وعبارة ابن مالك انها تدخل على ماض متوقع ولم يقل انها تفيد
التوقع اه وما اجاب به الدماميني غير نافع وابدل حمزة والكسائي وابو عمرو
وهشام دالها سينا وادغمها في السين * (قول التي تجادلك) تخاصمك
وتراجعك وفي مصحف ابن مسعود تحاورك اي تسائلك * (في زوجها)
اي في امر زوجها قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت
وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر انه اي عمر كان اذا دخلت عليه
اكرمها وقال قد سمع الله لها وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي
عبادة بن الصامت الانصاري هذا اسمها عند ابن العربي والفخر وقال ابن
عباس وغيره اسمها خولة بنت خويلد وقيل اسمها جميلة وزوجها هو
اوس المذكور راها تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت
فغضب وكان له خفة ولمم اي شدة حرص على النكاح وقيل جنون
ولكنه لو ظاهر حال الجنون لم يلزمه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم
وكان الظهار وطلاق الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة فقال ما اظنك
الا حرمتي علي فقالت والله ماذاك طلاق فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعائشة تغسل شق راسه فقالت يارسول الله ان زوجي اوس بن الصامت
تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي اكثرت الولادة
واكل مالي وكنت ذات مال واهل وافنى شبابي وتفرق اهلي جعلني عليه
كامه وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه وروي انها قالت ان لي صبية
صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال صلى الله عليه سلم
حرمت عليه وروي انه قال ما عندي في امرك شيء وروي انه لما قال لها حرمت عليه
قالت لا تعجل فاني وحيدة ليس لي اهل سواه وروي انها قالت لما قال حرمت عليه

يارسول الله والذي انزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق واتماهو ابو ولدي
واحب الناس علي واحبهم فقال حرمت عليه وكانت تراجعه كلما قال
حرمت عليه هتفت بربها وشكت اليه فتارة قالت اللهم اليك اشكو حالي
وانفرادي وفقري اليه وتارة قالت اللهم ان لي صبية صغارا الخ مامر وتارة
قالت اشكو الى الله وحدتي وفاقتي قد طالت له صحبتي وحفظت له بطني
وتارة قالت اللهم اشكو اليك اللهم انزل على لسان نبيك فرجي فمراجعتها
رسول الله صلى الله عليه وسلم هي جدالها وهذا اول ظهار في الاسلام وقالت
انظر في امري يانبي الله جعلني الله فداك فقالت عائشة رضي الله عنها اقصري
حديثك اما ترين وجهه وكان اذا نزل عليه الوحي اخذه مثل النعاس
فلما قضى الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه قد سمع الله الخ القصة وعن
يوسف بن عبد الله بن سلام انه قال حدثني خولة بنت ثعلبة وكانت
عند اوس بن الصامت انه دخل عليها فكلمها فراودته فغضب فظاهر منها
فخرج الى نادي قومه ثم رجع فراودها فامتنعت كل الامتناع فشادها فاشاددته
فغلبته فقالت له كلا والذي نفس خولة بيده لا تصل الي حتى يحكم الله بيني
وبينك بحكمه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكية قالت يارسول الله
هذا اوس بن الصامت ابلى شبابي حتى اذا انقطع ولدي وكبرسني ظاهر مني
اللهم اني اشكو اليك فقال لها زوجك وابن عمك اتقي الله واحسني صحبته
وكانت ترفع راسها في الدعاء الى السماء لان الوحي من السماء فاجاب
دعاءها قال الفخر هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم
يبق له في مهمه الا الخالق كفاه الله مهمه ولما جاء اخبره بالاية ولم يقدر
الا على الاطعام فاطعم واسكما وروي انه لما نزلت الاية بمحضرها قراها وقال
مر به ان يعتق رقبة فقالت ما عنده شيء يارسول الله فقال مر به ان يصوم شهرين

فقالت شيخ كبير لايستطيع فقال فليطعم ستين مسكينا قالت ماعنده مايطعم يارسول الله قال سنعينه بفرق من تمر قالت وانا يارسول الله اعينه باخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك وقالت والذي بعثك بالحق ماجئت الارحمة له في منافع والفرق يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر وعن الكلبي انها لما شكت الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ماعندي في امرك شي ارجعي الى بيتك فان امرني بشي اعلمتك ولما خرجت رفعت يديها تدعو فنزلت اربع الايات * (وتشتكي الى الله) الوحدة والفاقة والصبية * (والله يسمع تحاوركما) اي مراجعتكما الكلام وغلب الخطاب على الغيبة والمضارعة لحكاية الحال الماضية * (ان الله سميع) للاقوال * (بصير) بالاحوال فهو سميع من يناجيه بصير بمن يشكو * (الذين يظهرون) اصله يتظهرون ابدلت التاء ظاء وادغمت في الظاء وقراء عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء بعدها الف وكسر الهاء وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتشديد الظاء بعدها الف وفي الموضع الثاني كذلك * (منكم) من للتبعيض * (من نسائهم) من للابتداء * (ماهن امهاتهم) الجملة خبر الذين والمراد توبيخ العرب وتهجير عادتهم في الظهار لانه من ايمان جاهليتهم خاصة دون الامم وقراء عاصم برفع امهات على لغة تميم من اهمال ما وقرا ابن مسعود بامهاتهم بزيادة الباء في خبر ما الحجازية وازجاز بعضهم زيادها في خبر المبتدا على لغة تميم بعد ما والظهار ان يقول الرجل لمراته انت على كظهر امي ولايقع بغير الظهر ولا بغير الام اخذا بظاهر الاية والحق الجمهور غير الظهر والام بهما قال الشيخ العلامة عبد العزيز الظهار تشبيه المسلم المكلف من تحل

اوجزءها بظهر محرم اوجزء اخر وان بصهر او رضاع ولا يصح ظهار المشركين وهو مذهب ابي حنيفة واحتج بان الخطاب في الاية للمومنين ويصح عند الشافعي والخطاب للناس كلهم وعن ابي حنيفة لا يكون الظهار الا بالظهر او البطن او الفرج واختلفوا ان قال كامي فقيل ظهار وقيل لا وكان الظهار اشد طلاق الجاهلية في التحريم واثبته الشرع اثباتا وجعل له كفارة وليس تحليله بالكفارة نسخاله الا ان النسخ يدخل الشرايع الجاهلية وهو ماخوذ من الظهر وقيل من الظهر بمعنى العلو لان امراة الرجل مركب له يعلوه بدليل قول العرب نزل عن امرته اى طلقها لان الظهر ليس باولى من سايرالاعضاء كالوجه والثديين والبطن والفرج ودخل في الامهات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وممن قال الظهار لايكون الا بالام الوالدة الشافعي وقتادة والشعبي قال الشعبي ان ينسى الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات * (ان امهاتهم الا الائي ولدنهم) وفي حكمهن المرضعات لارضاعهن ونساء النبي لتحريمهن اما الزوجة فليست بام ولا في حكم الام فكان قول المظاهر منكرا تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية كما قال * (وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا) كذبا باطلا منحرفا عن الحق وقيل قال منكرا وزورا لان الام تحرم عليه ابدا والزوجة لاتحرم بهذا القول واخذ بعضهم بظاهر الاية وقال ان الظهار كبيرة وقيل عصى مظاهر لم يعلق لشي يفعله اولا يفعله وان قال كامه اومثلها وقال اردت هبة اوبرا اوشفقة او نحو ذلك دين وقيل تحريم الظهار تحريم المكروهات جدا وكان قتيل وقالون يقرا من اللاء بالهمز من غير ياء وورش بياء مختلسة الكسرة خلفا من الهمزة واذا وقف صيرها ياء ساكنة والبزي وابو عمرو بياء ساكنة بدلا من الهمزة في الحالين

والباقون بالهمزة وياء بعدها في الحالين وحمزة اذا وقف جعل الهمزة
بين بين على اصله ومن همز اشبع التمكين للالف في الحالين الاورش فان
المد والقصر جائزان في مذهبه واتفقت المصاحف على كتابة التي بلام واحدة
هنا وفي الطلاق والاحزاب * (وان الله لعفو غفور) المظاهر بالكفارة ولما
سلف منه اذا تاب بعفو عن منكن وزوره ويحل زوجته ويغفر ذنوب التائب مطلقا
(والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اي الى ما قالوا واو فيما
قالوا واللام على اصلها والمراد بعودون لما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
بان يمسكوا المراة وامساكها خلاف مقصود الظهار من وصف المراة بالتحريم
فهم يريدون الوطي والتلذذ والنظر فنزل القول منزلة المقول فيه كقوله
عزوجل ونرثه ما يقول وقيل العود تدارك ما قالوا لان المتدارك المقول
عائد اليه يقال عاد الغيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح وهم
يتداركون القول اي يريدون اصلاح ما افسدوا فذلك بالتكفير وقال
الشافعي العود السكوت عن الطلاق بعد الظهار وذلك انه اطلق فقد تم
ما شرع فيه من التحريم ولا كفارة عليه وان لم يطلق فكانه ندم فليكفر ويمسكها
وقد قال ابن عباس العود الندم وقال ابو حنيفة العود استباحة وطئها
واستباحة النظر اليها واللمس وقال مالك العود العزم على وطئها وقال
الحسن وقتادة وطاؤوس والزهري العود الجماع وقالوا لا كفارة عليه
حتى يطاها والظاهر ان العود الندم ولا يخفى ان ذلك كله مناقض لقول
الظاهر وقال مجاهد العود الاتيان بالظهار في الاسلام بعد قطع امور
الجاهلية والكفارة تجب بنفس الظهار وقال ابو العالية والظاهرية العود
تكرير الظهار فما لم يكرر لا كفارة عليه وقيل العود توكيد ما قال بالحلف
قال ابن هشام اللام متعلقة بيعودون وما مصدرية والمصدر ماول باسم

مفعول

مفعول اي او موصولة اسميه وقال هل الظاهر مصدرية والمصدر غير ما
تاول وقال الاخفش متعلقة بتحرير وما مصدرية او اسم موصول ويرده ان
ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها الا في باب اما وان المصدر لا يعمل فيما قبله ولو
ظرفا وان التحرير للقول والعود لا للقول فقط انتهى والجواب عن ذلك
ظاهر * (فتحرير رقبة) اي تخليصها من العبودية والرقبة الانسان
اطلاق لاسم البعض على الكل والفاء زائدة في خبر الذين. اشبهه باسم
الشرط وتحرير خبر لمحذوف اي فالواجب تحرير او كفاته تحرير او مبتدا
خبره محذوف اي فعليهم تحرير رقبة واجب عليهم والجملة خبر الذين
وخبره هو تحرير على حذف مضاف اي حكم الذين يظهرون اولازمهم
والمراد الرقبة المؤمنة حملا على رقبة القتل وهو قول الشافعية وقيل الرقبة
مطلقا وقيل المسلمة او اليهودية او النصرانية وتجزي عندنا ام الولد لانها امة
ومن قال حرة لم تجز عنده ويجزي المدبر قبل اجل التدبير وقيل لا ولا يجزي
المكاتب لانه حر عندنا وقيل يجزي ما لم يود شيئا وقيل ما لم يود الكل
وتجزي كل رقبة صغيرة او كبيرة وقيل الا المجنونة والمجذومة والبرصاء
والعمياء ولا فاقدة جارحة وان سنا واحدة ولا شلاء ولا ذات عسم ابطل
جارحة وجازت زائدة اصبع او سن ان لم يمنع انتفاعا وذات قرع او جرح
او رسوط او قرح او كي ان لم يود لفقد جارحة ولا يجزي جنين في بطن
ولو ولد حيا ويصح ذو اربعة اشهر من يوم ولادته وقيل ذو شهرين وازمت
معتقه نفقته وزعم بعضهم ان الفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على وجوب
تكرير التحرير بتكرير الظهار يعني كما انها في جواب الشرط كذلك فليست
زائدة محضة وهو صحيح * (من قبل ان يتماسا) من قبل ان يمس كل منهما
الاخر بالجماع وان جامعها قبل التكفير حرمت عندنا كما تحرم ان كفر ولم يمسها

حتى مضت اربعة اشهر وقيل عليه الاستغفار ولا يعود
حتى يكفر بدليل ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليله قمراء فواقعتها
فقال له استغفر ولا تعد حتى تكفر والخلف ايضا ان كفر كما لا يجزي
وتلزمه الكفارة الواحدة عن الايمة الاربعة والجمهور وقيل كفارتان وكما يحرم
الجماع يحرم جميع الاستمتاع عندنا وعند ابي حنيفة والشافعي وروي عنه انه يحرم الجماع
فقط وان ظاهر مرارا منها لزمه تكفير واحد ولو في مواضع عند مالك وقال
الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان كان في مجلس واحد واراد
التاكيد والخلاف في المذهب وعن علي تلزمه كفارة واحدة في متعدد في
شيء وكفارة لكل متعدد ظاهر فيه في شيء واحد وان اعتق بعض الرقبة
ومن صح لان اعتاق البعض اعتاق للكل ومن زعم من قومنا غير اعتاق
للكل الزمه اعتاق كلها قبل العود* (ذلكم) الحكم بالكفارة او التعليم
للاحكام* (توعظون به) لانه يدل على منع ارتكاب الجناية الموجبة
للغرمة ويردع عنه* (والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام) اي
فالواجب صيام او غير ذلك مما مر وكذا في الاطعام* (شهرين
متتابعين) وان افطر لغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر فالصحيح
عندنا وعند الشافعية انه يبني وليس هذا باشد من رمضان الا انه لا يفطر
للسفر وان افطر نسيانا او نسي النية اولا فقيل يعيد ما مضى والصحيح انه
يعيد ان نسي النية وانما ينوي لها اولا وان جامع نهارا نسيانا فالخلف وان
جامع نهارا عمدا استانف او ليلا عمدا استانف عند ابي حنيفة ومالك خلافا
لنا والشافعية وان ايسر قبل تمام الصوم اعتق ولا يجزي الصوم من عنده
ما يعتق وقد نسيه او لم يعلم به وقيل يجزي ان لم يعلم ويجزي الصوم من

له رقبة يحتاج لخدمتها او ثمنها يحتاج لنفقته او نفقة عياله خلافا لمالك والاوزاعي
وقال ابو حنيفة يجب عليه العتق ان وجد عين الرقبة ولو احتاج للخدمة
(فمن لم يستطع) ان يصوم (فاطعام ستين مسكينا) من قبل ان يتماسا
كذا نقول نحن والحنفية حملا للمطلق على المقيد وعن ابي حنيفة لم يذكر
القبيله اشارة الى انه ان وقع الجماع في خلال الاطعام لم يستانف وقال
مالك ان اراد التكفير بالاطعام جاز له الوطي قبل الاطعام وبعد غير
مستطيع من عجز عن الصوم لمرض او كبر او شدة شهوة الجماع حتى لا يصبر
عند الشافعية مستدلين بما روي ان ابن صخر البياضي قال كنت اصيب
من النساء مالا يصيب غيري كلما دخل رمضان خفت ان اصيب من
مراءة شيئا تتابع بي والتتابع اللحاح في الشر حتى اصبح فظاهرت منها حتى
ينسلخ الشهر فبينما هي تخدمني ذات ليلة انكشف لي شيء منها فنزوت اي
وثبت عليها للجماع ولما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم فقلت امشوا معي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله فاتيته فاخبرته وقلت له
انا صابر لحكم الله فاحكم بما امر الله فقال حرر رقبة فقلت والذي بعثك
بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي يعني رقبتي قال
فصم شهرين متتابعين قلت وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم
وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا موحشين
اي جايعين قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك
اي الصدقة فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وهو ستون صاعا وكل انت
وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي وهم تنوبياضه بطن من زريق فقلت وجدت
عندكم الضيق وسوء الراي وعند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وقد
امرني بصدقتكم وانما يطعم المظاهر من غالب قوت البلد او يكيل لكل مسكين

مدا قال ابوهريرة مد لكل مسكين في كفارة الظهار وكفارة اليمين
وفدية رمضان وقد روي انه صلى الله عليه وسلم اعطي اوس ابن الصامت
خمسة عشر صاعا من تمر فقال تصدق بها على ستين مسكينا وقال ابو حنيفه
يعطي كل مسكين مدين روي ابو يزيد المدني ان رجلا ظاهر ولم يستطع
الصوم فامره صلى الله عليه وسلم ان يتصدق بثلاثين صاعا من شعير على
ستين مسكينا لكن ابو حنيفه يرى من غير البر صاعا لكل مسكين والاطعام
يكون غداء وعشاء وقيل مرة ولا يجزي اطعام الواحد ستين مرة عندنا
وعند الشافعي اظاهر الاية ولان ادخال السرور على ستين اولى منه على
الواحد ويجزي عند ابي حنيفة لحصول دفع الحاجة وهو المقصود والمد
رطل وثلث وان ظاهر من اربع نسوة بكلام واحد لزمه اربع كفارات
بما روي عن عمر بن الخطاب وواحدة عند ابي عبيدة وعامة اصحابنا
وان فرق فاربع وعن ابن عباس من شاء باهلته ان الله لم يجعل في الامة
ظهارا وقال الكوفيون لا ظهار من الامة الا ان كانت زوجة وقال
ابو عبيدة الظهار لازم من الامة سرية اورجة وان امتنع المظاهر من
التكفير فلامراته ان ترافعه ويجبره القاضي ويحبسه ولا كفارة يجبر عليها
ويحبس الاهذه لانها يضرها ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع قاله الزمخشري *
(ذلك) البيان للاحكام اوذلك التخفيف في الكفارة وهو مبتداء محذوف
الخبر اي مفروض اوثابت او مفعول لمحذوف اى فرضنا ذلك اواثبتناه *
(لتؤمنوا بالله ورسوله) في قبول الشريعة ورفض امور الجاهلية
(وتلك) الاحكام * (حدود الله) لايجوز تعديها * (والكافرين) بها
* عذاب اليم) ولايضره كفرهم * (ان الذين يحادون
الله ورسوله) يعادونهما لان كلا من المتعادين في حد غير حد الاخر

او يخالفونهما او يضيعون حدودها او يختارون حدودا غير حدودها *
(كبتوا) اخذوا واهلكوا قيل اصله الكب وقيل كبت الرجل بقي
خزيان يبصر مايكره ولا يقدر على دفعه وقال ابو عبيدة اصله كبدوا اي
اصابهم داء في اكبادهم وابدلت الدال تاء وهو ضعيف قيل اريد كبتهم
يوم الخندق قيل نزلت في قوم من المنافقين واليهود يتربصون بالنبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الدوائر ويتمنونها ويتناجون بذلك
(كما كبت الذين من قبلهم) من المنافقين والمشركين من الامم *
(وقد انزلنا اليك ايات بينات) تدل على صدق الرسول وهي القران وقيل
فرايض واحكاما * (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم
(يوم يبعثهم الله) متعلق بمهين او بعذاب عند من اجاز مثل هذا اوبما
يتعلق به اللام او مفعول لمحذوف اي اذكر وفي هذا تعظيم لليوم *
(جميعا) حال من الهاء اي مجتمعين قيل او توكيد لها ورده ابن هشام
لعدم اتصاله بضمير المؤكد * (فينبئهم) اي يخبرهم * (بما عملوا)
على رؤس الاشهاد توبيخا وتخجيلا وتشهيرا بحالهم حتى يتمنوا المسارعة الى
النار * (احصاه الله) حفظه تجزية وتفصيلا وعددا لم يفته شيء
(ونسوه) لتهاونهم به اولكثرته * (والله على كل شيء شهيد) لا
يغيب عنه شي * (الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض)
تفصيلا واجمالا * (ما يكون من نجوى ثلاثة) من صلة في اسم الكون
وما نافيه اوللاستفهام الانكاري والخبر ما بعد الا او الكون تام وما بعد
الا حال واستغني في الربط بضمير المضاف اليه والنجوى مؤنث مجازا
ظاهر ولذلك ذكر الفعل وايضا قد فصل او لان الاصل شي من نجوى
فتكون من غير زايدة وقري بالمثناة فوق والنجوى التناجي اما ان تكون

مضافة للثلاثة او موصوفة بها على تاويلها بمتناجين او على تقدير مضاف اي من اهل نجوى فيكون ثلاثة نعتا للاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة وعليهما فعدم التنوين لالف التانيث واشتقاق النجوى من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر مرفوع الى الذهن بعسر الاطلاع عليه (الا هو رابعهم) شاهد عالم بنجواهم اي ما يتناجون في حال من الاحوال الا والله خبير * (ولا خمسة الا هو سادسهم) هذا عطف على معمولين وهما ثلاثة وقوله هو رابعهم لعاملين وهما يكون ونجوى وان عطفنا خمسة على نجوى كان كذلك ولكن احد العاملين حينئذ هو من وكان العطف حينئذ على معمولي عامل وهو يكون لان من زايدة ولكن لا بد من تقدير مضاف على هذا الاخير ولعل مانع العطف على معمولي عاملين يقول بهذا الاخير وقرأ ابن ابي عبلة بنصب ثلاثة وخمسة على الحالية باضمار يتناجون لدلالة نجوى عليه او على تاويل نهوى بمتناجين وصاحب الحال الضمير المستتر في متناجين وخصص العددين الثلاثة والخمسة اما لان قوما من المنافقين تخلفوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة اي ما يتناجى منهم ثلاثة ولا اربعة كما ترونهم الا وهو يسمعهم كما يسمع الرابع منهم اذا تناجى ثلاثة والخامس اذا تناجى اربعة فهو كالرابع والخامس وهذا معنى الاية وقيل تناجوا ثلاثة وتناجوا اربعة لا غير والرابع والخامس الله وقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية تحدثوا فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا وقال الثالث ان علم بعضا علم كلا وقد صدق لان من علم بعضا بلا سبب علم الكل واما لانه قصد ان يذكر ما جرت به العادة من ان المتخالين للشورى ليسوا بكل احد وانما هم

طايفة مجتباة من اولي النهى والاحلام واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحكمة كما ترك عمر الامامة شورى بين الستة وقد ذكر الاكثر والاقل بقوله (ولا ادنى) اقل (من ذلك ولا اكثر الا هو معهم) بالعلم والقدرة او خص الثلاثة لانها اقل ما يتم التشاور اثنان كالخصمين ويرجعان للراي الثالث ولا بد لكل مشاورة من واحد يكون حكما فيها وذكر خمسة لانها اول فرد بعد الثلاثة وقيل خص الثلاثة والخمسة لان الفرد اشرف من الزوج وفي مصحف ابن مسعود الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا تناجوا وقراء يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل نجوى او محل لا ادني ان جعلت لا في لا ادني لنفي الجنس والادني على رفع اكثر يجوز عطفه جرا ورفعا وكون لا لنفي الجنس ويجوز رفعها على الابتداء وفتح اكثر جرو كذا الفتح المقدر في ادنى او نصب اما اكثر فعطف على ادني واما ادني فعلي انه اسم لا العاملة عمل ان وهو شبيه بالمضاف او الفتح في لا اكثر للبناء على ان لا عملت عمل ان وقري اكبر بالباء الموحدة * (اينما كانوا) لان ذاته تقتضي العلم لا بواسطة صماخ او قرب مكان فضلا عن ان يتفاوت عنده الاضمار والاسرار والجهر وابن شرطية متعلقة بجوابها المحذوف * (ثم ينبئهم) يوم القيامة وقري باسكان النون وتخفيف الباء * (بما عملوا ان الله بكل شي عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون) وقرا حمزة قيل ويعقوب ينتجون بفتح الياء واسكان النون بعدها تاء مفتوحة وضم الجيم لينفعل من النجوى * (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه

وسلم قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين يتناجون ويتغامزون
باعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فحزن المؤمنون لذلك
وقالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين غزوا قول او هزيمة
ولما طال ذلك وكثرت شكواهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم
ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا وقيل معصية الرسول عودهم
المناجي وقرا حمزة بكسر العين وقري ومعصية معصيات الرسول اللهم
بحقك يا من احب هذه الامة حتى غار عليهم في التناجي اغفر لي ولشيخي
ووالدي والمسلمين * (واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله)
هذا خاص باليهود اذا مروا عليه صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك
اي الموت دعاء وتمن لموته وكذا يقولون للمؤمنين ويردون عليهم
على حد السلام فاتاه جبريل فقال ليسوا يقولون ذلك علي وجه
التحية فقال لاصحابه اذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم اي السام علينا وعليكم
اي كل يموت او عليكم ما قلتم والله يقول وسلام على عباده الذين اصطفى
ويا ايها الرسول ويا ايها النبي والظاهر انه لا خصوصية لليهود بل هم يقولون
ذلك والمنافقون يقولون عم صباحا وعموا صباحا وهو تحية الجاهلية
قالت عائشة دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا السام عليك فقلت عليكم السام واللعنة فقال مهلا يا عائشة ان الله
يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال
قد قلت وعليكم وفي رواية السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال
يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا
قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب
لهم في وعامة المحدثين يقولون اذا سلم كتابي فقل وعليك بالواو وقال

سفيان بن عيينة بغير واو والمراد عليه ما قال الا دون ان يجهروا نفسه
(لولا يعذبنا الله بما نقول) اي هلا * (يعذبنا الله بما نقول) من
من الطعن فيه وانكار نبوته السلام وغير ذلك لو كان نبيا لعذبنا بقولنا
فيه ومعنى في انفسهم في قلوبهم والقول يطابق مجازا على ما في ثالث القلب
وزعم بعض انه حقيقة وقيل المعنى فيما بينهم اذا خلا بعضهم ببعض
(حسبهم جهنم) فامرهم موعدهم اليها * (يصلونها) يدخلونها * (فبئس
المصير) المخصوص بالذم محذوف اي جهنم اوهي * (واذا جاءوك حيوك
بما لم يحيك به الله) بالسلام او بزعمهم * (اذا تناجيتم فلا تتناجوا) * وعن يعقوب فلا تنتجوا
وعن ابن مسعود اذا تنجيتم فلا تنتجوا وقري فلا تناجوا * (بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول) اي الخطاب للمؤمنين حقا اي اذا ناجيتم فلا تتناجوا
بالوثائق في تناجيهم بالشر بهم عن فعل المنافقين واليهود وذلك
في غير النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى
اثنان دون صاحبهما وروى دون الثالث فان ذلك يحزنه وهذا
في الحلال * (وتناجوا بالبر) الخير للمؤمنين * (والتقوى) اي اتقوا
المعصية تناجيا لا يضر * (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) اي تبعثون
وتجمعون للجزاء * (انما النجوى من الشيطان) اي النوعي المذكور
من الاثم والعدوان والمعصية تزيين من الشيطان * (ليحزن الذين
امنوا) بوهمهم انها عليهم وقراء ابو عمرو وغيره بفتح الياء والواو
فالفاعل هو الذين * (وليس) الشيطان او التناجي * (بضارهم
شيئا) اي من الشر او يضارهم ضرا * (الا باذن الله) الا بعلم الله
او الاباذنه في الضرر ان يسبق في علمه او الا بما اراد من القضاء بالموت
والغلبة على الغزاة وعن الحسن ان رجلا من المسلمين كان يأتي زوجة

صلي الله عليه وسلم فيستخليه بحاجته فكان الشيطان يوقع في قلوب المؤمنين
الحزن بقول ان صاحبكم هذا انما خلا برسول الله صلى الله عليه سلم ليبغضكم
عنده * (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ويستعيذوا به من الشيطان *
(يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا) توسعوا وقري تفاسحوا *
(في المجالس فافسحوا) مجلس رسول الله كانوا يتضامون فيه للقرب منه
صلي الله عليه وسلم والسماع والنظر اليه ويلحق به مجلس غيره اوالمراد
بالمجلس الجنس و يدل له قراءة عاصم في المجالس ولكن يجوز في قراته
ايضا ان يكون المراد مجالسه صلى الله عليه وسلم فانها متعددة ومجالس
الناس فان لكل احد مجلسا قال زيد بن اسلم وقتادة نزلت الاية بسبب
تضايق الناس في مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم فياتي الرجل له الحق
والسن والقدم في الاسلام فلايجد مكانا وقيل انه صلى الله عليه وسلم
يحب المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فسلموا
على النبي صلي الله عليه وسلم فرد عليهم وسلموا علي الموءمنين فردوا عليهم
وقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يوسعوا فشق ذلك على
النبي صلي الله عليه وسلم فقال قم يافلان قم يافلان بقدر النفر الاتين من
اهل بدر فشق ذلك على من قام من مجلسه حتى عرف النبي صلي الله
عليه وسلم الكراهة في وجوههم فنزلت الاية وقيل نزلت في ثابت بن قيس
وقدمر في الحجرات وقيل كان ذلك في الصفة من مسجده صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة والمكان ضيق ونسخت الاية القيام من مكان ليقعد
فيه غير القايم منه وفي الحديث لايقم احد من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل ولكن
تفسحوا يفسح الله لكم وقام احد في مجلسه صلي الله عليه وسلم لغيره فذهب
الغير يجلس فيه فنهاه صلي الله عليه وسلم قيل الا للعالم والامام والوالد

وكذا

وكذا القيام على الارجل اجلالا فقد قال صلي الله عليه وسلم حين اقبل
سعد قوموا الى سيدكم ويجب على المعظم ان لا يحب ذلك لقوله صلى الله
عليه وسلم من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار وفي
الاحتجاج بقضية سعد قيل نظر لانها احتفت بها قرائن سوغت ذلك
منها ان المراد امشوا اليه وسلموا عليه وقيل المجلس مجلس القتال وهي
مراكز الغزاة سماها مجالس ولاجلوس فيها كقوله مقاعد للقتال وكانه سمي
الثبوت بالارجل على الارض باسم الثبوت عليها بالمقاعد كان الرجل
بات الصف فيقول تفسحوا قيابون لحرصهم على الشهادة فربما كان
شد بد الباس والحاجة داعية اليه ويقاس عليه مجلس العلم والقراءن والذكر
ومن تفسح لغير متولي كمن قطع عرى الاسلام الا ان خاف فتنة ومن
وسع على عباد الله انواع الخير وسع له في الدنيا والاخرة كما قال * (يفسح
الله لكم) وقيل يفسح لكم في مجالس الجنة والجزم في جواب الامر وقري
بفتح لام المجلس على انه مصدر ميمي اي في الجلوس * (واذا قيل انشزوا)
ارتفعوا عن مواضعكم لاخوانكم وحذف فاعل قيل في الموضعين لعدم
تعلق الغرض به قاله ابن هشام * (فانشزوا) وذلك توكيد لما قبله
اوالمراد اذا قيل انهضوا عن مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا
امرتم بالنهوض ولا تضجروه وقال الكلبي اراد النهوض للصلاة والجهاد
وافعال الخير وقيل كانوا يثاقلون في الصلاة في الجماعة اذا نودوا اليها
فنزلت الاية والمشهور الاول وفي الحديث لايحل للرجل ان يفرق بين
اثنين الا باذنهما ولعن الله من قعد وسط الحلقة وقراء غير نافع وابن عامر
وعاصم في الاية بكسر الشينين * (يرفع) بالجزم في جواب الامر
(الله الذين امنوا منكم) بالطاعة في التفسح وغيره درجة في الجنة *

افضل الناس العلماء والشهداء اما العلماء فاخبروا بما جاءت به الرسل واما الشهداء فانهم قاتلوا على ما جاءت به الرسل وفي الحديث فضل العالم احب من فضل العابد لانه اورع عن محارم الله وخير دينكم الورع قال بعضهم موت العالم احب الى ابليس من موت الف عابد قال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شي حتي الحيتان في البحر وذهب ابي بن كعب ليركب فامسك له ابن عباس بالركاب فقال له مه يا ابن اخي فقال له ابن عباس ان الله يحب ان يعظم حق اخيار المسلمين وروي انه قال امرنا ان نفعل بالعلماء هكذا وقبل له ابي يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل البيت وذكروا ان النظر في وجه الفقيه عبادة وعن عمار ثلاثة لا يستخف بهم الامنافق الامام العدل وذو الشيبة في الاسلام ومعلم الخير والعلماء ورثة الأنبياء وفي الحديث من يرد الله به خير يفقهه في الدين وقدم رجل من دمشق الي ابي الدرداء في المدينة فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث سمعته عنك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ماجيئت الا له قال نعم قال ماجيئت في تجارة قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وروي ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالبه ووضعها كرفع الايدي في الدعاء ومر صلي الله عليه وسلم بمسجده بمجلسين مجلس دعاء ومجلس تعليم فقال كلاهما على خير ومجلس التعليم افضل انما بعثت معلما وفي القناطر ذلك كله ببعض تغيير وزيادة وعن ابن ابي الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل مرتين وروي سبع مرات وفي الحديث اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعن انس يجر مصران من لم يعمل بعلمه في النار ويتاء ذي اهل النار من

والذين اوتوا العلم درجات) قيل واذلك امر بالتفسح لهم وعن جماعة من الصحابة يرفع درجات وفضل العالم يعلم من خارج واذلك بعثه فسح عالمهم وغيرهم وعن ابن مسعود وغيره تم الكلام في منكم وخص العلماء بالدرجات ونصب الذين بحذوف والموصول مطلقا يرفع بالذكر وحسن الثناء والنصر (والله بما تعملون) من اكتساب العلم والعمل وقرئ بالتاء على الخطاب (خبير) فيجازيكم والعالم لجمعه بين العلم الذي هو اشرف العمل وضبطه وبيان العمل افضل من العابد في علم قليل حتى ان بعضا اجازوا الاقتداء بالعالم في الفعل كما يقتدى به في القول وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضلي ليلة البدر على سائر الكواكب وان مثل ما بعثني الله به من العلم والهدي كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فطائفة منها قبلت الماء فاكثرت العشب وطائفة امسكت الماء للناس شربوا وسقوا وزرعوا وطائفة قيعان لم تمسك ولم تنبت وقرأ ابن مسعود هذه الاية وقال ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم وفي الحديث بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين خطو الجواد المضمر سبعين سنة ويشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة واسطة بين النبوة والشهادة يشهادة رسول الله صلي الله عليه وسلم ولقوة ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن حكيم ابيات شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم ومن الاحنف كاد العلماء يكونون ربانيا وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال قال ابن مسعود العالم افضل من المجاهد وعن بعضهم

تثنه وفي الحديث يقول الله للعالم ما صنعت فيما آتيتك من العلم فيقول
بينته وعملت به حتى مت فيقول كذبت بل اردت ان يقال فلان
عالم فلان مصل وقد قيل ذلك اذهبوا به الى النار وفي الحديث
من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به وجوه
الناس اليه فله النار ومن تعلم ليحدث الناس لم يرح رايحة الجنة وفي
القناطير كثير من ذلك * (يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدى نجواكم صدقة) الفقراء قال جار الله مستعار ممن له يدان
والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما اوتيت العرب
الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به
اللئيم اى قبل حاجته وفي ذلك تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفع الفقراء والنهي عن الافراط في السوال والتمييز المخلص والمنافق
ومحب الاخرة ومحب الدنيا قاله القاضي وهو مشكل اذ لم تصدق
ويسأل سوى على فيلزم السوء على الصحابة حاشاهم ويجاب بانه لم يتفق
للاغنياء مناجاة الا هذه فقط وقيل ان ذلك لم يبق الا ساعة ثم نسخ بالاية
بعدها وعليه الكلبي وقيل بالزكاة وقيل بقي عشرة ايام وعليه مقاتل
والاية وان اتصلت بالاوقة لم تتصل به نزولا وقيل الامر في ذلك للندب سلمنا
الوجوب واتساع الوقت لكن لم يسئله الصحابة مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا
ما يتصدقون وذلك لم يفرض عليهم لقوله فان لم تجدوا الخ قالوا قيل ان هذه الصدقة
لم تكن طاعة فرضا ولا ندبا ولكن تعجيز كف لهم عن كثرة السوال لما ضجروه تكلف
الفقير لفقره قال جار الله والعني لشحه اه وهذا الشح غير مضر لانهم امسكوا
حيث يجوز الامساك ولو عرض لاحدهم سوال لابد منه تصدق وسال
وعن بعضهم وعليه مقاتل نزلت في الاغنياء يكثرون مناجاته وغلبوا

الفقراء

الفقراء وملّ رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم
فامرهم بالصدقة تخفيفا على نبيه فتركوا. في هذا الامر ان الشئ اذا وجد
بمشقة عظيمة والا استحب، وتركوا لم يناجه الا علي بن ابي طالب
تصدق بدينار وناجاه وخطب علي بن ابي طالب في الكوفة وقال
يا ايها الناس ان في القران سورة فيها اية ما عمل بها احد قبلي ولا معي
ولا يعمل بها بعدي فقيل ما هي قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما كثرت عليه المسائل كره ذلك خيفة ان يجعل على امته فرضا ليس
عليهم فنزل يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الاية فامسكوا عن كلامه
ومسواله ولم اكن املك غير دينار فصرفته بعشرة دراهم ثم جعلت كلما
اردت ان اسئل عن مسئلة تصدقت بدرهم حتى انقضت فنسخت الاية
بقوله اشفقتم ان تقدموا الاية قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات
سالهن وروي انه لما نزلت الاية قالوا لابد لنا من مناجاتك وان اموالنا
لا تطيق ذلك ولما نزلت دعا عليا فقال كم هذه الصدقة اتراها دينارا
قال علي لا يطيقونه قال فنصف دينار قال لا يطيقونه قال فكم قال شعيرة
قال انك لزهيد والشعيرة وزن حبة شعير من ذهب قال الفخر قوله انك
لزهيد معناه انك تقليل المال فقدرت على حسب حالك وما دعا عليا
الا علمه صلى الله عليه وسلم ان ذلك يشق على الناس وعن علي ما عمل
بها غيري واناسبب الرخصة والتخفيف اذ نسخت وعن ابن عمر كان لعلي
ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه
فاطمة واعطاءه الراية يوم خيبر واية النجوى وزعم جماعة ان الاية نسخت
قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه وعن ابن عباس وقتادة سبب
نزولها ان قوما من شباب المومنين واغنائهم كثرت مناجاتهم له صلى الله

عليه وسلم في غير حاجة وكان لا يرد احدا فنزلت الاية مشددة وراده
لهم وظاهر بعض ان غير علي تصدق ايضا وسال * (ذلك) اي التصدق
والمفهوم من الكلام او ذلك المذكور من الصدقة او ذلك التقديم تقديم
الصدقة * (خير لكم) من عدمه او المراد ان فيه نفعا لكم * (واطهر)
لذنوبكم ونفوسكم من الريبة وحب المال وهذا تدريب * (وان لم تجدوا
فان الله غفور رحيم) والذي لا يجد هو الفقير وهذا الانشاء دليل للوجوب
على الاغنياء * (اءاشفقتم) استفهام توبيخ والمراد الخوف من الفقر
الشيطان يعدكم الفقر وقال ابن عباس البخلتم والهمزتان مخففتان وتسهل
الثانية مع ادخال الف بينها وبين الاولى وتبدل الثانية الفا وهو قراءتنا
(ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال القاضي جمع الصدقة
لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي * (فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به من
تقديم الصدقة وشق عليكم اذ هذه مضمنة معنى ان اواذا وجعل لها جواب
مقرون بالفاء وقيل الفاء زايدة واذ على اصلها * (وتاب الله عليكم)
رجع بكم عنها بنسخها تخفيفا * (فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة) لا تفرطوا
في ادائها * (واطيعوا الله ورسوله) في سائر الامر والنهي فان القيام
بالطاعة كالجابر المتفريط في تقديم الصدقة فان اشفاقهم ذنب تجاوز
الله عنه وتاب عليهم كما يدل عليه فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم وعن بعضهم
ان المعنى دوموا على ذلك * (خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا
وقرئ بالتاء فوق * (الم تر الى الذين تولوا) اي والوهم المنافقون *
(قوما غضب الله عليهم) هم اليهود نقلوا اليهم اسرار المسلمين ونصحوهم
وودوهم * (ما هم) اي المنافقون * (منكم) من المومنين *
(ولا منهم) من اليهود مذبذبين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء

ويحتمل

ويحتمل ان يراد ما القوم المغضوب عليهم منكم ولا من الذين تولوهم وقيل
المغضوب عليهم المشركون مطلقا والاول اظهر كقوله من لعنه الله وغضب
عليه * (ويحلفون على الكذب) وهو الاسلام الذي يدعونه *
(وهم يعلمون) انهم كاذبون في قولهم انا مسلمون وذكر العلم تقوية
في الذم يحلفون على شيء جزموا بخلافه وقيل لان الكذب ان يكون
الخبر لا على وفق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم قال جار الله قيل
كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
يرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من
حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق
فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت * (اعد الله لهم) اي هياء *
(عذابا) التنكير للتعظيم * (شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون)
من المعاصي اخبار باستمرارهم على المعصية او بما يقال لهم يوم القيامة *
(اتخذوا ايمانهم) التي حلفوا بها جمع يمين وقري بالكسر مصدرا من
اى توحيدهم الذى اظهروه وهو قراءة الحسن * (جنة) سترا عن دمائهم
واموالهم * (فصدوا عن سبيل الله) في خلال سلامتهم يثبطون
من اتوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وقيل صدوا
المسلمين عن ان يقتلوهم ويسبوهم ويا خذوا اموالهم باظهار الايمان *
(فلهم عذاب مهين) يوقعهم في الهوان في الاخرة والدنيا وهو وعيد ثان
وقيل الاول عذاب القبر والثاني عذاب الاخرة * (لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله) من عذابه في الاخرة * (شيئا اولئك اصحاب

النار هم فيها خالدون يوم) متعلق بلن او بتغني او بخالدون او بما تعلق به لهم او مفعول لاذكر * (يبعثهم الله جميعا فيحلفون) انهم مؤمنون * (كما يحلفون لكم) روي ان رجلا قال لنتنصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا فيحلفون بالله تعالى على انهم مسلمون * (ويحسبون انهم على شيء) نافع بان يكون دمن حلفهم وقاية من النار كما كان في الدنيا وقاية عن القتل والسلب وفي ذلك اشعار بالتوغل في النفاق حتى بعد الموت والبعث لم يعلموا ان الله علام الغيوب وقد نطق القران بكذبهم في الاخرة كهذه الاية وقوله ربنا ما كنا مشركين وقيل يحلفون للمؤمنين ايتلبسوا من نورهم فيرجدون النطق بكلمة الشهادة فيختم على افواههم * (الا انهم هم الكاذبون) اي هم الغاية في الكذب * (استحوذ) اي تغلب واستولى من كل جهة * (عليهم الشيطان) اطاعتهم له في كل ما يريد حتى جعلهم رعيته من قولك حاذ الحمار العانة اي انقطع من حمر الوحش اذا جمعها وساقها غالبا لها ولفظ استحوذ مما جاء على الاصل غير نقل وقلب كاستصوب واستنوق وبسطت ذلك في شرح اللامية والقاعدة ان يقال استحاذ بنقل الفتحة للحاء وقلب الواو الفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها في الحال وقد قراء عمر استحاذ على القاعدة * (فانساهم ذكر الله) اي صدهم عن الايمان والعمل ولا بذكرون الله بقلوبهم ولا بالسنتهم اي جعلهم غافلين اي تسبب في غفلتهم او جعلهم تاركين * (اولئك حزب الشيطان) جنده واتباعه (الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون * ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين) في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منه * (كتب الله) في اللوح او قضى * (لاغلبن انا ورسلي) جواب قسم مقدر او جواب كتب المضمن معني القسم وقرا غير نافع وابن عامر

باسكان

باسكان الياء والغلبة بالحجة او بالسيف او بهما قيل من بعث بالحرب غالب بالسيف ومن لم يؤمر بها اغلب في الحجة * (ان الله قوي) على نصر رسله * (عزيز) لا يغلب * (لا تجد قوما يؤمنون) نعت قوما * (بالله واليوم الاخر يوادون) مفعول ثان ومعنى يوادون يودون فهو لموافقة المجرد والمودة المحبة او المراد المفاعلة اي يودون * (من حاد الله ورسوله) ويودهم والمشرك لا يود مسلما الا لتغريطه في الدين ولو تصلب فيه لم يحبه او يحبه ولو تصلب ليستدرجه للكفر وعن الثوري قالوا انها نزلت فيمن يصحب السلطان روي ان عبد العزيز بن رواد لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وقرأها وقد وقعت المودة بين بعض المسلمين والمشركين وانما قال لا تجد على معني لا تجد على سبيل شرعنا ورضانا فمهما وجدت من ذلك فعلى غير شرعنا ورضانا او قال ذلك كناية عن التحريم بالمبالغة فيه حتى خيل ان من المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين اي حق ان يمتنع ذلك وتتصلبوا في دين الله وتتباعدوا عن مخالطتهم او ذلك على الحقيقة فان من والى مشركا ومات غير تائب هو غير مؤمن وذلك في غير محبة الضرورة الاتية من قبل النفع وجهته فان هذه مجبولة في القلب بل محبته على شركه او اختياره على المسلم او نحو ذلك كمصحه لمحبة وارادة خير الاخرة والدنيا لهم وزاد ذلك تاكيدا بقوله * (ولو كانوا) اي المحادون (اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) الخ وعن الحسن نزلت في المنافقين يوادون المشركين وعن الكلبي في امر بلتعة بن حاطب اذ انذر اهل مكة بالغزو وقيل تلك المحبة منهي عنها مطلقا ولعلها التي تثبت بعد الواقعة كرها فيه لنفعه قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما الاية بل يجب على

المسلمين ان يقصدوا المشركين بالقتال على الايمان وروي ان الاية نزلت في ابي بكر رضى الله عنه حين سب ابوه رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو ابو قحافة فصكه ابو بكر صكة سقط منها فذكر ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم فقال اوفعلت قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل عن ابن مسعود نزلت في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني اكن في الدعلة الاولى فقال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر وهو قيل من من عشيرته وفي علي وحمزة وابي عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر كل قتل رجلا وعبارة بعض نزلت في ابي عبيدة وقيل في ابي بكر وقيل في مصعب وقيل في عمر وقيل في علي وحمزة وابي عبيدة (اولئك) الذين لا يوادون المشركين بل يوادون المؤمنين * (كتب) اثبت * (في قلوبهم الايمان) وارسخه فيها حتى اتبعوه بالعمل وقيل معنى كتب حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه * (وايدهم) قواهم * (بروح منه) اي بنصر منه لانه به يحيي امرهم فهو كالروح له وقيل بنور القلب ولطف منه حييت به قلوبهم وقيل بالقران وقيل بجبرائيل وقيل بالرحمة * (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بطاعتهم * (ورضوا عنه) بقضاه وقيل بثوابه وانما ذكر الرضى بعد ذكر الادخال لانه اعظم النعم واجل الرتب (اولئك حزب الله) جنده وانصاره يتبعون امره ويجتنبون نهيه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدنيا والاخرة واضافة الحزب

الى

الى الله تعظيم عكس الاضافة المشيدات وقيل معني اولئك كتب لهم كتب في قلوب اوليائه سطورا الاول التوحيد والثاني المعرفة والثالث الصدق والرابع الاستقامة والخامس الثقة والسادس الاعتماد والسابع التوكل ذلك فعل الله وانما فعل العبد فالاسلام وقيل الكتابة في القلب ماوهب لهم قبل ان يخلقهم من الاصلاب ثم ابدى نورا في قلوبهم فكشف عنهم الغطاء حتى ابصروا وقيل حياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور رضي الله عنهم بالاخلاص ورضوا عنه بجزيل ثوابه اولئك حزب الله هم الابدال واربع منهم الصديقون الا ان حزب الله هم المفلحون الوارثون اسرار علومه المشرفون على معاني ابتدائهم الى انتهائهم والحق ما تقدم وهذه السورة اخر نصف القرآن بعدة السور وسورة الحديد اول النصف الثاني اللهم بحق نبيك محمد علينا صلي الله عليه وسلم وحق السورة اخز النصارى ومن يوادهم من الموحدين وغلب المسلمين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة الحشر

مدنية بالاتفاق قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة بني النظير قال ابن حجر كانه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن ان المراد يوم القيمة وانما المراد به هنا اخراج بني النظير وايها اربع وعشرون وكلمها اربع مائة وخمس واربعون وحروفها الف وتسعمائة وثلاثة عشر وفي الحديث من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الغزالي من قرا سورة الحشر ايمن في الدنيا والاخرة وقالوا

ان اخرها دواء من كل داء الا السام وان كتبت ام القران واربع ايات من اخر هذه السورة . قل هو الله والمعوذتين ثلاثا وكتب اللهم رب الناس اذهب الباس واشف حامل كتابي هذا شفاء لايغادر سقما ولا المك بوجعك وقوتك انك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وعلق على مريض يبرأ باذن الله وعنه صلى الله عليه وسلم من قراء حين يمسي ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاث ايات من اخر السورة هذه . كل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يصبح وان مات في تلك الليلة مات شهيدا ومن قالها حين يصبح كان بتلك المنزلة وطبع له بطابع الشهداء *

بسم الله الرحمن الرحيم *

(سبح لله مافي السموات وما الارض) اي نزه الله واللام زائدة وما للعاقل وغيره ومر الكلام على ذلك قبل لتي بما تغليبا للاكثر على العاقل * (وهو العزيز) في ملكه ونقمته وبعزه ذل كل شيء * (الحكيم) في صنعه (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم) روي انه صلى الله عليه وسلم صالح بني النضير لانه ولا عليه ولما ظهر في بدر قالوا انه النبي الممنوت في التوراة ان لاترد له راية ولما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا ابا سفيان وغيره عليه عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وهو اخوه من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مقطوم بليف فقال اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل طلبوا الامهال عشره

يام ليتجهزوا للخروج فقال عبد الله بن ابي المنافق واصحابه لاتخرجوا فان قاتلوكم فنحن معكم وان اخرجتم لنخرجن معكم فتربصوا على الازقة حضوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب والوهن من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل اهل ثلاثة انفس على بعير ماشاءوا من متاعهم فخرجوا الى اريحا واذرعات من الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة بالحيرة وروي انهم تحالفوا في استار الكعبة كعب في اربعين وابو سفيان في اربعين واخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فامر بقتل كعب وقتل واصبح وامر الناس بالمسير الى بني النضير فقال لهم زهير فوجدهم يبوحون على كعب فقالوا يا محمد وجدتنا على واعية وباكية على باكية قال نعم قالوا ذرنا نبك ثم افعل فقال اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا الى اخر ما مر انفا وروي انهم ارسلوا اليه بعد التحصن المذكور ليغدروا ان اخرج في ثلاثين ويخرج في ثلاثين فان صدقوك امنا ففعلوا وقال يهودي كيف تقتلونه ومعه ثلاثون كل يحب ان يموت قبله لكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن في ستين ولكن تخرج في ثلاثة وتخرج في ثلاثة فخرجوا في ثلاثة من علمائهم معهم الخناجر فارسلت يهودية منهم الى اخ لها مسلم من الانصار بذلك فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم سريعا قبل ان يصل اليهم فرجع وحاصرهم من الغد احدى وعشرين ليلة فطلبوا الصلح كما مر وروي انه صالحهم على الجلاء ولهم ما اقلت الابل الا السلاح وعن ابن عباس على ان يحمل اهل كل بيت على بعير ماشاءوا وقيل لكل ثلاثة نفر بعير وسقاء وذلك بعد مرجعه من احد واما فتح قريضة فبعد مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان قاله ابن اسحاق وهو في زمان مالك * مسئلة ذكر في هذا الموضع قصة جرت لي في

زمان الطلب وهي ان الشيخ اسمعيل ذكر في قناطره مانصه وعن محمد بن كعب القرظي قال سمعت ابن عباس يقول والله اربما مررت بالاية من كتاب الله عز وجل في جوف الليل فلا اعرف فيم انزلت فاخذ ثوبي ثم ماتي المسجد واصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم واوقظ الرجل منهم واسئله فيمن نزلت اية كذا فان لم اجد عند واحد منهم اتيت اخر كذلك حتى امر عليهم جميعا الخ وكتب الكاتب القرظي بالطاء والمثناة الفوقية وحشي عليه بعض وقال انه منسوب الي قرطبه بضم القاف والطاء بلد بالمغرب . كتبت على هذه الحاشية مانصه قوله منسوب الى قرطبه الخ هومن خرافات جهال العصر وهو باطل بل القرظي نسب الي بطن من بني كلاب واما الذي هو نسب الي قرطبة فهو القرطبي صاحب مختار الصحاح وغيره وقرطبة بلد بالاندلس تعلم فيها الشيخ يوسف بن براهيم والاندلس لم يفتح الا بعد زمان ابن عباس اه وهذه الحاشية ابطلت بها ادعاء نسبة القرظي بالطاء والمهملة والموحدة الى قرطبة بالطاء والموحدة واوضحت بها ان النسبة الي قرطبة ان يقال القرطبي بالطاء والموحدة هذا مقتضى الحاشية التي اثبتت مع ما ذكرت من تاخير فتح الاندلس ولم تعرض الى صحة نسخة الكاتب ولا فسادها ولو كانت فاسدة لان الجواب القرظي بالمشالة فالمثناة التحتية نسب الي قريظ بالمشالة وهو محمد بن كعب المذكور في القواعد ثم كتب عليه الكاتب مانصه املاه القرظي بالمشالة ثم اني لما علمت ان الحشي هو العلامه الحاج يوسف بن حمو حررت القلم على قولي هومن خرافات جهال العصر فظن من ظن لقلة الفهم ماظن ان قولي قوم من كلاب تفسير للقرطبي بالمشالة *

(لاول الحشر) متعلق باخرج واللام للتوقيت كقولك كتبته لكذا ليلة اي عند اول الحشر وهذا اول حشرهم الي الشام وكانوا من

سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من حزيرة العرب الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل اخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الاية وقيل اخره نار تحشرهم من المشرق الي المغرب تبيت حيث باتوا وتقيل حيث قالوا وقيل معناه اخر حشرهم من ديارهم لاول ماحشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلي الله علي سيدنا محمد * (ماظننتم) ايها المؤمنون * (ان يخرجوا) معززتهم ومنعتهم لانهم اهل حصون وعقار ونخل كثير وعدد شدة * (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اي من باسه وقدم الخبر وهو مانعة على المبتدا وهو حصون دلالة على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها ايهم واكدبان وجعل خبرها جملة اسمية دلالة على اعتقادهم انهم في عزه لاتستطاع وليس ذلك كله في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم ويجوز كون مانعتهم خبرا وحصونهم فاعل مانعتهم وفي الحديث لان عشت لاخرجن اليهود ان شاء الله من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها الا مسلم فقبض قبل ان يفعل وقد امر باخراجهم الناس * (فاتاهم الله) اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقتل رئيسهم كعب بن الاشرف وذلك مما اضعفهم وسلبهم الامن والهمهم ان يوافقوا المومنين في تخريب البيوت وثبط المنافقين وقيل الضمير للمومنين اي اتاهم نصر الله وقري بالمد اي اتاهم عذابه او نصره من حيث لم يحتسبوا) لم يخطر ببالهم لقوة وثوقهم * (وقذف في قلوبهم الرعب) ارسخ فيها الخوف الذي يملوء القلب وقري بضم العين قبل وذلك بقتل كعب (يخربون بيوتهم بايديهم) لينقلوا ما استحسنوا من خشبها وغيرها

وقيل ينقضون السقف ويثقبون الجدار ويهدمون ما استطاعوا
لئلا تسكنها المومنون وقيل ليسدوا الازقة بالخشب والحجارة وخربوها
ايضا بسوء راي وقرا ابو عمر بتشديد الراء للتوكيد والتكثير وعدى
بعضهم الاخراب لتعطيل او ترك الشي خرابا والتخريب الهدم *
(وايدي المومنين) معني تخريبها بايدي المومنين انهم عصوا
ونكثوا وكانوا سببا لتخريب المومنين اياها فكانهم امروا المومنين
بالتخريب وكلفوهم اياه هم يخربون ظاهرها واليهود باطنها قال ابن عباس
كلما طهر المومنون من دار هدموها ليتسع لهم المقاتل ويزول متحصن
اليهود ونكاية واليهود يخربون ويضربون بالنقض من دار لدار
والمومنون في اثرهم وذلك لما اراد الله من استيصالهم من تلك البلاد *
(فاعتبروا) اتعظوا بما دبر الله وبشر من امر اخراجهم من غير قتال ولم
ينفعهم ما اعتمدوا عليه من غير الله فلا تعتمدوا على غيره جل وعلا *
(يا اولي الابصار) قال القاضي واستدل به على ان القياس حجة من
حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها لمثلها لما بينهما من المشاركة
المقتضية له اه وذلك ان الحق اثبات القياس لاهله * (ولولا ان
كتب الله) قضى * (لعذبهم الجلاء) الخروج عن اوطانهم * (لعذبهم
في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل بقريضة والجلاء اشق لمثلهم من القتل
والسبي وطهر الله المومنين وبلادهم منهم وارضهم وعن بعضهم ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم وعد المسلمين ان يورثوا ارضهم ومالهم بلا
قتال فكان كذلك قد قضي الله بجلائهم بلا قتال فليعتبر اولوا
الابصار * (ولهم في الاخرة عذاب النار) ولو سلموا من عذاب الدنيا
بل لم يسلموا منه فان الجلاء عذاب والجملة مستانفة * (ذلك) الذي

لحقهم

لحقهم في الدنيا والوعذاب النار اوذلك كله * (بانهم شاقوا الله) خالفوه
(ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم) موصول
وصلته دخلت فاء في خبره لونكره موصوفة كذلك * (من لينة)
اى نخلة وقيل ماعدا العجوة من اللون فهي ضروب النخل وياءها عن
واو الاصل لونة قلبت الواو ياء للكسر قبلها وقيل ماخلا العجوة والبرنية
وهما احود النخل . في الحديث العجوة من الجنة وهي شفاء من السم ويجمع
على الوان ولين بترك التاء فقط وممن قال اللينة النخل ماعدا العجوة
ابن عباس وعكرمة وغيرهما وذكروا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه
كان يقطع ماعدا العجوة وان اهل المدينة يسمون ماعداها الالوان
وقيل اللينة النخلة الكريمة اشتقوها من اللين وجمعها الوان ولين بترك
التاء فقط وعن ابن عباس لون من النخل وقيل ضرب منه يقال لتمره اون
شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وهو من اجود
تمرهم ونخلة منه كوصيف واحب * (اوتركتموها) ضمير النصب لما
وانثه لوقوع ما على المونث وهو اللينة كما فسر به او بعض به * (قائمة)
وقرئ قوما بضم القاف وتشديد الواو مفتوحة جمع وقري قايما كالافرد
والتذكير نظرا الى لفظ ما بعد النظر الى معناه * (على اصولها) وقري
بعدم الواو واكتفاء بالضمة اولانه جمع كرهن بالاسكان ورهن بالضم *
(فباذن الله) اي فقطعها باذن الله وحدة من الله لكم * (وليخزي
الفاسقين) اي النظير اي واذن لكم في القطع او الترك ان شيئتم ليخزيهم اي
يبيتهم ويغيظهم بالاذن في القطع روي انه لما حاصرهم امر بقطع نخلهم
واحراقه وترك العجوة وشق عليهم ذلك وقالوا للمومنين انكم تكرهون
الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل فانه لمن غلب قالوا يا محمد زعمت انك

ترد الصلاح فمن السلاح من الشجر وقطع النخل وهل انزل اليك الفساد روي انهم قالوا قطع الشجر المثمر فساد فكان في نفس المؤمنين من ذلك شيء فقال بعض نتركها تنفع وقال بعض نقطعها فنزلت الاية قال حسان *

* وهان على سراة بني لوي * حريق بالبويرة مستطير *

والبويرة موضع لبني النظير واللينة ان كانت من الالوان فخصوا القطع والاحراق بها ليتوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام لتقبل فليكن شد غيظا على اليهود وروى ان رجلين كان احدهما يقطع العجوة والاخر اللون فسئلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذي يقطع العجوة قطعتها غيظا للكفار وقال الذي يقطع اللون تركت العجوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بعضهم بهذا على جواز الاجتهاد على جوازه بحضرته صلى الله عليه وسلم واحتج به كل من يقول كل مجتهد مصيب والحق جواز الاجتهاد وان لمجتهد يصيب ويخطي وله الاجر ولا وزر واستدل بعضهم بذلك وبالاية على جواز هدم ديار الكفار وقطع الاشجار واغراقها والرمي بالمجانيق سواء ما اثمر وما لم يثمر قيل يجوز ذلك باتفاق وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال * (وما افاء) رد * (الله على رسوله منهم) من بني النظير قبل ومن الكفرة من فدك ايفا وجفتم اسرعتم ايها المسلمون والجملة جواب او خبر من قيام الملزوم مقام اللازم والسبب مقام المسبب والاصل فهو لرسول الله لانكم لم تجروا * (عليه) اي على تحصيله * (من) زايدة في المفعول * (خيل ولا ركاب) ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه ولا قاتلتم ولا تعبتم وما كانت الا على ميلين من المدينة

مشوا اليها بارجلهم وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وجملا * (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من اعدائه بقذف الرعب فتلك الاموال لرسوله عدم القتال ولعدم القتال الكبير يضعها حيث يشاء خلق للعبادة وخلق ما خلق لتوصل به اليها فهي له ينفقها كيف يشاء كما في الاية الثانية وكان الانصار طلبوا قسمها كسائر الغنايم غنايم القتال من غنيمة خيبر وغيرها فنزلت الاية قسمها لنفسه واقرابه واليتامى والمساكين وابن السبيل لكل منهم خمس الخمس وله ان يعطي منه المهاجرين ولم يعط منه انصاريا الا نفرا لشدة فاقتهم وشكواهم اياها بادجانه وسهل بن حنيف قيل ثلاثة لم يطلع على اسم الثالث ثم رابطة الحارث بن الصمة وروي انه اخذ صلى الله عليه وسلم الاقرت عياله وثمن بعضهم نفقته به وروي انه قال للانصار ان شئتم ان قسم لكم وتقاسموا المهاجرين معكم في ديارهم واموالكم ولم يقسم لكم النخل والدور والارض وعزت فقالوا قسمك في ديارنا واقسم لهم النخل والدور والارض فحملها لهم جميعا * (والله على كل شيء قدير) فيقدر بقتال وغيره وكذا الاشياء يفعلها بواسطة وغيره * (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) قريظة والنظير وفدك وخيبر وغيرها كذا قيل هذه الجملة في حكم الاولى ومبينة لها ولذا لم تعاطف من ان بضع الفئ حيث وضع خمس الغنيمة قال عمر بن عبد العزيز * (فلله) جميعه يامر فيه بما شاء وذكر لتعظيم وقيل يصدر الفئ باسم الله يصرف في عمارة الكعبة والمساجد * (وللرسول) ويصرف سهمه اليوم للامام وقيل للمصالح والثغور ومصالح المؤمنين والقولان عن الشافعي ويبدأ بالمقاتلة فالاهم فالاهم وقيل يخمس خمسة

كالغنيمة لانه كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ويصرف الخمس
الاربعة كما يشاء والان علي لخلاف وقيل يتفق من الفيء لاهله سنته
وما بقي للكراع والسلاح * (ولذي القربى) بني هاشم وبني عبد المطلب
كتب نجدة بن عامر الى ابن عباس يسئله عن سهم ذي القربى
فكتب اليه انا كنا نراها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى ذلك
علينا قومنا وكذا قال ابو بكر وعمر * (واليتامى) الاطفال الذين
هلكت اباءهم وهم فقراء * (والمساكين) ذوي الحاجة من المسلمين *
(وابن السبيل) المنقطع في سفره من المسلمين وان كان غنيا في بلده
وقيل المراد الغازي وعليه الحسن وقال الاكثرون لا يخمس
الفيء بل فيه لجميع المسلمين حق قرأ عمر الاية الى والذين جاءوا من بعدهم
الاية ثم قال هذه استوعبت المؤمنين وما على وجه الارض مسلم
الا له حق في الفيء الا ما ملكت ايمانكم وقيل المراد بالقرى الصفراء
والبنبوع ووادي القرى وغيرها مما مالك من قرى العرب للفتوحة بلا
قتال وانه اعطى ذلك المهاجرين ولم يعط الانصار شيئا لغناهم ولم
يجبر لنفسه شيئا وقيل ان هذه نسخت الاولى جاءت
الخمس لمن كان له الفيء مصارف ما في من الغنيمة لاهل القتال اي لمن
خرج وتاهل للقتال ومن الخمس ان الفيء الجزية ولا يحمل الا بعد
وعن مالك بن اوس ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه برفا فقال هل لك يا امير المؤمنين
في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم
فلبث ثم جاء برفا فقال هل لك في عباس وعلي يستاذنان قال نعم فاذن لهما
فدخلا فقال العباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم اجل
يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال مالك بن اوس

تحميل

تحميل لي انهم قدموهم كذلك قال عمر انشدكم بالله الذي باذنه تقوم
السموات والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث
ما تركناه صدقة يريد نفسه قالوا نعم ثم اقبل على العباس وعلي ثم قال
انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السموات والارض اتعلمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالا نعم قال عمر ان الله
خص رسوله بخاصة لم يخص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم
اموال بني النضير فوالله ما استاثرها عليكم ويبني هذا المال وكان ياخذ نفقة
سنة والباقي يجعله في بيت مال الله واقبلوا على العباس وعلي فقال انشدكما
فانعما ومات وعمل ابو بكر فيه مثله وهو عليه ومات وعملت فيه كعملهم ثم
جئتما يا عباس وعلي فقلت انه قال لا نورث ما تركناه صدقة فلما ادفعه
اليكما دفعت على عهد الله لتفعلان فيه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذ ابو بكر فيه مثل ما اخذ وعمل فيه كما عمل وما اخذت منذ وليت
الا باذنكما اجئتماني الان تقول ادفعه الي ادفعه الي فانا اكفيكما اياه * (كيلا يكون) الفيء الذي حقه ان يكون
للفقراء بلغة يعيشون به وكي جارة تعليله وان المصدر به مقدرة او ناصبة
مضمرة به للاستقبال وحرف التعليل لام مقدرة * (دولة) ما يتداوله
الاغنياء * (بين الاغنياء منكم) يقال دال المال او الملك للان بمعنى
دار اليه وصار له جدا ونصيبا اي كيلا يكون متداولا بين الاغنياء يتكاثرون
به او دولة جاهلية كانت رؤساءهم يستاثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة
والغلبة ويقولون من عز زمنه قول الحسن في الجزورة تخذوا عباد الله
خولا ومال الله دولا قرئ بفتح الدال والمعنى واحد وقيل المضموم اسم
بمعنى الشيء المتداول كالغرفة والاكلة بالضم بمعنى ما يغرف وما يؤكل
والمفتوح مصدر بمعنى اسم مفعول اي مدولا بينكم ومقولا كقولك زيد

ممرور عليه لكن هذا بناء على جواز نيابته عن اول ان لا يجعل المصدر نائب او يقدر مضاف اي ذا تداول اولا يكون اسما كالوخذة تداولا او بتاول باسم الفاعل اي دائلا وقرا هشام تكون بالتاء الفوقية وروي بالتحتيه وكان ذا دولة على ان الكون تام وروي ان لجعلية اذا غنتم اهلها اخذ رئيسهم الربع ويسمى المرباع ثم يختار ماشاء روي ان قوما من الانصار قالوا ان لنا في هذه القرى لمغنمة سهما نزل * (وما اتاكم الرسول) من الفيء وغيره (فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فرضوا بذلك واطرد معني الامر والنهي في كل ما امر به صلى الله عليه وسلم الناس اونهى عنه من واجب اومندوب اومحرم اومكروه وبهذا المعنى يحصل التعميم في قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقد تمسك ابن مسعود رضي الله عنه لعن الواشمة وغيره اقال لعن الله الواشمة والمتوشمة والناصة والمتنمصة والفالجة والمتفلجة والمغيرة خلق الله وبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرا القرآن فاتته فقالت ماحديث بلغني عنك وذكرت ذلك فقال مالي لا العن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله فقالت لقد قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان قرأته فقد وجدته قال الله سبحانه وما اتاكم الرسول الاية والوشم غرز العضو وتحشيته بالاثمد والمتوشمة التي تطلب ان يفعل بها ذلك والناصة التي تنتف الشعر من الوجه من المحاجبين اما ان خرج لها في موضع اللحية اوغيره فجائز نتفه بل اجاز بعضهم نتف ما يشوه مطلقا وازالة الشوهة بما كان من قص اونتف والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك والفالجة التي تفرج بين الاسنان والمتفلجة طالبة ذلك وقيل التي تتفلج في مشيها وقد ذكرت اكثر من ذلك في ترتيب لقط عثمان وسمي ولقي ابن مسعود رجلا محرما بثياب فقال له انزع عنك هذا فقال اقرأ على

في هذا اية فقرا الاية عليه وما اتاكم الخ قالت عايشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو ردة وروي من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وعن ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكيا على اريكته اي ما يتكي عليه من فراش اوسرير اوغيرهما فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا وقد قال قوم ان الخمر محرمة بهذه الاية * (واتقوا الله) اي في امر الفيء وغيره * (ان الله شديد العقاب) لمن خالف * (للفقراء) الظاهر انه بدل من لذي في قوله واذي القربي وما عطف عليه وان قلنا ان اعناء ذوي القربي بعطون فهو بدل من قوله التامي والمساكين وابن السبيل او الفيء فئي بني النضير قاله القاضي قلت او كان بدلا من اليتامى وما بعده لم يقرن باللام اللهم الا ان لوحظت زيادتها او روعيت اللام في اليتامي ولا يصح بدلا من الله وما بعده او من الرسول وما بعده لخروجه عن تعظيم الله واوقفا المراد بالله انه لسبيله ولان رسول الله لا سمي فقيرا. قد اخرجه الله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله ويجوز تعلقه بمحذوف اي اعجبوا للفقراء * (المهاجرين الذين اخرجوا) اخرجهم اهل مكة واخذوا اموالهم * (من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله) اي رزقا يتمكنوا من الطاعة وقيل ثوابا * (ورضوانا) منه عنهم * (ينصرون الله) دينه * (ورسوله) بالمال والنفس ويبتغون حال وذكر اخراجهم وابتغائهم نصرهم ليشفقوا لحالهم وتفجعوا لهم وقال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الدنيا والمال والعشيرة وخرجوا حبا لله واخراج الكفار اياهم تصييقهم عليهم في الدين واضرارهم عليه حتى خرجوا ترى واحدا منهم

حجرا على بطنه للجوع واخر لباسه حصير في الشتاء الهواء وفي الحديث فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا وقال بشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة * (اولئك هم الصادقون) قولا وفعلا واعتقادا روي ان الانصار قالوا يارسول الله اقسم بيننا وبين اخواننا المهاجرين الارض نصفين قال لا ولكنكم تكفونهم المؤنة تواسونهم التمر والارض ارضكم قالوا رضينا ذلك يارسول الله فنزل (والذين تبوؤا الدار) اي توطنوا الدار او هيئوها للمهاجرين وهي المدينة والذين مبتداء خبره يحبون وقيل معطوف على المهاجرين وفيه ان المهاجرين تعليل العطف على الفقراء مع انه يلزم من العطف الاعطاء للانصار * (والايمان) عطف على الدار اضمن التبوء التمكن واللزوم اي لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيها والا فالايمان لا يتوطن ولم يبوؤ وقد يقال عطف على الدار بلا تاويل اي توطنوا الدار والايمان اوهيئوهما وتوطين الايمان مجاز وتوطين الدار حقيقة لكن يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز واما التبوي فقيل انهم هيئوا الايمان قبل الهجرة لانهم باسلموا قبلها وقيل المراد تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان قال في الدار للعهد او عوض عن المضاف اليه وحذف المضاف واراد بالايمان المدينة تسمية للمحل باسم الحال فانها محل له ولظهوره وقد قيل انهم بنوا المساجد قبل الهجرة بسنتين وقيل الواو واو المعية وقبل الايمان مفعول لمحذوف اي والفوا الايمان او اخلصوه واعتقدوه واعترض ابن هشام كون الواو للمعية بعدم الفائدة في تقييد الانصار المعطوفين على المهاجرين بمصاحبة الايمان اذ هو امر معلوم * (من قبلهم) اي من قبل هجرتهم والضمير للمهاجرين وقيل

و قبلهم بمعناه انهم صبقوهم في تبوي الدار دار الهجرة * (يحبون من هاجر اليهم) حتى انزلوهم في منازلهم وقاسموهم اموالهم لا يجدون في صدورهم) انفسهم * (حاجة) قال الحسن حسدا ومنه توجد الحزازة وهي حزازة القلب وانما ظرفوه بها لحزازة وتطلق الحاجة على طلب ما يحتاج اليه وعلى ما يحتاج اليه * (مما اوتوا) اي مما تعطيه المهاجرون من الفيء وغيره * (ويؤثرون) يختارون المهاجرين (ويؤثرونهم على انفسهم) بالمال وغيره حتى انه ينزل واحد من زوجته او زوجته او زواجه وتتزوج المهاجر وهذا جائز * (ولو كان بهم خصاصة) احتاج الى ما يؤثرونهم به واصلها خصاصة البيت وهي فروجه والجملة حال روي انه اهدي راس شاة لانصاري فقال ان اخي فلانا وعياله احوج مني فبعث اليه به فبعثها هو لاخر حتى تداولت سبعة بيوت ورجعت الى الاول فنزلت الاية والاثار شاهد الحب قال الله زتي وجلالي من بدأ بنفسه في العطاء فهو لها ومن بدأ بمولاي اي رضاي او حبي على مولاه الا قلت همومه وجمعت له ما ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وزيي وظعتي ما من عبد اثر مولاه على مولاي الا كثرت همومه وفرقت له ما ضيعته ونزعت الغنى من قلبه وجعلت الفقر بين عينيه ثم لا لي في اي واد هلك وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء فاقبل به الى كل واحدة فقلن كذلك فقال من يضيفه يرحمه الله فقال ابو طلحة الانصاري انا يارسول الله فانطلق به فقال لامراته اعندك شيء فقالت لا الا قوت صبياني قال فعللیهم شيء اذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج فاذا اهوى بيده ليأكل فقومي

مي الى الحاج كي تصلحيه فاطعمته ففعلت واكل الضيف واتاه ثمين
ولما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله من فعلكما
البارحة اي عظمه ودعا صلى الله عليه وسلم الانصار ليقسم بينهم المهاجرين
فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى
تلقوني على الحوض وعنه صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتي لن يدخلوا الجنة
بكثرة صوم ولا صلاة انما دخلوها بسلامة الصدر وسخاوة النفس وحسن
الخلق والرحمة لجميع المسلمين والايثار على النفس اكرم خلق قال ابو يزيد
البسطامي قدم علينا شاب من بلخ فقال لي ما حد الزهد عندكم فقلت اذا
وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما
هو عندكم فقال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا اثرنا وقال المهاجرون له
صلى الله عليه وسلم ما رايتنا قوما ابذل لكثير ولا احسن مواساة من قليل
من قوم نزلنا بين اظهرهم لقد كفونا المؤنة واشركونا في الباقي حتى لقد
خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم لا ما دعوتم الله لهم
واثنيتم عليهم * (ومن يوق شح نفسه) اي يزح عنه الشح ويباعد ويحفظ
منه والشح الحرص على المال حتى يمنع حقه ويغض الاتقى او لا يطي الا
خوفا قال الشاعر *

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اي منقبضة
* اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

واضيف للنفس لانه غريزة فيه والبخل نفس المنع وقد يترادفان وقيل
الشح البخل مع الحرص وعن بعضهم شح النفس كثرة طمعها وضبطها على
المال والرغبة فيه وامتداد الامل ويوق مجزوم بحذف الالف على الشرط
والتاء مستتر وشح مفعول ثان * (فاولئك هم المفلحون) الفائزون

بعصيان الغير لاغيرهم قال رجل لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد
هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وانا رجل شحيح لاكاد يخرج من يدي شي قال ليس ذلك
بالشح الذي ذكر الله في القرآن وانما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما
ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وعن ابن عمر ليس البخل الحرص
الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم من اخذ حرام ومنع ما يحرم
منعه وهذا الشح وفي الحديث اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة
واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم وفي الحديث شر ما في الرجل شح هالع اي شديد
الجزع وجبن خالع اي يخلع فؤاده لشدة خوفه وفي الحديث من ادى
الزكاة المفروضة واقرى الضيف واعطى النائبة فقد برئ من الشح
قال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله ولم يمنع شيئا امره باعطائه
فقد وقي شح نفسه وقرئ بكسر القاف اي ومن يوقه الله من يوق وقرئ
بفتح الشين (والذين جاءو من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد قوة
الاسلام وقيل التابعون باحسان الى يوم القيامة فالاية عمت المؤمنين
والمهاجرين الاولين وهو مذهب الجمهور وقال الفراء اراد الفرقة
الثالثة وهي من امن في اخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم * (يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا) في الدين * (الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا) حقدا او حسدا او اعتقادا رديا او بغضا *
(للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم) فحقيق ان تجيب دعاءنا والذين
معطوف على ما مر ويقولون حال او مبتدا وخبر والمشهور الاول وعن
ابي الدرداء وام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة المسلم لاخيه

نظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك كلما دعا قال امين ولك مثله قال
مالك من كان له في احد من الصحابة رأي سوء وبغض فلاحظ له في
فيء المسلمين وتلا هذه الآية الى رؤف رحيم قال الحسن ادركت ثلاثمائة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سعيد بن المسيب كان يحدث
عنه صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه ولا تسبوا الصحابة ولا تقرؤا في دين الله ولا تكفروا احدا من
اهل التوحيد بذنب لا تشكوه وكذا قال ابو امامة وابو الدرداء
وواثلة وانس كلهم يحدث ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وعنه دعوا
الى اصحابي لا تسبوهم فان احدكم انفق كل يوم مثل جبل احد
لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه ان الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله يوشك ان يأخذه وقال
اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا عن الخوض فيه بما لا يليق وامروا به واثبتوه
لله واذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا قالت عائشة
رضي الله عنها امرت عروة بن الزبير بالذر حتى امر وان يستغفروا لاصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم قال ابو قلابة لايوب يا ايوب احفظ
عني ثلاثا لا تجالس اهل البدع ولا تسمع منهم ولا تقرن القرآن بريك
فانك لست من ذلك في شيء وانظر لي هؤلاء الرهط من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ولا تذكرهم الا بخير وقد رضي الله المؤمنين على ثلاث
منازل للمهاجرين والانصار والتابعين باحسان ومن لم يكن واحدا
منهم لاحظ له في الاسلام وقال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى
على الرافضة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى

وسئلت

وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت
الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
امروا ان يستغفروا لهم وهم يسبونهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية
ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نار للحرب اطفاها الله وقيل
لعائشة رضي الله عنها ان ناسا يتنقصون ابا بكر وعمر قالت ما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل
واحب الله ان لا ينقطع عنهم الاجر وسمع ابن عباس رجلا يسب بعض المهاجرين فقال ايمن
المهاجرين انت قال لا قال فمن الانصار قال لا قال فانا اشهد انك
لست من الذين قال الله فيهم باحسان وقالت اصحابنا بكل ذلك الا من حدث
ولم يتب فانه لا يترحم له عندهم ويتبرأ منه كما نبهت عائشة وغيرها فمن احدث
وكيف لا تتوالى من لم يحدث وقد ابدوا جهدهم في الطاعة روي ان رجلا
من المهاجرين قام ثلاثة ايام صائما لا يجد ما يفطر عليه وفطن به مسلم سمع
ثابت بن قيس فقال لاهله ان اخانا الضيف لي واذا وضعتم طعامكم وليقم
احدكم الى السراج كانه يصلحه فليطفئه ثم اضربوا بايديكم كأنكم تأكلون ولا
تأكلوا حتى يشبع ففعلوا واذا كان طعامهم خبزة لما اصبح غدا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا ثابت قد رضي الله فعلكما البارحة بضيفكم ويتر
ويؤثرون على انفسهم بحج وقدم عبد الرحمن بن عوف على الله عليه
وسلم ووجد معه سعيد بن ربيع الانصاري فقال له سعيد اقاسمك مالي
نصفين وكان ذا غنى ولي امرأتان ايهما اعجبتك طلقتها فتتزوجها فقال له
بارك الله لك في مالك واهلك دلوني على السوق فما رجع حتى قضى اقطا
كثيرا وسمنا وتمرا فجاء بذلك الى منزله فمكثنا ما شاء الله فرأى صلى الله عليه
وسلم اثر صفرة في صدره فقال ما هذا قال تزوجت امرأة من الانصار قال

ماسقت اليها قال نواة من ذهب او ورق فقال اولم لو بشاة وروى انه
اعطى صلى الله عليه وسلم من غنائم خيبر الاقرع بن حابس مائة من الابل
واعطى عيينة مائة فقال اناس من الانصار يعطى النبي صلى الله عليه
وسلم غنايا رجالا سيوفنا تقطر من دمائهم وسيوفهم تقطر من دمائنا واجمعت
فقال هل فيكم غيركم فقالوا لا يارسول الله الا ابن اخت لنا فقال ابن
اخت القوم منهم فقال يامعشر انصار الا ترضون ان يذهب الناس
بالدنيا وبالشاة والابل وتذهبون انتم بمحمد الى دياركم قالوا بلى قال او
اخذ الناس واديا وشعبا لاخذت شعب الانصار او واديهم كرشي
وعيبتي ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار * (الم تر) تنظر (الى
الذين نافقوا) اظهروا خلاف ما بطنوا وهم عبد الله بن ابي بن سلول
وغيره من اصحابه وقوم من منافقي الانصار * (يقولون لاخوانهم)
في الكفر والموالاة * (الذين) نعت اخوان * (كفروا من اهل
الكتاب) هم قريظة والنظير * (لئن) اللام موطئة في الاربعة *
(اخرجتم) من المدينة * (لنخرجن معكم) منها * (ولا نطيع فيكم)
في قتالكم وخذلانكم * (احدا) من رسول الله والمؤمنين * (ابدا
وان قوتلتم) اي ولئن قوتلتم فحذف اللام بدليل (لننصرنكم) لنعينكم
واغتروا بما هو كذب كما قال عز وجل * (والله يشهد انهم لكاذبون)
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك ولو فعلوه كما قال * (لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فان المنافقين ارسلوا
لعل الكتاب المذكورين بذلك واخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة
واعجاز القرآن لانه اخبار بالغيب * (ولئن نصروهم) اعانوهم وجاء
والنصر هم على الفرض والتقدير كقوله سبحانه لئن اشركت ليحبطن عملك

فلا ينافي قوله لا ينصرونهم قال الزمخشري وغيره واحد من الاصحاب كما يعلم
ما يكون يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون * (ايمان الادبار) انهزاما
فتفعول به او مطلق * (ثم لا ينصرون) بل يخذلهم الله والواو المحذوفة
في يولن والواو في لا ينصرون لليهود او المنافقين والظاهر ان الاولى للمنافقين
والثانية لليهود والجواب للقسم في ذلك كله وحذف جواب
ان محذوف كما بسطته في النحو * (لانتم) اللام للابتداء
(اشد رهبة) اي مرهوبية مصدر من المبني للمفعول والرهبة الخوف
الشديد مع حزن واضطراب * (في صدورهم) اي صدور المنافقين
وقيل المنافقين واليهود وقيل اليهود * (من الله) وذلك دليل
النفاق اي يظهرون لكم في اعلانهم خوف الله وانتم اشد في صدورهم منه
ولولا رهبتهم منكم لم يظهروا الرهبة من الله الكاذبة والاية نص في ثبوت رهبة
شديدة لهم من الله وفي ان رهبتهم من المؤمنين اشد والمراد ان رهبتهم
في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون
رهبة شديدة من الله وان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من
الله لانهم كانوا قوما ولي بأس وشدة فكانوا يشجعون لهم مع اضمار الخوف
والكفر راسد في حرف من المسلمين . لم يعملوا اعمال الكفار اجلى صلى الله
عليه وسلم النظير الى الشام فلم يخرجوا معهم وقاتل قريظة بحكم سعد بن معاذ فلم
يقاتلوا معهم وتقدم ان بين جلاء النظير وقتال قريظة سنتين اقاموا بالمدينة
بعد اجلاء النظير فلما سار ابوسفيان بالاحزاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
غدروا فلما هزم الله الاحزاب امر ان يقاتل قريظة فارسل اليهم المنافقون
ان اراد اخراجكم من المدينة فلا تخرجوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم وان
قوتلتم لننصرنكم فاستنزلوا فقاتلوا قدر شهرا واقل ولم ينصروهم فلما رأوا على

سعد فحكم ان يقتل مقاتلهم وتسبي ذريتهم وتقسم اموالهم بين المهاجرين والانصار وقال عبد الله بن عمر بن سعد بن معاذ انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى سعد فجاء على حمار فقال اشرع لي فيهم فقال سمعت ان الله امرك فيهم بامر انت فاعله قال اشرع لي فيهم قال لو وليت امرهم لقتلت مقاتلهم وسبيت ذراريهم ونساءهم ولقسمت اموالهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد اشرت علي فيهم بالذي امرني الله فيهم وكان محمد بن كعب القرظي ممن لم ينبت شعر عانته فتركه • (ذلك) الحوف • (بانهم قوم لايفقهون) لايعلمون عظمة الله سبحانه حتى يخشوه حق الخشية نفى عنهم فقه الدين وهو اشد ما ينفي فانه لاشيء يعادل العلم وفي الحديث لاتقوم الساعة حتى يرفع العلم قال زياد بن لبيد يرفع العلم يارسول الله ونحن نقراه القرآن ليلنا ولساءنا فقال ثكلتك امك يازياد قد كنت اعدك من فقهاء المدينة اوليس كتاب الله عند اليهود والنصارى فما اغنى عنهم ان ذهاب العلم ذهاب العلماء وقال ان الله لاينتزع العلم منكم بعد ان اعطاكموه انتزاعا ولكن بنزعه بقبض العلماء وعن عمر رضي الله عنه اصحاب الراي اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها وتفلتت منهم ان يعوها واستحيوا فقالوا برايهم فضلوا واضلوا وعن بعض ما احدثك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم به فحدث وما احدثك اصحاب الراي فارم به في البحر وعن بعضهم مثل العلماء في الارض كمثل النجوم يهتدي بها الناس مابدت فاذا خفت تحيروا وعن الحسن ركوب النوى اشد من ترك الامر يعني من ترك ما امر به مما ليس واجبا • (لايقاتلونكم) اي اليهود والمنافقون وقيل اليهود • (جميعا) مجتمعين لمعونة بعضهم بعضا • (الا في قرى) جمع قرية • (محصنة) بالدروب والخنادق • (او من وراء جدر)

رعبا منكم لا يظهرون وقرأ ابن كثير وابو عمرو او من وراء جدار بكسر الجيم وبالف بعد اسكان الدال واما ابو عمرو فتح الدال وقرئ جدر بضم الجيم واسكان الدال وقرئ جدر بفتح الجيم واسكان الدال والمراد انهم لشدة بأسهم والمضمومان جمعان • (باسهم) ضرهم او حربهم (بينهم) شديد واما معكم فلا يبقى لهم باس لان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله وقيل باسهم شديد بينهم من وراء الحيطان واذا برزوا اليكم فهم احسن خلق الله • (تحسبهم جميعا) مجتمعة من ذوي الفة (وقلوبهم شتى) متفرقة جمع شتيت كقتيل وقتلى الفة الشيء بغير اي بينهم احن وعداوات لاتعاضدون حق التعاضد ولايرمون عزمة امر واحدة لانهم خزى للقوم من اختلاف قلوبهم فهذا تجبير للمؤمنين وتشجيع قلوبهم على قتالهم وذلك لاختلاف مقاصدهم وعقايدهم قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين وارائهم تخالف دين اليهود وارائهم • (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ما فيه صلاحهم ولا يعلمون ان اشتتت القلوب يوهن قواهم • (كمثل الذين من قبلهم) اي هم كالذين من قبلهم وهم مشركوا مكة • (قريبا) ظرف زمان متعلق بما تعلق به الجار وقيل متعلق بمثل اذ التقدير كوجود مثل وذلك ان المشركين اخزاهم الله في بدر قبل غزوة النظير بقليل وقال ابن عباس الذين من قبلهم هم بنو قينقاع جلاهم من المدينة قبل النظير ويجوز ان يراد الامم السالفة • (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم بالعذاب في الدنيا والقتل يقال كلأ ويل اي وخيم سيء العاقبة • (ولهم عذاب اليم) في الاخرة (كمثل الشيطان) اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال والوعد بالنصر ثم خذلهم كمثل الشيطان اذ قال

الانسان) ابي جهل * (الكفر) قال له يوم بدر لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم * (فلما كفر قال اني بري ء منك اني) وسكن
الكوفيون وابن عامر الياء * (اخاف الله رب العالمين) تبرء منه مخافة
ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كذلك لما قالوا ولم ينصرهم المنافقون
وقيل الانسان الجنس والشيطان ايضا يحتمل الجنسية وقيل الشيطان
الابيض من ولد ابليس اشد مكرا من اولاده والانسان برصيصا الراهب
ذكره الشيخ ابو حامد رحمه الله والسمرقندي وغيرهما كالقشيري روي عن ابن
عباس ان برصيصا تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص طرفة عين واعيا
ابليس واعوانه وجموع ابليس مرة اليكم يكفيه قال الابيض انا وهو
الذي تحدى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوسه
فلحقه جبريل وهو دفعه الى اقصى الهند حلق وسط راسه كالرهبان وتزيا
بزيهم ونادى برصيصا فلم يجبه لانه كان لا ينتقل عن الصلاة الا بعد عشرة ايام
مرة فتعبد الابيض تحت الصومعة ولما تمت العشرة اطلع منها فراءه متعبدا
فدعي الراهب فندم على عدم اجابته وقال كنت مشتغلا عنك فما حاجتك
قال ان اكون معك فاتادب بادبك واتعلم منك وتدعو لي وادعو
لك فقال انك في شغل وان كنت مومنا جعل الله لك نصيبا في دعائي
لان استجاب لي ثم اقبل على العبادة وتركه ولما تمت اربعون يوما اطلع عليه
فراءه يصلي فقال ما حاجتك قال ان تاذن لي فارتفع معك فاذن فعبد معه
وجعل لا يفطر ولا يخرج من صلاته الا بعد اربعين يوما مرة وربما بلغ
الثمانين فتقاصرت نفس برصيصا لما راى اجتهاده ولما حال الحول قال
الابيض اني منطلق ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت
وبلغنا عنك غير الذي رايت فاشتد ذلك على برصيصا وكره مفارقته

لاجتهاده ولما ودعه الابيض قال عندي دعوة اعلمكها يشفي الله بها السقيم
المجنون قال برصيصا كرهت هذه المنزلة ان علم الناس شغلوني عن العبادة
قال له انها خير مما انت فيه فما زال حتى علمه وقال لا بليس قد اهلكته
فخنق رجلا ثم ظهر وقال ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالج
فاظهر انه لم يقدر ولكن انطلقوا لي برصيصا فان عنده الاسم الاعظم فانطلقوا
فدعاله فذهب الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك ويرشد الى برصيصا
ثم خنق وعذب بنت ملك في بني اسرائيل ماتت واستخلف عليها اخاها ولها
ثلاثة اخوة وظهر وقال اعالجها فقالوا نعم فاظهر انه لم يطق فارشدهم الى
برصيصا فقالوا لا يجيبنا الى ذلك فقال انوا صومعة لجنبه وصعوها فيها
وقولوا هذه اماناتنا فاحتسبها فسالوه فقال لا فبنوا لها وقالوا ذلك فما انتقل
عن صلاته حتى عاينها ودخله امر عظيم فجاء الشيطان فحتها فدعا برصيصا
لها فذهب الشيطان واقبل على صلاته فجاءه الشيطان وقال له واقعها
فانك لا تجد مثلها وستتوب وكانت تتكشف له ففعل فحملت فقال له
الشيطان قد افتضحت هل لك ان تقتلها فان سالوك فقل ذهب بها
شيطانها فقتلها برصيصا ودفنها تحت الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها
بالليل فجيد طرف ازارها خارجا واقبل على صلاته في صومعته فجاء اخوتها
يتعاهدونها ويوصونه بها كالعادة قبل ذلك فقالوا ما فعلت اختنا فقال
جاء شيطانها وذهب بها فلم اطقه فصدقوه وانصرفوا مكروبين فجاء
الشيطان في المنام الى اكبرهم فاخبره بالقصة من الزنا والقتل والحبل والدفن
بموضع كذا فكذب الرويا وعاوده مرتين وهو يكذبه وفعل ذلك بالاوسط
كذلك ولم يخبر احدا وفعل ذلك بالاصغر وفي الثالثة قال ذلك
لاخويه فقال اريتنا كما رايت فجاوا برصيصا فقالوا له ما فعلت اختنا فقال اليس

قد علمتكم وقد اتهمتوني فقالوا لا وانصرفوا خجلين فقال لهم الشيطان انها في الموضع وازارها خارج من التراب فجاءوا الموضع فوجدوها كما روا في المنام فمشواهم ومواليهم بالفئوس والمساحى فهدموا صومعته وكتفوه الى الملك وهو عمها فاقر لان الشيطان قال له اعترف لئلا يجتمع عليك قتل ومكابرة وصلبه على خشبة فقال له الابيض اتعرفني قال لا قال انا الذي علمتك الدعوات اما اتقيت الله في امانتك وانك تزعم انك اعبد بني اسرائيل ولم يزل يعيره ويعنفه حتى قال الم يكفك ما صنعت حتى اقررت وفضحت نفسك واشباهك وان مت على هذا فلن تفلح انت ولا اشباهك بعدك قال كيف افعل فقال اسجد لى اخلصك من اعينهم فسجد له فقال له هذا ما اريد منك صارت عاقبتك الكفر * (فكان عاقبتهما) خبر لكان والضمير للانسان والشيطان * (انهما في النار) اسم كان في التاويل * (خالدين) حال من ضمير الاستقرار * (فيها) وقري انابريء منك وقري برفع العاقبة على انه اسم كان وانهما في النار خبر في التاويل وقراء ابن مسعود خالدان بالرفع على انه خبر ثان لان اوخبرها وفي النار متعلق به وفيها توكيد لقوله في النار ولوجعل اسم كان ضمير شان وعاقبة مبتداء لصح وروى ان ابا تلك المراءة حي حينئذ وانه جاء هو واخوتها وتقدمهم الشيطان وقال ان القوم علموا ما فعلت بالمراءة فان سجدت الى رددتهم فسجد له وانه دفنها في اصل حايط وبعض يقول اسمه برصيص بدون الف قال السهيلي وقد ذكر هذه القصة هكذا روي القاضي اسماعيل وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقول الشيطان اني اخاف الله ليس عقيدته (وذلك جزاء

الظالمين

الظالمين) خزي في الدنيا والاخرة وكانت الرهبان بعد ذلك تمشي بالتقية في بني اسرائيل ورماهم الاشرار بالبهتان حتى جاء جريج واتخذ صومعة يترهب فجاءته امه فناادته فقال يارب امي وصلاتي فاقبل على الصلاة فقالت اللهم لاتمته حتي ينظر في وجوه المومسات اي الزانيات فتذكر بنو اسرائيل عبادته فقالت امراة بغي اي زانية ان شئتم افتنه لكم فتعرضت له فلم يلتفت اليها فامكنت نفسها من راع ياوي الى صومعته فوقع عليها فحملت وولدت وقالت من جريج وكان ملك المدينة يبغض الزنا فهدموا صومعته وضربوه وجاءوا به وقال ماشانكم قالوا زينب قال اين الصبي فجاءوا به فقال دعوني اصل فصلي فطعن في بطن الصبي وقال ياغلام من ابوك قال فلان الراعي فاقبلوا يقبلون جريجا ويتمسحون به فقالوا نبني صومعتك من ذهب فقال بل من طين كما كانت وروي انهم شهدوا عليه زورا انه ولده فانطق الله الصبي كما ذكر وقيل ذهبوا الى شجرة واقعها الراعي تحتها فنطقت كل ورقة انه زنى بها الراعي وعنه صلى الله عليه وسلم لوكان جريج فقيها لاجاب امه وذلك الصبي من صبيان نطقوا قبل ميقات النطق منهم مبارك اليمامه وشاهد يوسف وعيسى وموسي وسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وصبي كان يرضع ومربه راكب جميل فقالت امه رب اجعل ابني مثله فترك الثدي فاقبل عليه وقال اللهم لاتجعلني مثله ورجع الثدي حكاه ابو هريرة قائلا كاني انظر الى اسبابه صلى الله عليه وسلم يمصها يحكي ارتضاعه وصبي كان يرضع وكانوا يضربون جارية يقولون زنيت سرقت وتقول حسبي الله وقالت امه اللهم لاتجعل ابني مثلها فترك الرضاع وقال اللهم اجعلني مثلها وذلك انها لم تزن ولم تسرق * (ياايها الذين امنوا اتقوا الله) اي اتركوا المعاصي * (ولتنظر نفس ما قدمت

لغد) نكر النفس استقلالا للانفس التواظر فيما قدمن الاخرة كانه قال فلينظر نفس واحدة في ذلك والغد يوم القيامة ونكر تعظيما ويحتمل ان ينكر النفس للتعظيم ايضا كانه قال النفس المعتبرة هي تتمكن من النظر فيما قدمت وسمي يوم القيامة غدا تقريبا له قال الحسن لم ينزل يقربه حتى جعله كالغد وقيل عبر عنه بالغد لان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد قال مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا وربحنا ما قدمنا وخسرنا ما خلفنا وروي أن من حق العقل أن تنظر لنفسك في عاقبة امرك وان ابن ادم اذا مات قالت بنو ادم ماترك وقالت الملائكة ما قدم * (واتقوا الله) في اداء الواجبات وانما قلنا التقوى الاولى في ترك المعاصي وهذه في اداء الواجبات لان الاولى مقرونة بالعمل والثانية مقترنة بالعمل بقوله * (ان الله خبير بما تعملون) الجاري مجرى الوعيد والمراد واحد والجملة الثانية تكرار اللأولى تاكيدا * (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) اي نسوا حقه وتركوه * (فانساهم انفسهم) جعلهم ناسين لها بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفع اواراهم يوم القيامة من الهول ماينسيهم انفسهم والمشهور الاول وهو جزاء على الذنب بالذنب قال سفيان المعنى حظ انفسهم ويعطى لفظ الاية ان من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى كما قال علي اعرف نفسك تعرف ربك وقال من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه ويجوز ان يراد نسوا الله عند الذنوب فانساهم الاستغفار وطلب التوبة اذ ما من عبد اذنب ذنبا ولم يتب منه الا جره ذلك الذنب الي ذنب اخر وانساه الذنب الاول وما من عبد عمل حسنة الا جرته تلك الحسنة الي حسنة اخرى وبطن عمله تقصيره في الاولى ليتوب من تقصيره في حسناته الماضية * (اولئيك هم الفاسقون) نفاقا وشركا وال للكمال في الفسق حتى انه لا فاسق

الا بتلك الصفة * (لايستوي اصحاب النار واصحاب الجنة) لما ارشد المؤمنين بالنظر فيما يقدمون وهدد الكفار بالنسيان والانساء بين الفرق بين الفريقين اي لايستوي من شمر وطهر فاستحق الجنة ومن ترك فاستحق النار ولا يستوي العذب الدايم والنعيم المقيم وفي الاية اشعار بانهم لشدة غفلتهم عن الاجلة وحرصهم في العاجلة كانهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون عظيم بين اصحابها وان الفوز مع اهل الجنة وزاد ايضاحا بقوله * (اصحاب الجنة هم الفائزون) كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبهه على حق الابوة بذلك الذي يقتضي البر والتعطف وفي الاية ايضا اشعار بان المسلم لايقتل بالمشرك والحقوا الموحد فاعل الكبيرة بالمسلم وجاء ذلك نصا في احاديث واستدل بها الشافعية على ان الكفار لا يملكون اموال الموحدين بالقهر وهذا عندنا غير ثابت بل يملكونها ويعاملون فيها لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم * (لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله) توبيخ للانسان على عدم تخشعه بالقران لقساوة قلبه وقلة تدبره والجبل الذي هو عظيم من حجر صم يخشع ويتصدع اي يتفرق منه لو انزل عليه وذلك حقيقة او على طريقة العرب في التخييل والتمثيل وعلى انه حقيقة يخلق له عقل قيل ويدل على انه على طريق التخييل قوله (وتلك الامثال) هذا المثل وغيره * (نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيعلمون انهم احق بالخشية من الجبل لانه لاعقاب عليه وقرئ مصدعا بتشديد الصاد ايضا ادغاما للتاء فيه قلبها صادا * (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب) ماغاب عن الحس * (والشهادة) ماحضر وقدم الغيب لاختصاص الله به ولتقدمه في الوجود

وقيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود وقيل الغيب ما اسر العباد والشهادة ما اعلنوا وقيل الغيب الاخرة والشهادة الدنيا * (وهو الرحمن الرحيم) اي كثير الانعام وعظيمه وقيل الرحمن ابلغ وسبق الكلام على ذلك * (هو الله الذي لا اله الا هو الملك) لكل شئ المتصرف فيه * (القدوس) البليغ في النزاهة عما لا يليق وقيل كثير البركة وعظيمها ومن تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح وهو صفة تفيد المبالغة وقرئ بفتح القاف وهو لغة * (السلام) ذو السلامة من النقائص وهو مصدر وصف به مبالغة او على تقدير مضاف اي ذو السالم او لذاته وبلغه بالسلام او اراد بهذه السلامة اعطائها سلمت الخليقة من ظلمه وان فسرت بالسلامة من النقايص وفسرت القدوسية بالنزاهة البليغة فالفرق ان السلام بمعنى انه لا يلحقه نقص والقدوس معناه انه بري منه * (المومن) بنفسه كقوله شهد الله الاية وقيل المصدق رسله بالمعجزات وقيل الموفي بالوعد والوعيد وقيل من آمن بمعنى امن بالتشديد اي امن الناس من ظلمه وامن من آمن به من عذابه فهو واهب الامن وقرئ بفتح الميم الثانية اى المومن به فحذف واوصل * (المهيمن) اي الامين الرقيب الحفيظ فهو شاهد للاعمال قاله ابن عباس وهو مفيعل من الامن الا انه قلبت الهمزة هاء وقيل القايم بالرزق وقيل المصدق وقيل القاضي وقيل العليم * (العزيز) القوي الغالب القاهر وقيل الذي لا نظير له (الجبار) الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره وقهره قال الازهري وجبرهي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولون بغير همزة وعليه الشافعي والفراء وقيل من جبر حالهم بمعنى اصلحه شفي واغنى وقيل الذي لا يدانى

ولا

ولا تلحقه رتبة وقال ابن عباس العظيم وهو في صفته مدح وفي الخلق ذم وكذا المتكبر لانه في الخلق الظالم والمتكبر المدعي ما ليس له من العظمة فهو كذب (المتكبر) تكبر وامتنع عن كل ما يوجب حاجة او نقصا وقيل البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم خلقه * (سبحان الله عما يشركون) من الاصنام وغيرها او عن الشركة في العز والجبروت والكبرياء فمن فعل ذلك فقد نازع الله في صفاته لكن بحكم ليس المشركين (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى الحكمة وقيل المقلب للشئ من حال لحال * (البارئ) المنشئ من العدم وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة وقيل الخالق والبارئ بمعنى * (المصور) الذي يوجد الصور وقرأ خاطب بن بلتعة بالنصب وفتح الواو اي الموجد ما صوره من الخليقة او المميز ما صوره بتفاوت الهيئات رتب الصفات الاولى وعبر عنها بالخلق والثانية الايجاد وهو فرد القدرة والثالثة التصوير والصورة صفة تتاخر عن وجود الذات * (له الاسماء الحسنى) تانيث الاحسن والحسن دلالتها على معان شريفة عظيمة وهي تسع وتسعون من احصاها دخل الجنة اى حق الاحصاء وهو العمل بمقتضاها او قد تكون سببا لدخول الجنة مع وجود التقوى فافهم * (يسبح له ما في السموات والارض) لتنزهه عن النقائص كلها وقرأ ابن مسعود وما في الارض * (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات * عن ابي هريرة سئلت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراته واعدت عليه فاعاد علي واعدت عليه فاعاد علي وفي الحديث من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقراء ثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله له سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان

مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة
اللهم ببركة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم واسمائك الحسنى يا الله يا الله
يا الله وبركة السورة اخز النصاري واكسر شوكتهم واهنهم وغلب المسلمين
والموحدين عليهم صلي الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة الممتحنة

قال ابن حجر المشهور في هذه التسمية انها بفتح الحاء صفة المراة التي
نزلت السورة بسببها قلت او مصدر مبني وبويده ما في جمال القراء من
انها تسمي سورة الامتحان قال ابن حجر وقد تكسر الحاء هي صفة السورة كما
قيل لبراءة الفاضحة قلت فلا تضاف السورة اليها بل يقال الممتحنة اللهم الا
اضافة موصوف لصفته او عام لخاص وتسمى سورة المؤلفين وهي مدنية
باجماع وايها ثلاث عشرة وكلمها ثلاثمائة وثمان واربعون وحروفها الف
خمسمائة وعشرة وفي الحديث من قرا سورة الممتحنة كان له المومنون
والمومنات شفعاء يوم القيامة وقالوا من شرب ماءها ثلاثة ايام متوالية
زالت عنه مرض الطحال *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي) بوزن صبور
لكنه فيه ادغام * (وعدوكم) كفار قريش (اولياء) مفعول ثان
وغير كفار قريش داخل بلفظ الاية في النهي ولو كانت الاية في خصوص
قريش بل تقول لفظها ومعناها في كل كافر ومن نزلت فيه من الكفار بعض
منهم * (تلقون) حال من واو تتخذوا او نعت لاولياء مربوط بالهاء في

قوله * (اليهم) جار على غير ما هو له ولم يبرز الضمير بان يقال تلقون
انتم لان ابرازه مشروط في الاسم دون الفعل كذا قيل قلت بل ابرازه
شرط في الاسم والفعل نحو زيد عمرو ضربه هو اذا كان اضاب زيدا بل
ظهور الواو في الاية كف مع بداية الفعل بالتاء الخطابية على انه لو قيل
انتم كان توكيدا للواو لا فاعل اللهم الا ان يجعل الواو علامة ولا شك انه
لا ضمير مستتر في الفعل ولم يشترط كثير الابراز اذا امن اللبس او الجملة
مستانفة * (بالمودة) المحبة والنصيحة مصدر مبني بالياء زايدة للتوكيد
او سببية والمفعول محذوف اي تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسبب المودة واخبار المسلمين ملحقة باخباره الى الآن والفعل مبني
للفاعل اصله تلقيون بكسر القاف نقلت اليها ضمة الياء وحذفت الياء لساكن
(وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الوحي وقرا الجحدري لما جاءكم بلام مكسورة
اي كان ما يجب ان يكون سببا لايمانهم سببا لكفرهم والجملة حال مترادفة من واو
تتخذوا او متداخلة من واو تلقون وان لم تجعل تلقون حالا فلا ترادف ولا
تداخل * (يخرجون الرسول واياكم) من مكة حال من واو كفروا
او استيناف كالبيان للكفر واما مفعول لمحذوف الاصل ويخرجونكم ولما
حذف العامل انفصل الضمير وفايدة اعادة العامل تقوية التنبيه والانفصال
دليل عليها وليس اياما معطوفا على الرسول ولو كان ذلك المعنى مرادا
لقال يخرجونكم والرسول لامكان الاتصال وقد يقال اياكم تحذيراي
ويقولون اياكم ان تومنوا بالله ربكم او ضمن يخرجون معنى يقولون وعلى
التحذير فاصل العبارة اياكم ان تومنوا بالذي تقولون انه الهكم وربكم
وهذا ممكن من يقول بوجود الله على معنى لا توحدوه بل اشركوا به
وما ظهر لي الا الوجهان وحفظت عن المرادي وتباعه ان مسوغ

الانفصال كون الضمير مفصولا من عامله بمتبوع * (أن تؤمنوا) مفعول لاجله على حذف مضاف اي كراهة ان تؤمنوا او بتقدير حرف التعليل اي لان تؤمنوا او بان تؤمنوا * (بالله ربكم) واخراجهم هو تصديقهم عليهم حتى خرجوا والخطاب في تؤمنوا وربكم وغيرهم التفات للخطاب في قوله باكم على الغيبة في قوله الرسول وربما بدل او بيان او نعت فافهم يقتضي قوله عدوي ان يقول ان تؤمنوا بي وجاء بطريق الالتفات من التكلم للغيبة * (ان كنتم خرجتم) جواب ان محذوف دل عليه لا تتخذوا اي ان كنتم خرجتم عن اوطانكم * (جهادا) مفعول لاجله * (في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقيل لا جواب لادات الشرط في مثل ذلك للاستغناء عنه بما قبلها عنه ولو ذكر كان تكرارا دون فائدة (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون او استيناف اي لا طائل لكم في الاسرار وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان عندي وانا مطلع رسولي على ما تسرون * (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) اي اظهرتم واسلم اسم تفضيل اي انا لم منكم او فعل مضارع والباء زائدة في معموله والاول اولى وما موصول اسمي اي بما اخفيتموه وما اعلنتموه او حرفي اي باخفائكم واعلانكم والمراد ما اسررتم وما اظهرتم من المودة وغيرها والمرضاة مصدر ميمي كالمودة قرئ بالتاء شذوذا واجاز بعض كون تسرون حالا من واو تلقون وكونه خبرا لمحذوف * (ومن يفعله) اي الاتخاذ او الاسرار * (فقد ضل سواء السبيل) مفعول ضل وعداه لتضمنه معنى اخطأ او تعدى اي فقد اخطأ معتدل السبيل ومستقيمه والسواء في الاصل الوسط وعبارة بعض ان السواء الوسط ويجوز كونه ظرفا والسبيل دين الله * (ان يثقفوكم) يجدوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم * (يكونوا لكم اعداء) ولا ينفعكم القاء المودة اليهم

والاسرار

والاسرار او تظهر لكم عداتهم ولا يكونوا لكم اولياء كما تتم * (ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) بقتلكم وبضربكم من القتل والضرب ومن الشتم واعظم من ذلك انه لا يقنعهم الا الارتداد عن دينكم يتمنون كفركم لعلمهم ان الدين اعز عندكم من كل شيء حتى ارواحكم وانكم تبذلونها فيه ومن هم العدو ان يقصد اعز شيء عند عدوه فهم يودون لكم مضرة الدنيا والدين كما قال * (وودوا لو تكفرون) اي احبوا كفركم فلو مصدرية وانما عطف الماضي على المضارع اشعارا بان مودة كفركم سابقة عندهم على كل شيء مع ان الماضي في جواب الشرط للاستقبال فالمراد استمرار مودتهم لكفرهم فمودة مثلهم خطأ عظيم ومغالطة لانفسكم ويجوز كون الواو للاستئناف او للحال ومن منع قرن الحال الماضوي بها قدر قد والمبتدا (لن تنفعكم ارحامكم) قرابتكم (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم لا يردون عنكم عذاب الله دنيا ولا اخرى ولا ينفعونكم ولو اطعتموا المشركين في الكفر * (يوم القيامة) متعلق بقوله * (يفصل) يفرق (بينكم) بما عراكم من الهول ولا تتجامعون كما في الدنيا بل يفر بعض من بعض فيها نكم ترفضون حق الله لاجل من يفر عنكم ولا ينفعكم فما لكم اتخذتم خطأ من جهة انهم اعدائكم في الدنيا ومن جهة انهم لا ينفعونكم في الاخرى والنائب ضمير الفصل او بين على قول الاخفش فهو في محل رفع على البناء ولو كان لا يتصرف وقرأ عاصم بالبناء للفاعل وهو الله جل وعلا وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشددة للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن كسر الصاد وقرئ نفصل بالنون والتخفيف وبياء مع التشديد وتجمع القراء يوم القيامة ويقال اين فقراء هذه الامة ومساكينها فيبرزون فيقال ماعندكم فيقولون ربنا ابتلينا فصبرنا وانت اعلم وولیت الاموال والسلطان غيرنا فيقال

بالله لو غزكم وحده لنصر عليكم فكيف وهو في جمع كثير وخرجت سارة ونزل جبرايل بالخبر فبعث صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ وهي موضع قريب من المدينة في جهة حمر الاسد هذا هو الصحيح وقيل قرب مكة فان بها ظعينة وهي المراة المسافرة سميت بملازمتها الهودج معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها في الموضع فجحدت وحلفت وهموا بالرجوع بعدما فتشوا متاعها فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف فقال اخرجي الكتاب والا فوالله لاجردنك ولاضربن عنقك وقيل قال لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب ولمارات الجد قيل اخذت منهم عهدا لايردونها الى المدينة فاخرجت الكتاب من عقاصها وهو الشعر المضفور وعبارة بعض من عقاص شعرها وفي رواية من ذوائبها وقيل اخرجته من خمارها ويحتمل الجمع بانها اخرجته من شعرها تحت خمارها وقيل من حجزتها وقيل لما رات الجد من علي قالت اعرض عني فاعرض فحلت قرون راسها فاخرجته وقيل قال لها اخرجي الكتاب اولا رمين راسك في التراب فاخرجته واعطته له فرجعوا ولم يتعرضوا لها ولا لما لها فاسل صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اى غريبا والملصق الحليف ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ

صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوي السلطان والاموال قيل لعمرو بن العاصي اين المؤمنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور وتظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم اقصر عليهم من ساعة نهار * (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به هذا وعيد وتحذير نزل ذلك كله من اول السورة في حاطب بن بلتعة روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يجهز للفتح فقال لها اسلمة جئت قالت لا قال افهجرة قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر واحتجت حاجة شديدة فقدمت لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ماطلب مني شيء بعد وقعة بدر لي ماطلب مني تغنية ولا نواح فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا وكتب معها كتابا الى مكة نصه من حاطب بن بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وقال الكلبي كتب ان محمدا قد نفر ولا ادري اياكم يريد ام غيركم فعليكم بالحذر وقال الواقدي كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وعكرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم يد وفي تفسير يحيى بن سلام نص الكتاب اما بعد يامعشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية بجيش كالليل يسير كالسيل وروي يريد غزوكم في مثل الليل والسيل واقسم

عندهم يدا اذا فاتني النسب فيجعلوا اهلي ولم افعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام وكان كما قال لم يكن ذلك منه نفاقا قال وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه ولا يغني كتابي فصدقه صلى الله عليه وسلم وعذره فقال عمر رضى الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فقال لله ورسوله اعلم فنزلت الاية وصدقه الله وكان بدريا وانما اطلق عمر عليه اسم المنافق مع تصديق النبي صلى الله عليه وسلم له قبل نزول تصديقه وقال صلى الله عليه لا تقولوا لحاطب الا خيرا * (قد كانت لكم اسوة) قدوة اسم لما يتاسى به وقرئ وقري بضم الهمزة والخطاب لحاطب والمومنين حسنة في ابراهيم والذين معه * (في ابراهيم نعت ثان لاسوة ولكم خبر كان او في ابراهيم خبر ولكم متعلق بالكون او في ابراهيم حال من ضمير حسنة او متعلق بحسنة لا باسوة لانها وصفت وهذا بناء على ان الموصوف لا يعمل (اذ قالوا) متعلق بكان او بما يتعلق به الظرف الواقع خبرا * (لقومهم انا برآء منكم) جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ برآء كظراف وبراء كنراب وبراء كسحاب مصدرا موصوفا به * (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم اي انكرناكم وكذبناكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة وقرئ بابدال همزة ابدا واوا امر حاطبا والمومنين ان يتبراوا من قومهم كما تبرا ابرهيم ومن امن معه من قومهم وقال الطبري الذين معه هم الانبياء المعاصرون له او من قرب منهم من عصره ورجحه بعض بانه لم يروا ان لابراهيم اتباعا مومنين في وقت مكافحته نمرود وانه روي انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام

مهاجرا

مهاجرا من بلد نمرود ما على الارض من يعبد الله غيري وغيرك والاقتداء المامور به هو في البراءة من المشركين وفي حكمه البراءة من جميع احكام الباطل وجميع المنافقين * (الا قول ابراهيم لابيه) رجاء باسلامه (لاستغفرن لك) استثناء من الاسوة فان استغفاره لابيه كافرا لا يحسن التاسي به فانه كان قبل النهي والموعدة وعدها اياه وانما صح هذا الاستثناء لان المراد بالاسوة القول الذي يقتدون به ولاستغفرن جواب قسم محذوف وجملة القسم وجوابه مفعول القول وان قلت اذا كان ذلك استثناء من الاسوة فما بال قوله * (وما املك لك من الله) من للابتداء او للتبعيض على ان المراد من عذاب الله * (من شي) من زايدة في المفعول قلت اراد استثناء ماذكر من الاستغفار لابيه وما بعده مبني عليه تابع له اي انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فالمستثنى المجموع ولا يلزم منه استثناء الجميع وقوله * (ربنا عليك توكلنا واليك انبنا) رجعنا * (واليك المصير) متصل في المعنى بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة الخ او مفعول لقول محذوف اي قولوا ربنا الخ امرهم ان يقولوه تعليما لهم لما هو تتميم لما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفار والاقتداء بابراهيم وتنبيها على الانابة الى الله والواضح انه من مقول ابراهيم ومن معه وكذلك ما بعد الى الحكيم * (ربنا لا تجعلنا فتنة اللذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا تحمله وقال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا فالفتنة مصدر بمعنى اسم المفعول اي مفتونين وكذا على القول الاول وقيل لا تعذبنا بعذاب منهم او منك فيقولوا لو كان هولاء على الحق ما اصابهم ذلك وقال قتادة لا تغلبهم علينا فتكون لهم فتنة وسبب ضلالة قيل وهذا مرجوح لانه دعاء لهم قلت يحتمل الكناية بعدم الجعل فتنة عن عدم

الغالبة * (واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم) في ملكه وعنه
استعاذوا من فتنة الكفار واستغفروا من الذنوب ومن كان عزيزا
حكيما حقيق ان يجيب الداعي ويجير المتوكل وقد توكلوا * (لقد كان لكم)
(فيهم اسوة حسنة) الضمير لابراهيم ومن معه وذلك تكرير لمزيد
الحث على التاسي بابراهيم عليه الصلاة السلام ولذلك صدر بالقسم واللام
وقد والقسم غاية التوكيد * (لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر) بدل
من لكم بدل كل ان اريد بلكم خطاب من كان يرجو وبدل بعض
ان اريد خطاب الناس وقيل اشتمال وترك التاسي موءذن بسوء
العقيدة ولذا اعقبه بقوله * (ومن يتول) عن دين الله ويعرض
عنه * (فان الله هو الغني) عن الخلق * (الحميد) لاهل
الطاعة اكد بالجملة الاسمية مجردة عن ان وبجملة اسمية مقرونة بها
واكد بان وبهو وتعريف طرفي هذه الجملة * (عسى) وعد
متطوع به على عادة الملوك في ترجيتهم او المراد اطماع المومنين * (الله
ان يجعل بينكم) وبين الذين عاديتم منهم) من كفار مكة طاعة لله *
(مودة) بان يهديهم فيصيروا لكم اولياء متحالطوهم ونناكحوهم لما نزلت تلك
الايات في النهي عن حب الكفار تشدد المومنون في عداوة ابائهم واقاربهم
من المشركين ولما راى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول
التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوا
ولما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب
والتصافي ما تم وقل من لم يومن منهم وقيل المودة ابن عريكة ابي
سفيان واسترخاء شكيمته في العداوة لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنته ام حبيب وكانت قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش

الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات
زوجها فبعث صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها اليه وساق عنه اليها
اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لايجدع انفه * (والله
قدير) على كل شي من تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب
المودة وغير ذلك * (والله غفور رحيم) لمن اسلم من المشركين ولما
صدر منكم في مولاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم وعن
اسمء بنت ابي بكر ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت وهي مشركة على بنتها
اسمء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول قالت لاتدخلين
على بيتا ولا اقبل منك هدية ولا نافجة وكانت هداياها ضبابا وقرصا
وسمنا واقطا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فنزل
قوله عز وجل * (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) من الكفار *
(في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) بدل اشتمال من الذين
اي لاينهاكم عن مبرتهم * (وتقسطوا اليهم) تفضوا اليهم بالقسط اي
العدل وناهيك في تاكيد العدل ان الله امر به واوصى به ان يستعمل
مع المشركين وذلك ترجمان واضح عن ذم موحد يجتري على ظلم الاخ
المسلم فامرها صلى الله عليه وسلم ان تقبل هداياها وتدخلها وتكرمها وكان
قدومها في مدة عهد قريش قدمت محتاجة فقيل قالت بنتها يارسول الله
افاصلها قال نعم فنزلت الاية (ان الله يحب المقسطين) العادلين افادتهم
الاية جواز مبرة المشركين الذين لم يخرجوهم ولم يقاتلوهم ولم يظهروا سوء
وقال ابن عباس اراد بالذين لم يقاتلوكم خزاعة وكانوا صالحوه صلى الله عليه
وسلم ان لايقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص في برهم وقيل خزاعة وقبائل
من العرب ظاهروه صلى الله عليه وسلم واحبو ظهوره وقيل اراد النساء

والصبيان من الكفار وقال مجاهد الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا والعلم مراده من جازله عدم الهجرة وان اراد انها فيمن لم يهاجر ولم يعذره الله فالاية منسوخة بقوله مالكم من ولايتهم كما يقال ينسخها اية السيف اذا قلنا انها في الكفار وقد نص قتادة على نسخها * (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا) اعانوا (على اخراجكم) وهم مردة قريش * (ان تولوهم) بدل اشتمال من الذين (ومن يتولهم منكم فاولئك) مرعاة لمعنى من (هم الظالمون) وعن الحسن لم يزل رجل يهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقدم بهدية فقال له صلى الله عليه وسلم هل اسلمت قال لا قال فانه لا يحل انا رفد المشركين * (يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات) التذكير للفصل والتانيث ولو كان اصلا لكن قد تجتمع القراء على مرجوح كالتذكير في وجمع الشمس او لان المومنات نعت لاسم الجنس اي النساء المومنات واستدل الكوفيون بالاية وغيرها على جواز اسقاط التاء من فعل جمع المونث السالم نحو قام الهندات قاله ابن هشام وسماهن مومنات لتصديقهن بالسنتهن مع عدم ظهور ما ينافي التصديق ولانهن مشارفات ومقاربات لثبات الايمان بالامتحان كما قال * (فامتحنوهن) اختبروهن بالحلف على الايمان وبالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ماخرجت من بغض زوج وعشق رجل ولا رغبة عن ارض الى ارض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت الا حبا لله ورسوله وعن ابن عباس الامتحان ان تستحلف ماخرجت عن بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وماخرجت الا محبة في الاسلام وحبا لله

ولرسوله

ورسوله (الله اعلم بايمانهن) منكم لانه المطلع على ما في الضمير ولا تكلفون علم الغيب (فان علمتموهن مومنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم ويمكنكم تخليصه وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وهذا يجب العمل به كالعلم واذا سماه علما (فلا ترجعوهن الى الكفار) اذ واحهن الكفار بدليل (لا هن حل لهم) نص في حصول الفرقة قال ابن هشام اخبر بالحل عن الجمع لانه مصدر يقال حل حلا والمصدر اذا نعت به او اخبر ووصل او كان حالا لم يثن ولم يجمع ولم يونث فيقدر مضاف اي ذوات حل او ياول بالوصف اي حلال وقد يقع حلال مصدرا ويجوز كون حلال وصفا انتهى بزيادة * (ولا هم يحلون لهن) تكرير للمبالغة والمطابقة وانهم حرموا عليهن كما حرمن عليهم وبدليل * (واتوهم) اعطوهم اي ازواجهن * (ما انفقوا) من المهور عليهن نزلت تلك الاية في سبيعة بنت الحارث الهلالية الاسلمية وذلك انه صلى الله عليه وسلم عام الحديبية صالح المشركين على يد سهيل بن عمرو العامري على ان من جاء منهم رده ومن جاءنا منه لم يردوه عليه وكره كثير من المسلمين ذلك وامسكوا هيبة له صلى الله عليه وسلم ولما فعل راجعا لحقته امراة منهم من المشركين فنادته يا محمد يا محمد اني قد جئتك مومنة بالله ومصدقة بما جئت به فقبل عنها ولما بلغ الروحاء لحقه وفد المشركين مع زوجها كافرا قيل هو عبد الله بن النباش وقيل مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقالوا يا محمد لم يجف طين كتابك حتى غدرت فهم النبي صلى الله عليه وسلم بردها فنزل جبريل وقال اقرا يا محمد يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم الخ فقال لهم انما كان الشرط في الرجال لا في النساء وعبارة بعضهم ان الصلح على من اتى منهم مسلما رده الينا رجلا او امراة فنقض الله ذلك في امر النساء وهي رواية الضحاك ويحتمل الجمع بان

معني كون الشرط في الرجال الشرط الذي اثبته الله ولم ينقضه والظاهر انهم لم يذكروا امرأة فبين ان الشرط في الرجل واما المرأة فلم تذكروها ولا شرطتموها ولا ترد للكافرين لقلة عقلها فترتد وهاجرت ايضا ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي عاتق فجاء اهلها ونزلت الاية ولم يردوها لهم وعن عايشة كان يمتحن بهذه الاية يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى رحيم ويبايعن بالقول ولم يمس يد امرأة في المبايعة قط ونقض الله شرط الرجال بالوائل براة ايضا ولما امتحن سبيعة اعطى عمر زوجها ما انفق عليها وتزوجها قيل في الكلام حذف اي اي اتوهم ما انفقوا ان اردتم نكاحهن وقيل يؤتوهم ما انفقوا ولم يريدوا تزويجهن والظاهر الاول ويصدقوهم فيما قالوا انهم انفقوه * (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) لان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن والكفار ولم يبح الله مومنة لكافر وقيل حتى تنقضي عدتها (اذا اتيتموهن اجورهن) اي مهورهن لان المهر اجرة النكاح قال جار الله لا يخلو اما ان يراد ما يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزويجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك على سبيل القرض واما ان يبين انما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لابد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او ذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة بلا عدة الا ان كانت حاملا فلا تتزوج حتى تضع اه * (ولا تمسكوا) وقرا البصريان بالتشديد وقري بفتح التاء والتشديد اي لا تمسكوا * (بعصم الكوافر) بما تعتصم به الكوافر من عقد ونسب والعصم جمع عصمة والكوافر جمع كافرة اي لا تقيموا على زوجاتكم المشركات قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع

عصمتها

عصمتها منه قال الزهري لما نزلت الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة ولم كلثوم بنت عمر بن جدول الخ زاعية فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وهاجر طلحة بن عبد الله وبقيت زوجته اروي بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما وتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاصي ابن امية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاصي بن الربيع وهاجرت ثم اسلم زوجها فردها له وذلك قبل تحريم تزويج المومنة المشرك وعن عايشة رضي الله عنها ما حرم لم يقدر صلى الله عليه وسلم على التفريق بينهما وعن النخعي اراد بالكوافر الازواج المرتدات بلحقن بدار الكفر فيكفرن وقيل المراد كافرات العرب اذا ابين الاسلام وليس المعرب كتاب فارقهن ازواجهن وقيل المراد عابدات الاوثان ومن لا يجوز تزويجه ابتداء وقيل عامة نسخ بها نكاح الكتابية وهو ضعيف (واسئلوا ما انفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار اي اطلبوه (وليسئلوا ما انفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات وذلك بين المسلمين وبين من عاهد قال الزهري لولا العهد لامسك صلى الله عليه وسلم نساء قريش ولم يرد الصداق وكذلك يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد ولما نزلت الاية اقر المومنون بحكم الله وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم * (ذلكم) المذكور جميعا (حكم الله يحكم بينكم) حال من محكم على حذف الضمير اي يحكمه او الضمير المستتر عايد للحكم جعل الحكم حاكما مبالغة او استيناف * (والله عليم حكيم) وامتنع الكفار ان يودوا الى المسلمين ما انفقوا على ازواجهم الكوافر من المهور وقالوا لا نرض بهذا

الحكم ولا تلتزمه ولا تدفع لاحد صداقا فانزل الله عز وجل * (وان فاتكم) سبقكم وانفلت منكم (شيء من ازواجكم الى الكفار) اي لحقت زوجة او زوجتان او اكثر بالكفار مرتدات وقرا ابن مسعود وان فاتكم احد من ازواجكم وايقاع شيء موقع احد للتحقير والمبالغة في التعميم او اراد شيء من مهورهن بالذهاب الى الكفار ارتدادا (فعاقبتم) غزوتم فغنتم فالمعاقبة اصابتهم بعقاب قتلا وغنما قاله الزجاج وقيل معني عاقبتم ظهرتم وكانت العاقبة لكم وليست هذه المعاقبة بمعنى مجازاة السوء بالسوء وقد فسرها بعض بالغنم وفسرها مجاهد بالاصابة وروي انه قراه فاعقبتم وقال المعني صنعتم بهم كما صنعوا بكم وهذه مجازاة وقيل من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المومنين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هولاء تارة بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره اي فجاءت عقبتكم من اداء المهر وقيل اصبتم عقبي وهي الغنيمة وقرى فعقبتم بالتشديد وقري بالتخفيف بفتح القاف وقرى بالتخفيف وكسرها وقيل معني اعقبتم دخلتم في العقبة ومعني عقبتم بالتشديد والتخفيف جاء فعلكم بعد فعلهم وفسر الزجاج القراءات غير قراءة الالف بقوله كانت العقبي لكم * (فاتوا الذين ذهبت ازواجهم) الى الكفار * (مثل ما انفقوا) من مهور المهاجرات ولا تتوهم زوجها الكافر وانما هو توهم من الغنيمة قيل قسمها قاله قتادة وقال ابن شهاب يعطي من ابى وجوه الفيء ما امكن ولحق بالمشركين من نساء المومنين ست ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب اخت ام سلمة لما اراد الهجرة ابت واردت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزي بن نضلة كانت تحت عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل

بن

بن هشام كانت تحت هشام بن العاصي بن وايل وام كلثوم بنت جدول كانت تحت عمر ايضا ارتددن فاعطي صلي الله عليه وسلم ازواجهن من الغنيمة ما انفقوا عليهن من المهور واختلف في رد مهر من اسلمت من النساء من ازواجهن هل واجب او مندوب مشاره هل وقع الصلح علي رد الرجال والنساء او على الرجال فقط واختلف هل يجب رد المال اليوم او يندب اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم يجب والاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا وقال عطاء ومجاهد وقتادة لا يجب وان الاية منسوخة وصح فمن جاءت مهاجرة لم يردوا مهرها ازوجها * (واتقوا الله الذي انتم به مومنون) فان الايمان يقتضي التقوي فوائد قال عكرمة كان العبد اذا جاء مسلما ومولاه مشرك كان حرا قال بعضهم هذا اذا كان ميسرة معاهدا قال جابر بن عبد الله بايع مملوك النبي صلي الله عليه وسلم ولم يعلم انه عبد ثم علم فاشتراه من ميسره بغلامين زعم بعض ان سيده معاهد واسلم غيلان بن سلمة على عشر نسوة واسلمن معه فامر صلي الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا ووجد يوم الفتح عند عتبة بن عمرو خمسا فامره بطلاق واحدة فطلق دجاعة بنت الصلت وتزوجها رجل اسمه عامر فولدت له عبد الله ومن اسلم على اختين اختار واحدة كما امر صلي الله عليه وسلم مرور الدئلي ومن اسلم علي اكثر من اربع فليختر اربعا وقيل الاربع الاوايل وقيل فيمن اسلم على اختين فليختر الاولي يقولون ما لا يصلح نكاحه في الاسلام فهو الذي يفارق والصحيح ما ذكرنا اولا ومن اسلمت قبل زوجها بانت بواحدة فان اسلم خطبها فتكون عنده علي اثنتين وقبل ان اسلم في عدتها فهو احق بها واسلمت امرأة سهيل

بن عمير وعكرمة بن ابي جهل فاقاما على نكاحهما واذا اسلمت قبل زوجها فرق بينهما وعن علي هو احق بها ما كان في دار الهجرة وعن عمر انه خير امراة اسلمت ثم اسلم زوجها وقبل يعرض عليه الاسلام فان اسلم فهي له وان كانا يهوديين او نصرانيين واسلم قبلها فهما على نكاحهما وان اسلمت قبله فرق بينهما والاسلام يعلو وفي المسئلة خلاف وعن الحسن في المجوسيين اذا اسلم احدهما فرق الاسلام بينهما الا ان اسلما جميعا في وقت واحد وان ارتد الرجل وله زوجة مسلمة فلا تتزوج ولا تعتد حتى يعرض عليه الاسلام فان تاب فهي له امراة والا قتل واعتدت عدة المطلقة وان ارتدت ولحق بالشرك واعتدت من ذلك الحين وعن الحسن في نصرانية تسلم قبل ان يدخل بها النصراني انه يفرق بينهما ولا شيء لها وقيل ان ابى ان يسلم فلها نصف الصداق لان الاباء جاء منه * (يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك) حال من المومنات اي يشارعات في المبايعة او مريدات لها والسكون بناء لاجل نون الاناث نزلت اليه يوم الفتح وفيه بايع الرجال وفي اليوم الثاني بايع النساء وقراء عليهن الاية وكلام بعض يوهم نزولها في الثاني وليس كذلك وظاهر بعض انه بايعهن في اليوم الاول بعد مبايعة الرجال فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا فاتته النساء يبايعن وفيهن هند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة خوفا منه صلى الله عليه وسلم فبايعهن على اشياء كما قال جل وعلا (على ان لا يشركن بالله شيا) فرفعت هند راسها لما تلا هذا وما ياتي وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما اخذته على الرجال ولقد عبدنا الاوثان وذلك انه بايعهم على الاسلام والجهاد ولم يفصل شيئا ولم يزد وعن عطية بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فضربت منا امراة يدها وقالت فلانة اسعدتني

وانا

وانا اريد ان اسعدها ولم يقل لها شيئا ثم رجعت فبايعها وفي الحديث ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وروي ان نساء قلن اسعدتنا نساء في الجاهلية فنسعدهن فقال لا اسعاد في الاسلام وفي الحديث تاتى النائحة يوم القيامة ان لم تتب وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ولعن النائحة والمستمعة * (ولا يسرقن) لما قراءه عليهن قالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات اي اشياء فلا ادري ايحل لى ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت في ما مضي وما تصيبين في ما غبر حلال لك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال انك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك * (ولا يزنين) قالت هند او تزنى الحرة وروي انها قالت ما زنت منهن امراة قط (ولا يقتلن) وقرى بالتشديد (اولادهن) قالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وروي وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بقتل الاولاد وذه البنات الذي فعلته الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد * (ولا ياتين) الياء لام الكلمة والنون ضمير الاناث * (ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) قالت هند والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق اي بولد تلتقطه وتنسبه للزوج وتقول هذا ولدي منك ومعني بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها وقيل ان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ورجليها وقيل هو بين يديها واذا وضعته كان بين رجليها فوصف اللقيط بوصف الولد الحقيقي وقيل المراد كل

بهتان ولم يرد الزنا لانه سبق النهى عنه * (ولا يعصينك في معروف)
قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيد
بالمعروف وهو الشيء الحسن مع انه صلى الله عليه وسلم لا يامر الا به تنبيها
على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والمراد بالمعروف الفرض والمندوب
تركا وفعلا وعن الحسن ترك النياحة ومحاذاة الرجال الا محرما وقيل
ان لا ينحن ولا يدعون بالويل ولا يمزقن الثياب ولا يحلقن الشعر
ولا ينتفنه ولا يخمشن الوجه ولا تحدث المراة الرجال الاجانبا ولا تخلو برجل
غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذى محرم ولا ينشرن شعرا *
(فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء روي
انه لما ذكر ذلك قلن نبايعك على ذلك وذكرنه واحدا واحدا
ولما فرغن قال فيما استطعتن واطقتن فقلن الله ورسوله ارحم بنا منا
لانفسنا وفيهن امية بنت رقيقة وما كانت المبايعة الا بالقول واجمعوا انه
لم يمس يد امراة منهن وهن اربع مائة وسبع وخمسون وعن عايشة انه بايع
باللسان وقال انما قولى لمائه امراة كقولي لامراة فانهم قالت قال اذهبن
قد بايعتكن وروي ان عمر في الصفا تحته صلى الله عليه وسلم يبايعهن بامره
صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وذلك بالقول وقيل صافحهن
صلى الله عليه وسلم بيده وكان على يده ثوب قطري وروي وعلى يده خرقة
او ثوب وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس فيه ايديهن (واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم) روي ان ناسا من نفراء المسلمين يوا صلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم فيل يخبرونهم باخبار المسلمين فنزل * (يا ايها
الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) جمله غضب الخ نعت
قوما وهم اليهود قاله ابن زيد (قد يئسوا من الاخرة) يئسوا من ان يكون

لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علموا انه
الرسول المنعوت في التورية بصفات * (كما يئس الكفار) الذين انكروا
البعث * (من اصحاب القبور) يئسوا من بعثهم اذ امات لهم حميم قالوا
هذا اخر العهد به لا يبعث ابدا وعن الكلبي اياس اليهود زعمهم انه لا اكل
في الجنة ولا شرب ولا نعيم ومن للابتداء وقيل ان اياس الكفار اياسهم من
الجنة اذا بعثوا واذا ماتوا وذلك انهم اذا ماتوا صدقوا بالجنة وايسوا منها فمن
للبيان وعن ابن عباس القوم الذي غضب عليهم في الآية كفار قريش
وقيل عامة الكفار المنكرين البعث وعليهما فاعادة الظاهر في قوله كما يئس
الكفار وضع للظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الكفر قنطهم ويحتمل ان
يكون الكفار اليهود في الموضعين واياسهم من الجنة للعناد ومن للبيان
وقيل نزلت في منافقين يوادون المشركين ويسرونهم باخبار النبي صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين اللهم بحق السورة ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم
علينا وبركتها اخسر النصاري واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين
والموحدين عليهم صلي الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

سورة الصف

وتسمي سورة الحواريين مدنية على الصحيح وعليه الجمهور وابن عباس قال
السيوطي ويدل له ما روي ان عبد الله بن سلام قال قعدنا نفرا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب
الى الله لعملناه فانزل الله سورة الصف فقرأها صلي الله عليه وسلم علينا
حتى ختمها وقيل مكية وقيل مكية البعض وايها اربع عشرة وكلمها ماية وواحدى

وعشرون وحروفها تسع مائة وفي الحديث من قراء سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه ومن لازم قراءتها في سفره رجع سالما باذن الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم *

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله سبحانه لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم على الجهاد وقيل نزل ان الله يحب الذين يقاتلون الخ فولوا يوم احد فنزل * (ياايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون) وقيل لما اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بالاية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وقتلت ولم يقتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل نزلت في المنافقين يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون اي امنوا بالسنتهم ولم تطابقهم جوارحهم ولم تطابقهم قلوبهم وعليه الحسن ولعل النداء بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام وابلغه وقيل كان رجل مؤذيا للمسلمين فقتله صهيب وادعى رجل انه قتله فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ورسوله فقال عمر يارسول الله قتلة صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت الاية في مدعي قتله وعن قتادة والضحاك نزلت في جماعة من شباب المسلمين تحدثوا عن انفسهم في الغزو بما لم يفعلوا او حذفت الف ما لانها استفهامية جرت بحرف الجر وذلك تخفيف وما والحرف كشيء واحد وقد تثبت الالف

وقيل

وقيل ثبوتها لغة واذا جررتها بالحرف حذفت الفها ووقفت زدت هاء السكت وقد يوقف باسكان الميم وقد تسكن وصلا كالوقف * (كبر مقتا) فاعل كبر مستتر يدل عليه مقتا وان تقولوا مخصوص بالذم او فاعله ان تقولوا جمعا بين التمييز والفاعل الظاهر ولفظ كبر للتعجيب هنا والمبالغة في الذم عظم الله الامر في قلوب السامعين لخروجه عن نظائره واشكاله والمقت اشد البغض ولا شك في ذلك حيث وصفه بالكبير من يحقر كل عظيم دونه قيل لبعض السلف حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتامرني ان اقول ما لا افعل فاستعول مقت الله وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير واثروا السكوت قلت وهذا يعذر صاحبه ان وجد من يكفيه ومع هذا فالوعظ والتذكير اولى ويصفي النفس قال بعض الحكماء اني لاعظكم واني لكثير الذنوب ولو ان احدا لا يعظ اخاه حتى يحكم امر نفسه لترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن محادثة الاخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان قال ابو حازم اني لاعظ الناس وما انا بموضع للموعظ ولكن اريد به نفسي وقال الحسن لطارق عظ اصحابك فقال اني اخاف ان اقول ما لا افعل فقال رحمك الله واينا يفعل ما يقول ود الشيطان ان يظفر منكم بهذه فلم يامر احد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر والمنزل * (ان الله) الاية قال عبد الله بن رواحة لا ابرح جيشا في سبيل الله حتى اموت فقتل في سبيل الله وكان من نفر من الانصار قالوا لو علمنا اي الاعمال احب الى الله لعملنا به حتى نموت * (يحب) ينصر ويكرم * (الذين يقاتلون في سبيله صفا) مصدر بمعنى اسم الفاعلين اي صافين انفسهم او اسم مفعول الى مصفوفين

او يقدر مضاف اي ذوي صف اي اصطفاف وهو حال من الواو ومن اجاز
حرف عامل المصدر الموكد اجاز كونه مصدر المحذوف اي صافين صفا
او يصفونون صفا والمحذوف حال * (كانهم بنيان مرصوص) ملزق
بعضه الى بعض من غير فرجة لا يزولون عن اماكنهم وقيل في ذلك دليل على فضل
القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وفي الحديث رصوا
صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالاعناق والذي نفسي بيده اني لأرى
الشيطان يتخلل بينكم كالخذف وفي التوراة محمد المختار لا فض ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويعفو امته
الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد مناديهم منادي
في جو السماء ويتوضؤون على اطرافهم ويتزورن لي اوساطهم لهم بالليل دوي
كدوي النحل صفهم في الصلاة والقتال سواء مولده مكة وهجرته طابة
وملكه بالشام وفي الحديث من قاتل في سبيل الله فواق ناقه وجبت له
الجنة والجملة حال ثانية من الواو مترادفة او حال من الضمير في صفا ان
اول بالوصف او من الضمير المقدر اي يصفون اوصافين او مصفوفين
متداخلة * (واذ) مفعول لاذكر قال جار الله او وحين قال لهم ما قال
كان كذا وكذا * (قال موسى لقومه) بني اسرائيل * (يا قوم لم
تؤذونني) تضرونني بالعصيان والرمي بكونه ادر اي كبير الخصيين وتكذيبه
وعبادة البقر وطلب رؤية الله وغير ذلك * (وقد) للتحقيق
(تعلمون اني رسول الله اليكم) الواو للحال واليكم متعلق برسول ومن
حق الرسول ان يعظم ولا يوذى (فلما زاغوا) اي قوم موسى اي عدلوا
عن الحق * (ازاغ الله قلوبهم) عن قبول الحق او طبعها او كثر ميلها
عن الحق عقوبة عن الذنب بالذنب * (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

لا

لا يوفقهم ذكر مقالة موسى ليحذر المومنون ما وقع فيه هولاء من العصيان
(واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل) لم يقل يا قوم لانه لا نسب له
فيهم * (اني رسول الله اليكم مصدقا) حال من رسول او من ضميره
(لما بين يدي من التوراة) واحكامها (ومبشرا برسول ياتي من بعدي)
وقري باسكان الياء وتحذف للساكن وهو قراءة ابن عامر وحفص
وحمزة والكسائي والفتح اختيار الخليل وسيبويه وليس قوله اليكم
استقرار باحتي تكون الحالية من الضمير المستتر فيه فانه لغو لا ضمير فيه *
(اسمه احمد) هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر اول الكتب
المشهورة التي حكم به النبيون واخر الانبياء اشارة الى ان دينه التصديق
بجميع الانبياء وكتبهم وايمانه بالتوراة بما فيها قال الحواريون لعيسى
يا روح الله هل من بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء
كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم
باليسير من العمل وفي الحديث انا احمد وانا محمد وانا الماحي وانا الحاشر
وانا الهادي وانا العاقب وانا الخاتم الذي يمحو الله بدبني الكفر ومعني
العاقب انه لا نبي بعده والحاشر الذي يحشر الناس يوم القيامة على عقبه
قال ابو موسى سمعت النباشي يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذي
بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لأتيته
حتى احمل نعليه قال عبد الله ابن سلام مكتوبة في التوراة صفة محمد
وعيسى بن مريم يدفن معه انتهى قالوا وقد بقي في البيت موضع قبر هو
قبر عيسى صلى الله عليه وسلم واحمد منقول من الفعل المضارع او من اسم
التفضيل من المبني للفاعل اي اكثر حمدا لله من غيره او من المبني
للمفعول اي يحمده الناس اكثر من غيره وهذا مرجوح وسميت امته في

كتب الانبياء الحمادين ولم يسم احد به قبله واما محمد فقد سمي به ستة
رجال حين شاع انه قرب مبعث نبي اسمه محمد قاله عياض في الشفاء
وقال ابن خالويه والسهيلي ثلاثة قلت بل خمسة عشر محمد بن عدي
بن ربيعه ومحمد بن احيحة بهمز مضمومة فحاء مهملة مفتوحة فياء مثناة
تحت ساكنة فحاء مهملة ومحمد بن اسامه ومحمد بن البراء ومحمد بن الحارث
ومحمد بن حرماز ومحمد بن حمران ومحمد بن خزاعي ومحمد بن يحمد
ومحمد بن خولي ومحمد بن سفيان ومحمد بن اليحمدي ومحمد بن يزيد
ومحمد بن الاسيدي ومحمد بن المقيمي ولم يظهر على يد واحد منهم ما
يشكك الناس ولم يدركوا الاسلام الا الاول فقيل ادركه والا الرابع فهو
صحابي جزما وذكر عياض محمد بن مسلمة الانصاري وليس بشئ فانه
ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة وعن انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تسموا اولادكم محمدا ثم تلعنونهم رواه الحاكم في
المستدرك * (ولما جاءهم) جاء احمد الكفار او اليهود وقيل جاءهم
عيسى وهو اظهر * (بالبينات) بالقرآن او بالانجيل * (قالوا هذا)
الذي جئت به * (سحر) او الاشارة الى احد الرسولين سموه سحرا
مبالغة ويقويه قراءة حمزة والكسائي ساحر بالالف وكسر الحاء *
(مبين ومن اظلم) استفهام انكار واظلم بمعنى اشد ظلما * (ممن
افترى على الله الكذب) نسبة التشريك والولد اليه ووصف اياته
بالسحر * (وهو يدعى الى الاسلام) حال من ضمير افترى وقراءة طلحة بن
مصرف يدعى بتشديد الدال يفتعل من الدعاء وعنه وهو يدعواي الله
بدعوه * (والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يرشد الكافرين الذين
سبقت لهم الشقوة * (يريدون ليطفؤا) اللام زايدة للتاكيد والنصب

بان مضمرة والمصدر مفعول يريد او اللام للتعليل والمفعول محذوف اى
يريدون الافتراء ليطفؤا وقال الخليل يريدون في تاويل الارادة مبتداء
خبره الجار والمجرور * (نور الله بافواههم) اطفاءه اذهابه بقولهم
في القرآن مثلا هذا سحر وذلك تهكم بهم شبه حالهم بحال من ينفخ
في نور الشمس بفيه ليطفئه ونوره دينه او كتابه او حجته * (والله متم
نوره) مبلغه غايته باظهاره واعلاه وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائي
وحفص بالاضافة * (ولو كره الكافرون) اتمامه ارغاما لهم *
(هو الذي ارسل رسوله) وقري نبيه * (بالهدى) القرآن
او المعجزة * (ودين الحق) الملة الحنيفية * (ليظهره) بعليه
ويغلبه (على الدين كله) ال للاستغراق اي على جميع الاديان
وقد كان ذلك ما بقي دين الا تحت الاسلام مقهورا وقال مجاهد
اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقيل لم يقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان ذلك وفي الحديث لا يبقي اهل
بيت مدر ولا وبر الا دخله الاسلام بعز عزيزا وبذل ذليلا اي من هو
اهل للعز عند الله ومن هو اهل للذل وعن الحسن عنه صلى الله عليه
وسلم نحن الانبياء اخوة العلات امهاتنا شتى ودينا واحد وانا اولى
الناس بعيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي وانه نازل لا محالة فاذا نزل
فاعرفوه فانه مربوع الخلق الى الحمرة والبياض كان راسه يقطر ماء *
(ولو كره المشركون) اظهاره * (يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم) وقراءة ابن عامر بالتشديد * (من عذاب اليم)
كانهم قالوا نعم فقال * (تؤمنون بالله) اي تدومون على الايمان وهو
مستانف بمعنى الامر ولذلك جزم يغفر في جوابه ذكره ابن هشام *

(ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم) وذلك بيان للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المودي الى الى كمال غيرهم والمراد به الامر كما مر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك وكانه قد وقع ويدل لذلك قراءة ابن مسعود امنوا بالله ورسوله وجاهدوا ويدل علي الاستئناف ما روي انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها فنزلت الاية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي قد لهم الله عليها بقوله تومنون وتراخي ذلك لما في الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع من التمكن والاقربية للقبول وقراء زيد بن على تومنوا وتجاهدوا بحذف النون تخفيفا اوعلى اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس وهو ضعيف والاية اضعف على تلك القراءة لشذوذ لام الامر مع الخطاب * (ذلكم) المذكور من الايمان والجهاد * (خيرلكم) من اموالكم وانفسكم لانه التجارة المربحة الجنة ورضى الله (ان كنتم تعلمون) انه خيرلكم لانهم اذا علموا ذلك احبوا الايمان والجهاد فوق مايحبون انفسهم واموالهم وان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لايعتد بفعله وفي الحديث هل تريدون من ربكم ان يغفرلكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة قالوا حسبنا قال فاغزوا في سبيل الله وعن الحسن من قلت حسناته وكثرة ذنوبه فليجعل دروب الروم من وراء ظهره وعن النبي صلي الله عليه وسلم ماجميع اعمال البر في الجهاد في سبيل الله الا كنفثة رجل ينفثها في بحر لجي الا وان طالب العلم اعظم اجرا ويحتمل ان لا يكون خير اسم تفضل بل بمعني ان ذلك في نفسه خير ونفع * (ويغفرلكم ذنوبكم) وعن بعضهم مجزوم في جواب شرط محذوف لا باعتبار تومنون اي ان تفعلوه اوفي جواب استفهام مقدراي هل تقبلون ان ادلكم يغفرلكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم

لان

لان مجرد دلالته لايوجب المغفرة * (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوزالعظيم) والاشارة الى ماذكر من المغفرة وادخال الجنة وادنى اهل الجنة ينظر مسيرة خمسمائة عام ليس في ذلك موضع شبر الاوهو عامر قصور ذهب وفضة وخيام اللولوء والياقوت وروي ان ادناهم من له سبعة قصور ذهبا وفضة وياقوتا ودرا لكل قصر الف مصراع ووصيف بابواب واغلاق * (واخري) اي ولكم ونعمة اخري اوو يوتكم نعمة اخري * (تحبونها) نعت اخري وقدر بعضهم خصلة اخري وقال الاخفش اخري عطف على تجارة ورد بان هذه ثمن لا مداول عليها وفي قوله تحبونها توبيخ وتعريض بانهم يوثرون العاجل على الاجل وبين الاخري بقوله * (نصر من الله) اي هي نصر اوبدل من اخري اوبيان لجوازه في النكرة علي الصحيح والنصر على قريش وجميع الكفار * (وفتح) فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم * (قريب) عاجل وقري بنصب نصروفتح قريب على بداية نصراو بيانيته من اخري، ان جعلنا اخري منصوبا اوعلى المفعولية اي اعنى اوالمصدرية اي تنصرون نصرا ويفتح عليكم فتحا * (وبشر المومنين) عطف على تومنون اوتجاهدون لان المعني امنوا وجاهدوا اواستيناف اى بشرهم بالنصر ودخول الجنة * (يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله) لدين الله ونبيه اي بعض ناصريه وقراء غير نافع وابن كثير وابى عمرو بالاضافة وقراء ابن مسعود كونوا انتم انصار الله * (كما قال عيسي بن مريم للحواريين من انصاري) وقري بالاسكان * (الى الله قال الحواريون نحن انصار الله) والحواريون الاصفياء وهم اول من امن بعيسي وكانوا اثني عشر من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب

اي يبيضونها وفي الحديث ان لكل نبي حواري وحواري ابوبكر وعمر وسعد وعثمان ابن مظعون ووجه التشبيه ان المراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال من انصاري الى الله ومعنى من انصاري الي الله من جندى متوجها الى نصرة الله عز وعلا ليطابق جوابهم وهو قوله نحن انصار الله وليس معناه من ينصرني مع الله لانه لايطابق الجواب وبدليل قراءة بعضهم من انصار الله ومعنى من أنصاري من يختص بي ويكون معي في نصر الله فالاضافة اضافة احد المتشاركين للاخر ومعني نحن انصار الله نحن الذي ينصرون الله فاضافته اضافة الوصف المجموع الى مفعوله وقيل الى لمعني مع * (فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة) بعيسى عليه الصلاة والسلام من امن قال انه عبد الله رفعه الى السماء ومن كفر قال هو ابن الله رفعه اليه وبعض من كفر قال هو الله ارتفع فاقتتلت الطائفتان الكافرتان مع المومنة فغلبتاها حتي بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غلبتها المومنة كما قال * (فايدنا) قويتا (الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) غالبين بغلبت محمد من زاغ منهم وقيل هذه الغلبت عقب رفع عيسى وقال زيد بن علي اصبحت حجة من امن به ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته وعبده والاصباح الصيرورة وقال ابن عباس قاتلوا ليلا فاصبحوا ظاهرين عليهم اللهم بحق السورة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم علينا وبركتها اخز النصارى واكسر شوكتهم واهنهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة الجمعة

وهي مدنية على الصحيح لما روى ان ابا هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزلت عليه سورة الجمعة واسلامه بعد الهجرة بمدة وقوله يا ايها الذين هادوا خطاب لليهود وكانوا بالمدينة واخر السورة في التقاضهم حال الخطبة لما قدمت العير من الشام وهي مدنية كلها وايها احدى عشرة كلمة مائة وثمانون وحروفها سبعمائة وعشرون وفي الحديث من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها في امصار المسلمين ومن لازم قراءتها امن من وسوسة الشيطان *

بسم الله الرحمن الرحيم *

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) فصل بين النعت والمنعوت بالفاعل وقري برفع الملك وما بعده على القطع مدحا * (هو الذى بعث في الاميين) اي في العرب لان اكثرهم لايكتبون ولا يقرءون وقيل الامي هو الذى على ماخلق عليه كانه منسوب الى امه وقيل الاميون الذين لاكتاب لهم وهم العرب وقد كانوا يخطون بايديهم * (رسولا منهم) من انفسهم وجنسهم يعلمون نسبه وقيل امينا مثلهم وقد قيل ان الاميين نسب الى امة العرب لانهم لايكتبون ولا يقرون من بين الامم قيل بدات الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واخذوها اهل الحيرة من اهل الانبار وجاء في حديث شعيب اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقد وصف في كتب الانبياء صلى الله وسلم عليهم بانه امي وهو مشاكل لحال قومه وذلك اقرب صدقه لئلا يتوهم انه يكتب مايقول عن غيره او يقراه من كتاب وقراء في الاميين بحذف ياء النسب * (يتلو عليهم اياته) القران وقيل

مابين رسالته وقبل الحلال والحرام * (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك
وخبائث الجاهلية * (ويعلمهم الكتاب) القران * (والحكمة) السنة
والشريعة * (وان) مخففة بدليل لام الفرق في خبركان * (كانوا
من قبل) اي من قبل مجيئه بالكتاب والحكمة (لفي ضلال مبين)
من الشرك والاعمال والاقوال القبيحة لم يكن فيهم من يعلم الحق الاماجاء به
صلى الله عليه وسلم غير متقدم عليه فهم شدبدوا الاحتياج الى ارشاد *
(واخرين) معطوف على الاميين اي بعثه في الاميين الذين على
عهده وفي اخرين * (منهم) من الاميين * (لما يلحقوا بهم) لما
يتصلوا بهم وسيلحقون وهم التابعون وقيل كل تابع باحسان الى يوم الدين
وفي ذلك بيان لفضل الصحابة على غيرهم ان قلنا ان السبق في الفضل
وكل قرن خيرممن بعده وقيل لما نزلت قيل من هم يارسول الله فوضع
يده على سلمان ثم قال لوكان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هولاء
وفي رواية مسلم والبخاري اخذ بيد سلمان وقال لوكان الدين في الثريا
لنالله رجال من هولاء وقال ايضا عن ابي هريرة كنا جلوسا عند النبي صلي
الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها ولما بلغ واخرين قال له
رجل يارسول الله من هولاء الذين لم يلحقوا بنا ولم يكلمه حتى سأله ثلاثا
وقال سلمان الفارسي فينا فوضع صلي الله عليه وسلم يده عليه وقال والذى
نفسي بيده لوكان الايمان بالثريا لنالله رجال من هولاء وقال مجاهد اراد
العجم وحكي عن ابي هريرة اراد فارسا وعن ابن زيد ومجاهد والضحاك
اراد جميع طوائف العرب وغيرهم واذا لم يخصص بابناء العرب فالمراد
انهم منهم في الايمان سواء كانوا منهم في العربية ايضا ام لا ويجوز عطف
اخرين على الهاء في يعلمهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم وتعليمه يعمان

الجميع

الجميع لانهما اذا تناسقا الى اخر الزمان كانهما مستندان الى اوله فكانه المتولي
لكل ماوجد منهما وقيل لما دالة على قرب اللحوق * (وهو العزيز الحكيم)
في تمكينه من ذلك الامر العظيم رجلا اميا واختياره من بين البشر وقيل
الحكيم الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته وفي الحديث عن
الحسن اناسابق العرب وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وصهيب
سابق الروم * (ذلك) الفضل الذي امتاز محمد عن اقرانه *
(فضل الله توتيه من يشاء) هم النبي ومن ذكر معه تفضلا وقيل
الاشارة الى النبوة فيختص بها النبي صلى الله عليه وسلم * (والله ذو
الفضل العظيم) الذي تستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة وهو ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم * (مثل الذين حملوا التوراة) علمهم الله
اياها وكلفهم العمل بها * (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بها ولم ينتفعوا
بمافيها فان فيها نعت رسول الله صلي الله عليه وسلم والبشارة به ولم يومنوا به
وهم اليهود ولما لم يعملوا بها سماهم غير حاملين اوراد بالحمل العمل
وقري حملوا بالتخفيف والبناء للفاعل اي حملوها ثم لم يحملوها اي
لم يعملوا بها * (كمثل الحمار يحمل) حال من الحمار اونعته لان
ال فيه للجنس قاله ابن هشام * (اسفارا) كتبا كبارا من العلم يتعب
بحملها ولا يدري مافيها وكل من علم شيئا ولم يعمل به مما هو فرض
فكانه لم يعلمه وهذا مثله وبئس مثلا فدخل من يقراء القران ولا يعمل به
والمفرد سفر سمي لانه يسفر اي يكشف عما فيه من المعني وقراء ابن
مسعود كمثل حمار ومثل ذلك قول الشاعر

* لعمري مايدري البعير اذا غدا * باوساقه اوراح مافي الغرائر *

(بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله) هم اليهود والمخصوص

محذوف اي ذلك المثل وقيل هو الذين على حذف مضاف اي مثل الذين وقيل هو مثل وفاعل بئس محذوف اي بئس المثل ويرده ان فيه حذف الفاعل كما لا يجوز والاولى حينئذ جعله الفاعل مستترا عائدا الى المثل (والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين والايات القرآن او التوراة لانهم لم يعملوا بها او كلاهما وقيل اراد بالظالمين اليهود * (قل يا ايها الذين هادوا) هادوا يهود اذا تهود * (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) محمد واصحابه (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) قيل نزلت بسبب ان يهود المدينة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا يهود خيبر في امره وذكروا لهم نبوته وقالوا ان رابتم اتباعه اطعناكم وان رايتم خلافه خالفناه معكم فاجابهم اهل خيبر بانا نحن ابناء ابراهيم خليل الرحمن وابناء عزير ابن الله ومنا الانبياء ومتى كانت النبوة في العرب فنحن احق بالنبوة من محمد ولا سبيل الى اتباعه اي ان كنتم من الله بهذه المنزلة من انكم الاولياء والاحباء فتمنوا من الله ان يميتكم وتفارقوا هذه الحياة الخسيسة الى محل الكرامة والولي يوثر الاخرة ومبداءها الموت * (ولا يتمنونه ابدا بما) اي لاجل ما * (قدمت ايديهم) من الكفر والمعاصي وقد مر انه ينسب الى اليد ما ليس عملا لها وتنسب الاعمال الى يد احد مع انه لا يد له مجازا ولا لا تفيد التاكيد بخلاف ان وقد جعل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم هنا معجزة واعلمه ان تمني احدهم الموت في ايام معدودة مات وفارق الدنيا فقال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم موقنون بصدقه لتمنوا ولكن علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما اجترا احد ان يتمنى فعجزوا حركت ولو الخماعة بالضمة تبعا لمحلها وهو الرفع وقرئ بكسرها تشبيها

بلو واستطعنا * (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم * (قل ان الموت الذي تفرون منه) وتخافون ان تتمنوه بالسنتكم مخافة ان يصيبكم فتوخذوا باعمالكم * (فانه ملاقيكم) لا تفوتونه والجملة خبر وقرنت بالفاء لكون ان اسم ان موصولا بالموصول حتى كان فرارهم سبب للحوقه بهم وقد قراء زيد ابن علي باسقاط الفاء ويجوز كون الخبر هو الذي وقراء ابن مسعود قل ان الموت الذي تفرون منه ملاقيكم واذا كان الموصول خبرا فالفاء عاطفة او استينافية * (ثم تردون الى عالم الغيب) السر * (والشهادة) العلانية الرد لبعث ليوم القيمة * (فينبئكم بما كنتم تعملون) ومن لازم التنبئة المجازاة * (يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة) اي لاجلها او اليها وقيل لام التوقيت اي لوقتها * (من يوم) بيان لاذا او بمعنى في * (الجمعة) سمي لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسمية العروبة وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع الناس فيه اليه وقيل سماه اهل المدينة قبل الهجرة اختاروه ليذكروا الله فيه ويصلوا لما راوا اليهود يجتمعون في السبت والنصاري في الاحد وقيل سمي لان الله جمع فيه بين خلق ادم وقيل لاقضاء خلق المخلوقات فيه فاجتمعت في الوجود وقيل معناه يوم الفرح المجموع وقرئ باسكان الميم وفتحها والمراد النداء عند قعود الامام على المنبر للخطبة وكان يوذن بلال عند قعوده صلى الله عليه وسلم على المنبر ولما كثر الناس في زمان عثمان زاد نداء اخر في الزوراء وهي موضع قرب المسجد عند سوق المدينة قيل كان منزلا كالمنارة وقيل لما تباعدت المنازل وكثر الناس زاد موذنا اخر ولما الاذان الاول فجعله على داره المسماة بالزوراء فاذا جلس على المنبر اذن الثاني واذا نزل اقام الصلاة ولم يعيدوا

ذلك عليه وقيل لما اراد كعب المذكور يوما للذكر والصلاة وجعلوه
يوم العروبة اجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه
يوم الجمعة وهي اول جمعة في الاسلام وكان كعب ابن مالك اذا سمع
النداء يوم الجمعة ترحم لسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يوما
لم تترحم له اذا سمعت نداء الجمعة فقال لانه اول من جمع بنا في هذا البيت
في موضع يسمى نقيع الخضمات فقال له كم كنتم يومئذ قال اربعون
واول جمعة جمعها صلى الله عليه وسلم انه لما نزل قباء مهاجرا على بني عمرو
بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس
مسجدهم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة
في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة ونزوله قبا
يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى (فاسعوا
الى ذكر الله) امضوا اليه مسرعين فان السعي دون العدو وفوق
المشي والذكر الخطبة عند سعيد بن المسيب وفي الحديث اذا كان يوم
الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول
فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر وقيل
الذكر الخطبة والصلاة وقيل الصلاة وهو المشهور قال ابو حنيفة ان
اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله او سبحان الله
او الله اكبر جاز لتسمية الله الخطبة ذكرا وصعد عثمان المنبر فقال الحمد لله
وارتج عليه فقال ان ابابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام
فعال احوج الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وذلك بحضرة الصحابة
ولم ينكر عليه احد والمشهور ان اقل ما يجزي في خطبة الجمعة وغيرها
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين

وصلى

وصلى الله على سيدنا محمد والهِ وصحبهِ وعن احمد وابي يوسف والشافعي
لابد من كلام يسمى خطبة وما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليهِ وسلم
والثناء عليه وعلى خلفائهِ الراشدين والانقياء والموعظة والذكر في حكم
ذكر الله واما ذكر الظلمة والثناء عليهم والدعاء لهم فلا يجوز وهو بعيد من
ذكر الله وعن بعض ان السعي هنا المبادرة وقيل المراد المشي فقط
وقيل السعي بالنية والعمل من وضوء وغسل ومشي ولبس ثوب كل
ذلك سعي قال مالك انما تؤتى الصلاة بالسكينة وفي الحديث في الصلاة
لاتاتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينة ويدل على ان المراد بالسعي
المضي قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير
وجماعة من التابعين فامضوا الى ذكر الله وعن ابن مسعود لو قرات فاسعوا
لاسرعت حتى يقع ردائي وسمع عمر قاريا فاسعوا فقال من اقرأك هذا
قال ابي بن كعب فقال لايزال يقراء بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت
حتى يسقط ردائي وسمع ابن عمر الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد
بن الحسن وهو لاباس به مالم يجهد نفسه والخطبة فرض وبها تنعقد الجمعة
عند الجمهور وقال داود الظاهري مستحبة وعن علي اما والله ماهو بالسعي
على الاقدام ولكن بالنية والخشوع والوقار وعنه صلى الله عليه وسلم اذا
سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولاتسرعوا فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا (وذروا البيع) اتركوه وهو شامل للشراء حقيقة او مجازا وعلى
الاول ففيه استعمال اللفظ في معنييه الحقيقيين وعلى الثاني فيه استعمال
اللفظ في حقيقته ومجازه والواضح عندي ان المراد البيع بمعنى اتركوا عقده
فهو نهي ايضا عن الشراء لانه ينعقد بالشراء وايضا اذا حرم البيع حرم
الشراء لانه اعانة على المحرم ويحرم اذا كان الاذن الثاني وقبل الاول وهو

الواضح وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك عند الزوال والصحيح
انه ان وقع ثبت وعصي المتبايعان لانه لم يحرم لعينه بل لما فيه عن
الاشتغال عن الواجب وقد صحت صلاة الغاصب في الارض المغصوبة
وبالثوب المغصوب على قول ولا يصح الوضوء بالماء المغصوب خلافا
لبعض وقيل ان وقع فسد وامر بترك كل مايشغل ولكن خص البيع
لاجتماع الناس الى المصر واغتصاص الاسواق بهم عند دنو الزوال
وبتكاثر البيع والشراء وقد منع بعضهم السفر بعد الزوال حتي يصلي الجمعة
واجازه اصحاب الراي ان كان يفارق البلد قبل خروج الوقت وكره ايضا إن
قبل الزوال الا ان كان لطاعة ومنع بعضهم السفر بعد طلوع الفجر حتى
يصليها والصحيح الجواز بدليل انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله
بن رواحة في غزوة يوم الجمعة ولما صلى راه فقال ما منعك
ان تغزو قال اريد ان اصلي معك فالحقهم فقال لو انفقت
ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غزوتهم وان عمر رأي رجلا عليه
اهبة السفر يقول لولا ان اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان
الجمعة لا تحبس عن سفر ولا يجب ترك البيع على من لا تجب عليه الجمعة
على التحقيق كالمريض والحائض والنفساء والخائف ولا تجب اذا كانت
الارض تزلق وقيل اذا ابتلت وكذا الجماعة في سائر الصلوات كما في
الحديث وقد خطب ابن عباس وامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة
ان يقول الصلاة في الرحال فنظر بعض الي بعض انكروا ذلك فقال
كانكم انكرتم قد فعله من هو خير مني اه وهو النبي صلي الله عليه وسلم ولا تجب
على مملوك وامراة وتجب في الامصار السبعة ولو مع جائر وتجب حيث كان
الامام العدل ولا تجب على مسافر وتجب على من سمع النداء وتجب على

المكاتب

المكاتب لانه حر عندنا وقد قال بعض من قال انه عبد ما بقي عليه درهم
انها تجب عليه وقولان عن احمد في العبد بل روايتان عنه ولا جمعة على
من لا يسمع نداءها الا ان كان المؤذن غير جهور او منع الريح او الاصوات
من السماع وعن سعيد بن المسيب تجب على من اواه المبيت وعن الزهري
تجب على من كان ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك
والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل نواحي القرية وتنعقد
باربعين فصاعدا ان كانوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يضعنون
عنه شتاء ولا صيفا الا ضعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون
فيهم وال ولم يشترطه الشافعي وتنعقد باربعة عند ابي حنيفه بشرط الولي
وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن
تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا
يكمل العدد بن لا تجب عليه وتصح في موضعين في البلد اذا كثر الناس
وضاق الجامع عند احمد لا عند الشافعي ومالك وابي يوسف ولا جمعة عند
ابي حنيفة الا في مصر جامع وهو الذي اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه
الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه وفي الحديث اربع الى الولاة الفيء
والصدقات والحدود والجماعة وان اجتمع ناس على واحد بلا اذن
الامام فصلي بهم جاز عند بعض ولا تجب على الأعمى ولا على الشيخ الذي
لا يقدر * (ذلكم) السعي الى ذكر الله * (خير لكم) من المعاملة
بالبيع والشراء وما يشغل لان نفع الاخرة خير وابقى * (ان كنتم
تعلمون) الخير والشر او كنتم من اهل العلم وعنه صلي الله عليه وسلم
من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر كتب من المنافقين وعن ابن عباس
من تركها اربعا من غير عذر طبع الله على قلبه قيل ابطل الله قول اليهود

في ثلاث افتخروا انهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم بقوله فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وافتخروا انهم اهل كتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم
بالحمار يحمل اسفارا وافتخروا بالسبت فشرع الله فيهم الجمعة وعنه
صلي الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعه
وهو عند الله يوم المزيد وقال اتاني جبرائل وفي كفه مراءة بيضاء وقال
هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك
وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الاخرة يوم المزيد وقال ان لله
في كل جمعه ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من
البلد ان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله
عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر
وقال اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم
صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول وكانت الطرق
في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبتكرين الى الجمعة
يمشون بالسرج وقيل اول بدعه احدثت ترك البكور الى الجمعة وبكر
ابن مسعود فراى ثلاثة سبقوه فاغتم وعاتب نفسه وقال اراك رابع اربعة
ومارابع اربعة بسعيد وقال صلي الله عليه وسلم يبعث الله الايام على هيئاتها
ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها محفون بها كالعروس تهدي
الي كريمها تضيء لهم يمشون في ضوءها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم
يسطع كالمسك يخوضون جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان
ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم الا لوذ ذنون المحتسبون وقال
صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي فهو

يسال الله شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها وفي روايات اسقاط قيد
الصلاة ذكر ابوهريرة ذلك لكعب فقال كعب ذلك في كل سنة فقال
ابوهريرة في كل جمعه فقراه كعب التوراة وقال صدق رسول الله صلي الله
عليه وسلم التقى كعب معه في الطور فهو يحدثه عن التوراة وابوهريرة يحدثه
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان مما حدث به كعبا مما رانه يقع في
يوم الجمعة او وقع وقال ايضا له انه تيب على ادم فيه وانه مات فيه
ومامن دابة الا مصخية حين تصبح حتي تطلع الشمس شفقا من الساعة الا
الجن والانس وصدقه كعب والقي عبد الله بن سلام فحدثه بمجلسه مع كعب
وما قالا قال عبد الله قد علمت ساعة الاجابة فيها فقال اخبرني ولا تكتمن عني
اولا تضن علي قال هي اخر ساعة فقال كيف وقد قال صلى الله عليه
وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي الخ وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال
عبد الله الم يقل من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في الصلاة
حتى يصليها فقال بلى وفي الحديث عنه صلي الله عليه وسلم من اغتسل يوم
الجمعة غسل الجنابة اي كغسلها ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب
بدنة ومن راح في الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الثالثة فكانما قرب
كبشا ومن راح في الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الخامسة فكانما
قرب بيضة وقال صلى الله عليه وسلم من توضيء يوم الجمعة فاحسن الوضوء
ثم جاء واستمع وانصت غفر له مابينها وبين الجمعة الاخرى وزيادة
ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغي ومس الحصي فقد لغي ومن قال
انصت فقد لغي ومس الحصى لغوا اذا مسه على جهة العبث به ولا يجب لها
الغسل ولكنه افضل الامن لزمه لنحو جنابة وقال من غسل لها غفر له ومن
اغبرت قدماه في سبيل الله غفر له وقال لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر

ويطهر مااستطاع ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ماكتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له ما بينها وبين الاخرى وقال من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشي ولم يركب ودنى من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها قول مكحول معنى غسل واغتسل غسل راسه وجسده وقال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين والودع الترك وفيه دليل على وجود مصدر ادع وورد عنه انه اهتم ان يامر من يصلي الجماعة في ساير الايام والجمعة ويتخلف يحرق بيوت من لا يحضرها ومسائل الجمعة كثيرة مذكورة في الايضاح والقناطير وغيرهما * (فاذا قضيت الصلاة) اديت * (فانتشروا في الارض) تفرقوا فيها * (وابتغوا) اطلبوا * (من فضل الله) من رزقه وذلك اطلاق بعد حصر ولا يخفى انه اباحة بعد منع واراد الطالب مع التلبس بذكر الله وليس الانتشار والابتغاء واجبين وان قعد في المسجد فافضل وانما الاية مثل اذا حللتم فاصطادوا فانهم ان لم يصطادوا فلا باس وقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وقوله والمتعلقات متاع الا التي تطلق قبل الدخول فلها المتعة فرضا وكان بعضهم اذا صلى الجمعة انصرف الى باب المسجد فقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وعن ابن عباس وانس ابتغاء الفضل عنا عيادة المريض وحضور الجنازة وزيارة اخ في الله وفي وهذا ينبغي ان يكون المرء بقية يومه وقال الحسن وسعيد بن المسيب ومكحول الفضل المبتغي العلم فينبغي طلبه بعد صلاة الجمعة وقيل صلاة النافلة وكان بعض السلف لا يشغل

نفسه بعد صلاة الجمعة بشيء من الدنيا عملا بالاية * (واذكروا الله كثيرا) في جميع احوالكم الا حال قضاء الحاجة ونحوه ولا تنقضوا الذكر بالصلاة وذلك ذكر باللسان ولكن لا يعتد به ما لم يحضر القلب وقيل ذكره طاعته ولا يكون قيل احد ذاكرا الله كثيرا الا ان ذكره قائما وقاعدا ومضطجعا وعن معاذ بن جبل ما شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله * (لعلكم تفلحون) تفوزون بخير الدنيا والاخرة وروي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة الكلبي وهو الذي يجي جبريل على صورته وكان اذذاك مشركا ثم اسلم بعد بتجارة من الشام زيت ودقيق وبر وغير ذلك من الطعام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة وكان اذا جاء ضرب الطبل ايذانا بقدومه فيجيء الناس للبيع منه وذلك في احجار الزيت وهو مكان وفي سوق المدينة وبه ينزل ولا تبقى عاتق فضلا عن غيرها الا لتسه الاحتياج ولروءية وجهه ولما راوه بالبقيع وقيل لما سمعوا الطبل قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الاثمانية فيهم ابو بكر وعمر وقيل احد عشر وقيل اثني عشر رجلا وامراة وقيل اربعون فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لضرم الله عليهم الوادي نارا ورى لوتبا بعتم لاحاط بكم الوادى نارا وروى لوتتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادى نارا وقال اولا هولاء لسومت لهم الحجارة من السماء وكان فيمن بقي جابر بن عبد الله وعمار بن ياسر وبلال وابن مسعود وعثمان وعلي وطلحة والزبير وغيرهم فنزل * (واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا) ذهبوا وتفرقوا عنك * (اليها) والاصل اولهو انفضوا اليه فحذف للدلالة وقري انفضوا اليه فالاصل واذا رأوا تجارة انفضوا اليها وحذف للدلالة

وقري انفضوا اليها والافراد عند اوالى والتجارة غير دحية واللهو الطبل والتصفيق كانوا يتلقون العير بالطبل والتصفيق والصياح والمعازف سرورا وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير وقيل اللهو النظر الى وجهه وقيل كان سودان يلعبون بالمدينة فلوا اللهو وقيل اعاد الضمير للتجارة وحدها لانها اهم وهي كانت سبب اللهو وعطف اللهو للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل وروبة دحية اوالمد لالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اقبح * (وتركوك قايما) على المنبر تخطب للجمعة وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم يخطب قايما كما سئل ابن مسعود آكان صلى الله عليه وسلم يخطب قايما وقاعدا فقال اوما تقرءون وتركوك قايما وكذلك يجب ان نفعل لكن نفصل بجلسة ولا باس بتركها وروي انه صلى الله عليه وسلم يجلسها رواه ابن عمر وجابر بن سمرة قال يقرء القران ويذكر الناس ومن حدثك انه يخطب جالسا فقد كذب ودخل كعب بن عجرة المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب جالسا وقد قال الله وتركوك قايما ولم يشترط ابو حنيفة واحمد القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة في احد قولي الشافعي واقل الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بالتقوى ويجب ان يقراء قبل ان يجلس اية ويدعو للمومنين بعده وان ترك بعض ذلك لم تتم جمعته عند الشافعي قال جابر بن سمرة كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا وقال صلى الله عليه وسلم كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء وكل كلام لا يبداء فيه بالحمد لله فهو اجذم وعن جابر بن عبد الله كان صلى الله عليه وسلم يحمد

ويثني في الخطبة ثم يعلو صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر بجيش يصبح اويمسي ويقول بعثت انا والساعة كهاتين يفرق بين السبابة والوسطي ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا اوضياعا فالي وعلي وعن ابن مسعود كان اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا ويسن للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس ويسلم عليهم عند الشافعي خلافا لابي حنيفة ومالك في التسليم ويحرم الكلام على مستمع الخطبة دون الخطيب على ما صححوا واذا دخل والامام يخطب صلى تحية المسجد عنده خلافا لابي حنيفة ومالك ولغا من قال لصاحبه انصت ولكن بشير وحصب ابن عمر رجلين يتحدثان والامام يخطب ان اسكتا والحصب الضرب بالحصباء وان مفسرة وكان صلى الله عليه وسلم اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا وروي ومن يعصهما فقد غوى ونسئل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه اناخن به وله قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وان نفر الناس عن الامام فان بقي وحده اوفي اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة يستانف الظهر اربعا ان نفروا قبل الركوع وقال صاحباه اذا كبر وهم معه مضي فيها وقال زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت وهي ركعتان يجهر فيها بالفاتحة وسورة وكان صلى الله عليه وسلم

وابوهريرة وعلي يقرءون سورة الجمعة في الاولى وسورة المنافقين في الثانية وكان ابوهريرة خليفة في المدينة عن مروان عند سفره الى مكة وعن النعمان بن بشير كان صلى الله عليه وسلم يقراء في العيدين وفي الجمعة بسورة الاعلى والغاشية ووقتها الزوال قيل وكانت الخطبة بعد الصلاة ثم حولت قبلها ووقتها ممتد الى وقت العصر فاذا دخل العصر صلوا اربعا ولا يبتدي الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعي فلو نقص واحد قبل الدخول في الصلاة صلوا اربعا واصح اقوال الشافعي فيما قبل ان الاربعين شرط الى اخر الصلاة ولو نقص واحد قبل التسليم صلوا اربعا وقيل ان بقي معه اثنان اتموها جمعة وان ادرك المسبوق اقل من ركعة اتم اربعا وان ادرك ركعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة وقال المزني ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعه ولووحده وان كان في الاولي اتمها اربعا وان نقص من العدد واحد ونسب لابي حنيفة * (قل ما عند الله) من ثواب الصلاة والثبات مع النبي صلي الله عليه وسلم * (خير من اللهو ومن التجارة) في نفسه وتخليده وتحقيقه بخلاف اللهو والتجارة * (والله خير الرازقين) كل من ينفق على احد فهو رازق اى منفق من رزق الله سبحانه والله خير من يرزق فعليه توكلوا ومنه اطلبوا اللهم ببركة نبيك سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبركة السورة اخزي النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلي الله على سيدنا محمد الهِ واصحبه وسلم *

سورة المنافقين

مدنية

مدنية ايها احدي عشرة وكلها مائة وثمانون وحروفها ستمائة وسبعون وفي الحديث من قراء سورة المنافقين بريء من النفاق وتقراء على الرمد والاوجاع الباطنه والدماميل تزول باذن الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم *

(اذا جاءك المنافقون) عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) بالسنتنا وقلوبنا * (والله يعلم انك لرسوله) حقا * (والله يشهد) يعلم * (ان المنافقين لكاذبون) لانهم وان قالوا بالسنتهم انك لرسول الله لم يعتقدوا رسالتك في قلوبهم والشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق الله المشهود به وكذب الشاهدين في ادعائهم مواطاة قلوبهم لالسنتهم لان القلب اذا خلا عن المواطاة للسان لم تكن شهادة الحقيقة فهم كاذبون في تسمية ذلك شهادة وقال والله يعلم انك لرسوله اتلا بوهم قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ان ادعاء الرسالة كذب وانه صلى الله عليه وسلم غير رسول فان نفس الرسالة صحيح ونفس اعتقادها صحيح والكذب انما جاء من حيث لم تواطي قلوبهم السنتهم اوادوا الله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه وقيل قالوا اذا لقينا المشركين شهدنا عندهم انك رسول الله والكذب عند الجمهور عدم مطابقة الخبر للواقع ولو طابق الاعتقاد وقال النظام عدم مطابقة الاعتقاد للخبر واوكان اعتقاده خطاء مستدلا بالاية فانه سبحانه اطلق عليهم انهم كاذبون في قولهم انك رسول الله مع مطابقته للواقع وهو انه رسوله حيث خالف خبرهم معتقدهم الذي هو انه غير

رسول وردبان المراد كاذبون في ادعائهم انا نشهد نقلوبنا كالسنتنا انه رسول
وما قيل ان الكذب راجع الى نشهد وانه خبر غير مطابق للواقع ليس
بشيء لظهور انه ليس بخبر بل انشاء والانشاء لا يوصف بالصدق او الكذب
الان قلنا انهم قالوا نشهد برسالتك عند المشركين كلما لقيناهم كما
اشار اليه الشيخ هود رحمه الله فانه صح انه خبر ويمكن رد استدلال
النظام ايضا بان المراد كاذبون في تسميتها شهادة لعدم مواطاة القلب
كما ذكره جار الله وكما مر ورده السعد بان مثل هذا يكون غلطا في
اطلاق اللفظ لا كذبا الا ان تسمية شيء ليست اخبارا ولو سلم فاشتراط
المواطاة في مطلق الشهادة ممنوع انتهى قلت لانسلم ان ذلك غلط
لانهم قالوه قصدا لاسبق لسان ولا نسلم ان تلك التسمية ليست خبرا بل
خبر لان مضمونها بحسب اللفظ انك رسول الله في نطقنا واعتقادنا
وليست هذه مطلق شهادة حتى لا يشترط فيها مواطاة الاعتقاد بل
شهادة عما في القلب في زعمهم بشهادة ان واللام والجملة الاسمية
ويمكن رد استدلال النظام ايضا بان المراد كاذبون في ادعاء مواطاة
قلوبهم وبان المراد كاذبون في زعمهم انهم لم يقولوا لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا وبسط ذلك في المعاني * (اتخذوا ايمانهم)
جمع يمين وهي الحلف واراد ايمانهم الكاذبة انا لم نقل لا تنفقوا وانا لم نقل
لئن رجعنا او اراد قولهم نشهد انك لرسول الله فان الشهادة تجري مجرى
الحلف فيما يرادبه من التوكيد كالعزم وبه استشهد ابو حنيفة على ان
اشهد يمين وقراء الحسن ايمانهم بكسر الهمزة مصدر امن اي ما اظهروه
بالسنتهم من التصديق ويعضده ذلك بانهم امنوا ثم كفروا * (جنة)
سترة عن اموالهم ودمائهم * (فصدوا) اعرضوا * (عن

سبيل

سبيل الله) اي دينه او صدوا الناس اي منعوهم عن سبيل الله
من الايمان والطاعة والجهاد * (انهم ساء) مبالغة ذم وتعجيب *
(ما كانوا يعملون) من نفاق وصد الناس عن السبيل وصدودهم *
(ذلك) اي قولنا ساء ما كانوا يعملون او ما ذكر من النفاق والكذب
والصد والاستحقار بالايمان * (بانهم) اي بسبب انهم * (امنوا) نطقا
لا اعتقادا * (ثم كفروا) اي ظهر كفرهم بما اطلع عليه من قولهم ان كان
ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان
تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات اوداموا على كفرهم في قلوبهم او امنوا
ظاهرا عند المومنين وكفروا اي اظهروا الكفر عند المشركين او امنوا اذا
رأوا اية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم اي المشركين شبهة او المراد
اهل الردة * (فطبع) ختم وقراءة زيد بن علي فطبع الله * (على قلوبهم)
فاستحكموا في الكفر * (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان
وصحته ولا يتدبرون القران * (واذا رايتهم تعجبك اجسامهم) لجمالها
(وان يقولوا تسمع) وقرئ يسمع بالتحتية والبناء للمفعول والخطاب
في الاولى النبي ومن يمكن * (لقولهم) لفصاحته فتحسب انه صدق قال
ابن عباس وغيره كان عبد الله بن ابي بن سلول جسيما جميلا فصيحا وقوم
من المنافقين في صفته وهم رؤساء المدينة يحضرون مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويستندن فيه ولهم جهارة المنظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله
عليه وسلم ومن حضر مجلسه يعجبون بهيأتهم ويسمعون الى كلامهم وكان عبد
الله لذكورهم المنافقين واطولهم ولم يوجد قميص يكسو العباس الا قميصه
* (كانهم) من عظم اجسامهم وهم مستندون وخلوهم عن الايمان
والبحث عنه * (خشب) وقرأ ابو عمرو والكسائي قيل وابن كثير

بسكون الشين تخفيفا او جمع خشبة بضم الخاء وسكون الشين وقرى خشب بفتح الخاء واسكان الشين جمع خشبة كذلك وقراء ابن عباس بكسر فاء واسكان جمع خشة كذلك (مسندة) شبههم بالخشب المسندة لانها لا منفعة فيها بخلاف ما لو كانت في سقف اوجدار او نحوهما وقيل الخشب جمع خشباء كحمراء وحمر وهي التي جلا جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد باطنهم ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم فهم اجسام بلا احلام والجملة مستانفة اوخبر لمحذوف مستانف اي هم كانهم الى الخ اوحال * من هاء قولهم * (يحسبون كل صيحة) كداء في العسكر وانشاد ضالة وصوت لنفار دابة * (عليهم) مفعول ثاني وبه تم الكلام اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم لجبنهم وخبث افعالهم واقوالهم فضح الله ما اسروه من الخوف وقيل كانوا يتوقعون ان يومر النبي بقتلهم وكانوا على وجل ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم فاذا اخبروا بنزول وحي طارت عقولهم حتى يعلموا انه في غيرهم * (هم) اي المنافقون * (العدو) اي الكاملون في العداوة لقولك زيد الرجل قال للكمال لان اعدى الاعداء العدو المكاشر والجملة مستانفة * (فاحذرهم) لا تامنهم وهم عيون لاعداك ينقلون اليهم احوالك ولا يغررك ظاهرهم ويجوز ان يتعلق عليهم بيحسبون وهم العدو مفعول ثان والضمير لكل او الصيحة ولم يقل هو اوهي نظرا للخبر او يقدر مضاف اولا اي يحسبون اهل كل صيحة هم العدو لكن قوله فاحذرهم يدل على ان الضمير في قوله هم العدو للمنافقين لا لاصحاب الصيحة الا ان يقال فاحذرهم ترتيب على كونهم يحسبون كل صيحة عليهم لانهم يحسبونها عليهم لكونهم قد عملوا في السر بالعداوة * (قاتلهم الله) ذم لهم

ولعن على صورة الدعاء اي انهم اهل للخزي والهلاك او تعليم للمومنين ان يدعوا عليهم بذلك ولا يظهر عندي ان يقال انه طلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم وقال جار الله والقاضي انه طلب من ذاته ذلك * (انى يوفكون) كيف يصرفون عن الايمان مع سطوع البراهين انكار لحقيقة الصرف وابعادها وتعجيب من جهلهم وضلالتهم ومن كتب واذا رايتهم الى يوفكون وعلقها اوقراها على تراب طاهر لم يطاه احد ويرش في وجه العدو من حيث لا يدرى خرس عنه وكف اذاه * واذا قيل لهم تعالوا يستغفر) مجزوم في جواب الامر * (لكم رسول الله لووا) جواب اذا والواو الاولى المفتوحة عين الكلمة ولامها ياء منقلبة الفا محذوفة والواو الثانية الساكنة سكونا حيا واو الجماعة وشدد غير نافع قيل وغير عاصم الواو الاولى للتكثير والمراد الامالة والاعراض عن الاستغفار استكبارا * (رؤسهم ورايتهم يصدون) اي يعرضون عن ذلك * (وهم) مفتوحة * (مستكبرون) عن الاعتذار * (سواء عليهم استغفرت لهم) باشباع ميم عليهم كميم لهم لان همزة استغفرت همزة قطع ثابتة وهي الاستفهام في الاصل وهمزة الوصل مكسورة محذوفة واشبع ابو جعفر فتح الهمز للاظهار والبيان لا تقلب همزة الوصل الفا كقلبها في آلله وقرىء بضم الميم بلا اشباع مع حذف همزة الاستفهام لدلالة ام عليها * (ام لم تستغفر لهم) لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به رسوخا في الكفر ولانهم شقات في الازل * (ان يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) فسق شرك او فسق نفاق والفاسق الخارج خرجوا عن الحق والمراد العموم او هولاء المنافقون فوضع الظاهر موضع الضمير ذمالهم باسم الفسق زعم بعض هذه الاية ناسخة لقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روى انه قال لو علمت انى

لوزدت على السبعين لغفرلهم لزدت وقيل قال لما والله لاستغفرن لهم مالم انه وقيل قال والله لازيدن على السبعين قيل وفي الحديث دليل على رفض دليل الخطاب والله اعلم روي ن بنى المصطلق اجتمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم وقايدهم الحارث بن ابي ضرار وهو ابوجويرية زوجة النبي صلي الله عليه وسلم فخرج اليهم فالتقيهم على ماء لهم يسمي المريسع من ناحية قديد الى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم ونقل صلي الله عليه وسلم انباءهم ونساءهم واموالهم فيئاً رده عليهم فبينما الناس اذوردت واردة على ذلك الماء فيهم عمر بن الخطاب معه اجير من غفار يقود فرسه اسمه جهجاه بن سعيد فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني الانصاري حليف بني عوف بن الخزرج فهو حليف لعبد الله بن ابى على الماء فاقتتلا فنادي جهجاه يا للمهاجرين ونادي سنان يا للانصار واعان جهجاها رجل من المهاجرين فقير يقال له جعال ولطم سنانا فاشتكى سنان لعبد الله اوكان ببصر فقال عبد الله لجعال وانك لهناك اى انك بهذه المنزلة من ضرب سنان قال ذلك ازدراء به فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك وشدد لسانه على عبد الله ومع عبد الله رهط من قومه فقال عبد الله غضبانا ما صحبنا محمدا الا لنلطم وقيل ان جهجاها ضرب سنانا بخشبة على راسه وقال عبد الله فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يا كلك اخرجوهم الى عشائرهم والحقوا محمدا بقريش لايتملك علينا ونملك علينا رجلا من انفسنا هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتي ينفضوا من حول محمد كما قال عز وجل * (هم) اي عبد الله ومن

تبعه * (الذين يقولون) لاصحابهم من الانصار (لاتنفقوا على من عند رسول الله) جهجاه وغيره من فقراء المهاجرين * (حتى ينفضوا) كي يتفرقوا عنه اوحتي للغاية اي فاذا تفرقوا فانفقوا عليهم وقرئ بضم الياء وكسر الفاء وتخفيف الضاد من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم جمع زاد وقبح الله رايهم بقوله * (ولله) لالغيره * (خزائن السموات والارض) فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم وهو المانع المعطي (ولكن المنافقين لايفقهون) ان الامر لله يقول للشيء كن فيكون وروي انه صلى الله عليه وسلم لما نادي جهجاه للمهاجرين ونادي سنان يا للانصار خرج اليهم وقال مابال دعوي الجاهلية فلما اخبروه بالقصة قال دعوها فانها منتنة وقال ايضا عبد الله في جملة كلامه ماحكي الله عنه بقوله * (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بني المصطلق * (الى المدينة ليخرجن الاعز) فاعل * (منها) متعلق بيخرج * (الاذل) مفعول اراد والاعز انفسهم وبالاذل المسلمين وقرئ بفتح الياء وضم الراء فالاذل مفعول مطلق اي خروج الاذل قيل اوحال على زيادة ال وكذا على قراءة البناء للمفعول وقرا الحسن وابن ابي عبلة بنون مضمومة وراء مكسورة ونصب الاعز على المفعولية والاذل على انه مفعول مطلق اى اخراج الاذل اوحال على مامر ويجوز ان يكون حالا هنا وعلى القراءة الثانية بتقدير مضاف عند بعضهم اي مثل الاذل قال ابن هشام وهذا اولى من دعوى زيادة ال واجاز بعضهم تعريف الحال وقبح الله قائلي ذلك وازرابهم بقوله * (ولله العزة) قدم الجار والمتعظيم * (ولرسوله وللمومنين) لا للمشركين والمنافقين يعز الله دينه ورسوله والمومنين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة انها قالت الست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغني الذي لافقر معه

وعن الحسن ان رجلا قال له ان الناس قالوا فيك تيه قال لا بل عزة وتلا الاية وفي الاية انقول بالموجب اذ وقعت صفة في كلام الغير كناية عن شي اثبت له حكم واثبتها المتكلم لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير اونفيه عنه فالغير المنافقون والاعزية صفه وكنوا بالاعز عن فريقهم وفريقهم هو الشي المثبت له حكم والحكم الاخراج والمتكلم الله اثبت العز لغير ذلك الفريق اثبته لنفسه ورسوله والمومنين ولم يتعرض لثبوت الاخراج له ولرسوله والمومنين ولا لنفيه * (ولكن المنافقين لا يعلمون) ذلك ولما قال عبد الله ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد بن ارقم جزاه الله عن الاسلام خيرا وكان شابا انت والله الذليل القليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ومحبة ولا اجيبك ابدا بعد هذه فقال له عبد الله لعنه الله اسكت انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلي الله عليه وسلم وعنده عمر رضي الله عنه فقال دعني اضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهما جر فامر به انصاريا يقتله قال يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل فارتحلوا وذلك في ساعه لم يكن صلي الله عليه وسلم يرتحل فيها فارسل الى عبد الله فاتاه فقال انت قايل ما بلغني فحلف هو وقوم منافقون بالذي انزل عليه الكتاب ان لا وكذبوا زيدا فعذره صلى الله عليه وسلم وكذب زيدا في رواية وروي ان عبد الله لما حلف وقال ما قال قال ما عملت عملا هو ارجي ان ادخل به الجنة من غزوتي هذه معك وروي ان قوما من الانصار قالوا يارسول الله هو شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام لعله وهم وقال صلى الله عليه وسلم ازيد لعلك غضبت

عليه

عليه قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا وثبت الملامة في الانصار زيد وكذبوه وكان معه عمه وقال له ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد بسابر النبي صلى الله عليه وسلم واستحى بعد ذلك ان يدنو منه وكان لا ينصرف في الناس حتى ولما نزل الناس سلم اسيد بن حضير عليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال اوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن ابي فقال وما قال قال يزعم انه ان رجع الي المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد انت والله يارسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت والله العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه يري انك سلبته ملكا ولما بلغ ذلك ابن عبد الله واسمه حباب وسماه صلي الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الله وقال ان حباب اسم شيطان وكان مخلصا قال بلغني انك تريد قتل ابي مرني احمل اليك راسه ولقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني وان قتله غيري لم تدعني نفسي انظر لى قاتله يمشي على الارض فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال صلي الله عليه وسلم نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه وليلته وصدر اليوم حتى اذتهم الشمس فنزل فناموا فعل ذلك ليشغلهم عن حديث عبد الله الكائن بالامس ثم راح بالناس حتي نزل على ماء فوق البقيع اسمه نقعاء فهاجت ليلا ريح شديدة اذتهم وخافوها وظلت ناقته صلي الله عليه وسلم فقال لا تخافوا انما هبت لموت عظيم من الكفار بالمدينة فقيل من هو فقال هو رفاعة بن زيد بن التابوت من اليهود وكان كهفا للمنافقين ذا مال وجاه فقال منافق كيف

اذن لا يعلم مكان ناقته هلا اخبره بها الذي ياتيه بالوحي فاخبره جبريل بقول المنافق وبان ناقته بالشعب تعلق زمامها بشجرة فاذا هي كذلك فجاءوا بها فامن المنافق وحسن ايمانه ولما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بلغ زيد المدينة جلس في بيته حياء وهما فانزل الله السورة في تصديقه وتكذيب عبد الله فبعث الى زيد وضحك في وجهه وقال ان الله صدقك وعرك اذنه فقال وفت اذنك يا غلام وقيل كان ذلك قبل بلوغ المدينة روي ان تصديقه نزل في السفر حال الرجوع بين ما يسير نزل عليه عذر زيد فتخلل الناس حتى لحقه وعرك اذنه وصدقه ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة تعرض له ابنه وقال ورائك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل ولم يزل حبيسا في يده حتى امره صلى الله عليه بتخليته وروي انه قال له لان لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسول الله خيرا وقال ايضا لا تنقلب الى المدينة حتى تقر انك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز فاقر وروى ايضا انه اناخ على مجامع طرق المدينة وجرد سيفه فجاء ابوه فقال له ورائك قال ويلك مالك قال لا والله لا تدخلها ابدا الا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلمن ان اليوم من الاعز من الاذل فشكاه الى النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه ان دعه يدخل فقال اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم ولما بان كذبه اخزي وقيل له اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فانه نزلت فيك آي شداد فلوى راسه كما قال الله سبحانه وقال امرتموني ان اومن فامنت وان ازكي

مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم ولبث اياما قلائل فاشتكى فمات وقال جابر بن عبد الله كان في المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصار وتداعي الانصاري يا للانصار والمهاجر يا للمهاجرين فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم من رحله فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجر للانصاري فقال دعوها فانها خبيثة فقال عبد الله لان رجعنا الى المدينة وما تقدم وقيل كان ذلك كله في غزوة تبوك لا في غزوة المصطلق * (يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها ومحبتها عن العبادة كالصلاة والقران وغيرها نفلا وفرضا ولا بلطف تمامها وايجاد ما ينفع الاولا في الحياة والممات قبل توجبه اللهو الى ذلك مبالغة ولذلك قال * (ومن يفعل ذلك) اللهو بها والاشتغال (فاولئك هم الخاسرون) في تجارتهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني صاروا في النار وخسروا الجنة وقيل ذكر الله القران وقيل الصلوات الخمس وقيل الفرايض وعليه الحسن وقال الكلبي الجهاد ومن عيوب النفس الاشتغال بما لا يعني والخوض مع اهلها ودواءه ان يعلم ان وقته اعز الاشياء فليشغله باعز الاشياء وهو ذكر الله ومداومة الطاعة والاخلاص من النفس وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن الحسن بن منصور عليك بنفسك ان لم تشغلها شغلتك وروي انها نزلت في المنافقين تلهيهم اموالهم واولادهم فامنوا بمعنى اقروا بالسنتهم والصحيح انها نهي للمومنين ان يلهوا كالمنافقين * (وانفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد الزكاة قاله ابن عباس يعني وما كان واجبا كمال يصرفه الحاج عن نفسه ومال ينفقه الرجل على من لزمته نفقته وقال جماعة المراد النفقة الواجبة والمندوبة وقيل

نفقة الحج * (من قبل ان ياتي احدكم الموت) اي دلائله ويعاين ما ليس معه من الاموال ويفوت وقت العمل والقبول فيتحسر على المنع وبعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه كما قال الغفور الرحيم * (فيقول) يا * (رب لولا) حرف تحضيض او لازايدة واو حرف تمن * (اخرتني) امهلتني واخرت موتي وقري باسقاط الياء * (الى اجل قريب) زمن قريب قليل استدرك فيه الفوت واوصي الجرح وعن ابن عباس اراد والا الاجل القريب مثل اجلهم في الدنيا وعمر العبد قليل * (فاصدق) بالنصب في جواب التحضيض او التمني واصله اتصدق ابدلت التاء صادا وادغمت وقراء ابي بالاصل * (واكن) بالجزم عطفا على المعنى اعني على تقدير اسقاط الفاء من قوله فاصدق فيكون مجزوما في جواب التحضيض او التمني فيعطف عليه بالجزم اي ان اخرتني اصدق واكن * (من الصالحين) بالتدارك ويسمى مثل ذلك العطف في غير القران عطف توهم قال ابن هشام قال السيرافي والفارسي عطف على محل فاصدق كعطف نذر بالجزم على جملة فلا هادي له ويرده ان جملة فاصدق ليست في محل جزم كما هي في محله في ومن يضلل الله فلا هادي له انتهى ومثل قولهما قول القاضي ولعل مراد القاضي ومرادهما ان اصدق في تاويل مصدر خبر لمحذوف والجملة جواب شرط محذوف اي ان اخرتني فامري التصدق وقراعمرو واكون بالنصب عطفا على اللفظ وقراء عبيد بن عمير بالرفع اي وانا اكون فذلك عدة بالصلاح وعن ابن عباس تصدقوا من قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه نزلت في مانعي الزكاة وقال والله اورى خيرا لها سئال

الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسئل المومنون الكر قال نعم انا اقراء عليكم به قرانا يعني انها نزلت في اهل القبلة كما قال عكرمة والحسن القائل ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سئال الرجعة قيل معني فاصدق فاحج وقيل غير ذلك على حد ما مر في الانفاق والاية تدل على ان وصية الحقوق التي لا خصم فيها من الثلث كالكفارة والعتق فان التحسر عن التصدق انما هو لفوته اياهم الامن الثلث اذ لو كان يصح على كل كيفية اراد وها لما تحسروا لانه انما يتحسر الانسان عما فاته ولو كانوا يدركون كل ما اوصوا به ولو فوق الثلث لاوصوا به وزال التحسر عنهم وفي الزكاة من الايضاح تلويح بذلك * (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) ان يمهلها اذا جاء اخر عمرها نفي التاخير بحرف التوكيد تحضيضا على مبادرة الاعمال حيث كان الموت يهجم ولا بد ولا تاخير له * (والله خبير بما تعملون) لوردكم الى الدنيا اي اواخركم لما صلحتم وقيل المعني ان الله يعلم ما فعل العبد من خير وشر فيجازيه وقرا ابو بكر بالتثناة تحت ليوافق ما قبله في الغيبة اللهم بحق السورة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم علينا اخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم *

سورة التغابن

مدنية كلها وعليه الاكثر وقيل مكية كلها وقيل مكي الا يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الى اخر السورة وقيل الى اخر ثلاث ايات وايها ثمان عشرة وكلمها مايتان واحدى واربعون وحروفها الف وسبعون

وفي الحديث من قراء سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة ومن خاف من شيطان اوخاف من احد يدخل عليه هوفلقراها فانه يكفى شره *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض له) حقيقة لالغيره * (الملك وله) كذلك * (الحمد) لان كل نعمة فمنه ولوجريت على يد غيره جريانا يوجب حمدا لاكحمده تعالى * (وهوعلى كل شئ) من اعطاء ومنع وغيرهما * (قدير) والاشياء في قدرته سواء لان قدرته ذاتية تقتضيها الذات * (هوالذي خلقكم فمنكم كافر) في الازل فالفاء للترتيب الذكرى * (ومنكم مؤمن) في الازل اي سبق في علم الله انه شقي ومن سبق فيه انه سعيد والفاء للترتيب في الحكم على معني انه يخلقكم ويخبر الملك بالشقاوة والسعادة عقب الخلق فان الشقاوة والسعادة من البطن وقبله يقول الملك حين تقع النطفة في الرحم يارب اشقي اسعيد وما الرزق وما الاجل فكتب وذلك بعد ان يقول اى رب اى يارب نطفة ثم يقول اى رب علقة ثم يقول اي رب مضغة وعن ابن عباس خلق بعضها ادم مؤمنا وكافرا وبعثهم كذلك وفي الحديث ان للجنة اهلاً في اصلاب اباءهم وللنار اهلاً في اصلاب اباءهم وقال ابوسعيد الخدري منكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر قبل موته وقال عطاء منكم كافر بالله مؤمن بالكوكب ومؤمن بالله كافر بالكوكب وقيل كافر بان الله خلقه كالدهرية واصحاب الطبايع ومؤمن بان الله خلقه وقيل مقدر كفره موجه اليه ما يحمله علي الكفر ومقدر ايمانه موجه اليه ما يحمله عليه موفق اليه ولا جبر على معصية اوطاعة والله خالق المطيع والعاصي وافعالهما الحسنة والقبيحة ويجازيهما على

فعلها

فعلها لاختيارها واختيارها ايضا مخلوق لله .. لله الا الخلق والعبد مواخذ ومثاب على تصرفه واعتقاده وافعال الله كلها حسنة وخلق القبيح ايضا حكمة خفي علينا حسنها هذا مذهبنا معشر الاباضية والمعتزلة واهل السنة وقيل المعنيات بالكفر والايمان وذلك بعد البلوغ وقيل ذلك تعديد المنعم وبيان للحمد والشكر اي خلقكم انعاما وتفضلا عليكم فالحق ان تعبدوه كلكم شكرا وما فعلتم بل بعضكم كفر هذه النعمة وبعضكم امن شكرا والفاء على هذه الاقوال كلها للترتيب الذكري وقدم الكفر لكثرته (والله بما تعملون بصير) يجازيكم به من كفر وايمان ومقتضياتهما (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو انه جعلهن مقار للمكلفين ليعملوا فيجازوا وغير ذلك * (وصوركم فاحسن صوركم) جعل صوراتكم احسن صورة وزينكم بصفات علم وتجريب وعقل حتى تصرفتم في جميع المخلوقات وقيل اراد جعلكم عقلاء مدركين والظاهر الموافق للظاهر اللغة تحسين الاجسام فقط وذلك نعم يجب شكرها بالباطن والظاهر كما قال (واليه المصير) يجازيكم فاحسنوا سرايركم واعمال جوارحكم حتى لا تمسخ ظواهركم بالعقوبة ولا ترى انسانا يتمنى كون صورته على غير صور الانسان ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب واما ماتراه قبيحا من صور الانسان فهو في نفسه حسن غير قبيح وانما يترايا قبحه بالنظر الي الصورة التي هي احسن فانك ترى صورة تعجبك واذا رايت اخري احسن منها انستك الاولى وقبحتها اليك بعض تقبيح واقللت النظر اليها قالت الحكماء لا غاية للجمال والبيان وقري بكسر الصاد في فاحسن صوركم * (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون) تظهرون * (والله عليم بذات الصدور) وحق من لا يخفي عليه شي من الجزيئات والكليات

ان يتقي ولايجتري على شيء مايخالف رضاه وعلمه بالاشياء سواء لان علمه ذاتي تقتضيه الذات وقدم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته متقدمة ومتحصلة بالذات ودلالتها على علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء وتكرير العلم في معني تكرير الوعيد لانه يستلزم الجزاء وكناية عنه وكلما ذكره بعد قوله ومنكم ومن في معنى الوعيد على الكفر وانكار لان بعصى الخالق ولاتشكر نعمته * (الم يأتكم) ياكفار مكة * (نبأ) خبر * (الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح * (فذاقوا) عطف على كفروا * (وبال امرهم) عقوبة كفرهم وضرره في الدنيا واصل الوبال الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ثم اطلق على مايكره ويسوء * (ولهم) في الاخرة * (عذاب اليم) موجع * (ذلك) اي الوبال اوذوقه كذا قيل والظاهر ان المراد ذلك المذكور من العذاب في الدنيا والعذاب في الاخرة * (بانه) بسبب ان الشان * (كانت تاتيهم رسلهم بالبينات) الحجج الظاهرة على الايمان * (فقالوا ابشر يهدوننا) مبتدا وخبر والبشر يطلق على الجمع كما يطلق على الواحد فلا حاجة الى ان تقول مفرد استعمل في الجنس والاولى ان يكون بشر فاعلا لمحذوف اى يهد ينا بشر دل عليه المذكور وذلك ان الهمزة يشتد اشتياقها للفعل اذا كان بجنبها قاله ابن هشام انكروا ان تكون الرسل بشرا لم ينكروا ان يكون الاله حجرا (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان والتدبر بالبينات * (واستغنى الله) عن كل شيء طاعتهم وايمانهم وغير ذلك كما يدل عليه حذف المعمول والواو لعطف قصة على اخرى او للحال اللازمة ومن منع دخولها على الماضي

المتصرف

المتصرف المجرد قد رقد او المبتدا اي والاشياء استغني الله عنها اذ اراد تولوا وظهر استغناءه حيث لم يلجئهم الى الايمان مع قدرته على الالجاء * (والله غني) عن خلقه وهذا تاكيد في المعنى لقوله استغنى الله او اراد استغني الله عن هولاء والله غني عن خلقه اويعكس ذلك * (حميد) محمود في كل افعاله يدل على حمده كل مخلوق وقيل اي استحمد الى خلقه اي استوجب عليهم ان يحمدوه (زعم) الزعم ادعاء العلم وفي الحديث زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ولكونه ادعاء العلم يتعدى لمفعولين الاكثر اغناء ان واسمها وخبرها عنهما ولو مخففة كما هنا ولايستعمل في فصيح الكلام الا في الكذب او قول انفرد به قائله كذا قيل وبسطته في النحو (الذين كفروا) اهل مكة وغيرهم * (ان) مخففة واسمها ضمير الشان اي انه واجاز بعضهم ان لايكون ضمير الشان اي انهم (لن يبعثوا قل) يا محمد * (بلى وربي لتبعثن) يوم القيامة وبلى اثبات لما نفوه فالقسم وما في حيزه تاكيد للاثبات * (ثم لتنبؤن بما عملتم) لتخبرن بما عملتم وتجازون ولايحاسب المشركين وقيل يحاسبون ذما وتوبيخا (وذلك) المذكور من البعث والتنبئة * (على الله يسير) سهل لايصرفه عنه صارف وهو التام القدرة عزوجل * (فامنوا بالله ورسوله والنور) القران * (الذي انزلنا) وسمي نورا لانه يهتدي به في ظلمات الضلال فهو ضوء مضيء * (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه * (يوم) مفعول اذكر اومتعلق بتنبؤن وتخبير لما فيه من الوعيد كانه قيل يعاقبكم يوم * (يجمعكم) وقراء يعقوب بالنون (ليوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الملائكة والثقلان ومجموع الجار والمجرور بدل من الظرف واللام بمعنى في او للتوقيت * (ذلك) اليوم * (يوم التغابن) مصدر تغابن

بفتح الباء يغبن فيه بعض الناس بعضا واللام للكمال كقوله * هم القوم كل القوم يا ام خالد * فان التغابن ذلك اليوم هو التغابن العظيم حتى ان غيره من التغابن في امر الدنيا ولو عظم كلا تغابن وذلك ان لكل احد منزلا في الجنة ومنزلا في النار فياخذ اهل الجنة منازلهم في الجنة ومنازل اهل النار فيها وياخذ اهل النار منازلهم في النار ومنازل اهل الجنة فيها وفي الحديث مامن عبد يدخل الجنة الا ري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ومامن عبد يدخل النار الا ري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة والتفاعل ليس على بابه فان اهل الجنة غبنوا اهل النار بدون ان يغبنهم اهل النار او فيه مجاز وفي ذلك تهكم باهل النار فان المغبون باق معه شيء ينتفع به واهل النار لا نفع لهم وفيه اشارة الى قوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله هل ادلكم الخ وقوله ان الله اشترى وقيل المراد بالغبن كون فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل غبن المظلوم المظالم فان المظلوم ياخذ بظلامته مالا يساويه شيء والظالم يعاقب عليها كذلك والاول قول مجاهد وغيره وبين التغابن وفسله بقوله * (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) اي عملا صالحا او حال من ضمير يعمل اي يعمل حال كونه صالحا فانه في حال عمل المعصية غير صالح * (نكفر عنه سيئاته وندخله) وقرا غير نافع وابن عامر بالياء فيهما * (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين) حال مقدرة * (فيها ابدا ذلك) المذكور من التكفير والادخال والخلود (الفوز العظيم) لان فيه جلب المنفعة العظيمة وهي الادخال والخلود ودفع المضرة وهي عقوبة السيئات التي هي النار * (والذين كفروا) بالوحدانية والقدرة * (وكذبوا بايا تنا) القران او دلايل البعث * (اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) النار * (ما اصاب

من

من مصيبة) تقدم بيانه في الحديد وعن بعض ان المراد الرزايا او جميع الحوادث من خير وشر * (الا باذن الله) بقضائه وقدره وارادته وعلمه كانه اذن للمصيبة ان تصيبه * (ومن يؤمن بالله) اي بقوله ان المصيبة باذنه * (يهد قلبه) لليقين وقال الضحاك والمعلم ان مايصيبه لا يخطاه ومايخطاه لا يصبه وقيل اللطف وزيادة الطاعة وقيل بالصبر على المصيبة والثبات والاسترجاع عندها فتهون وقال مجاهد ان ابتلى صبرا واعطي شكر اوظلم غفر وفي الحديث قضاء الله خير لكل مسلم ان اعطاه شكر وان بلاه صبر وقرا يهد قلبه بالبناء للمفعول ورفع القلب على النيابة ونصبه تشبيها بالمفعول به او على نزع الخافض والنائب مستتر كما قيل في نفسه ان الصب تشبيه او نزع او المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعد منه والمؤمن واجد له وقري يهد قلبه بالنون وقرى يهد قلبه بتشديد الدال اصله يهتد بالتاء ابدلت دالا ونقلت فتحتها اليها وادغمت وقرى يهدا قلبه بالالف المبدلة عن الهمزة الساكنة للجزم بمعنى يسكن ويطمئن وقري بالهمزة الساكنة * (والله بكل شيء عليم) حتى ما في القلب وحتى القلب الذي يتاثر فيه الخير والذي لا يتاثر فيه * (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم) عن الايمان والطاعة فلا باس عليه * (فانما على رسولنا البلاغ المبين) الواضح او الموضح وقد بلغ وليس عليه ان يكرههم لا اكراه في الدين وفي ذلك وعيدلهم وتبرية له * (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل) التقديم للحصر والفاء زايدة * (المؤمنون) فان التوكل مقتضى ايمانهم بان كل شيء منه تعالى وفي ذلك تشجيع للنبي صلى الله عليه وسلم في الامر بان يتوكل فينصره الله * (يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم)

شغلكم عن الله بخاصمكم في امر الدين والدنيا او بضركم ومن التبعيض قال عطاء بن يسار وعطاء بن ابي رباح نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل و ولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيثبطوه وندم وهم بعقابهم فنزل قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم * (فاحذروهم) اي جميع الازواج والاولاد لان منهم عدوا ولا يخلون عن منع عن الخير فلا تاتمنوا غوائلهم * (وان تعفوا) بترك المعاقبة * (وتصفحوا) بالاعراض وترك كثرة الملامة * (وتغفروا) تستروا خطاياهم ولا تعاقبوهم * (فان الله غفور رحيم) يثيبكم ويتفضل عليكم كما عفوتم وصفحتم وغفرتم وقال الكلبي ان الرجل اذا اراد الهجرة تعلق به ولده وزوجته فقالوا له ننشدك الله ان تذهب وتتركنا فنضيع فمنهم من يطيع امرهم فيقيم فحذرهم الله اياهم ومنهم من يمضي على الهجرة ويقول اما والله لان لم تهاجروا معي وايقاكم الله حتى تجمعوا معي في دار الهجرة لا انفعكم بشيء ابدا فلما جمعهم الله انزل وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم حظا على الاحسان اليهم وقال ابن عباس اسلم رجال من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ولما اتوه راوا الناس قد فقهوا فهموا بالعقاب فنزل ذلك وروى انهم قالوا اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا وقالوا لان اجتمعنا لم ننفعكم وهاجروا وروي انهم قالوا صبرنا على اسلامكم ولا صبر على فراقكم فتركوا الهجرة ثم هاجروا فرأوا من سبقهم بالهجرة فقهوا فلم ينفقوا عليهم ولم يصيبوا هم بخير لانهم منعوهم فنزل ذلك وقال الحسن ان العدو من الازواج والاولاد من لم يؤمن وكانوا يوذونهم على اسلامهم فامرهم الله بالعفو وقال مجاهد يحمل

الرجل حب ولده وزوجته على قطيعة رحمه ومعصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ليس عدوك الذي ان قتلك ادخلك به الله الجنة وان قتلته كان لك ثوابا ولكن اعدا الاعداء نفسك التي بين جنبيك ثم اعدا الاعداء ولدك الذي خرج من صلبك ثم اعدا الاعداء زوجتك التي تضاجعك ثم اعدا الاعداء ما ملكت يمينك قال بعضهم من حملك من ازواجك واولادك على جمع الدنيا والركون اليها فهو عدو لك ومن حثك على الانفاق والتوكل والقناعة فليس بعد قال الحسن لا يغرنك من حولك من السباع الضارية ابنك وخليلتك وكلالتك وخادمك اما ابنك كمثل الاسد في الشدة والصولة وينازعك فيما في يدك واما خليلتك فكالكلبة في الهرير والبصبصة واما كلالتك فدرهم في ميراث احدهم احب اليهم من ان تعتق رقبة واما خادمك كالثعلب في الحيل والسرقة وافول لك يا ابن ادم اتق الله فلا توفر ظهرك بصلاحهم فان مالك خطوات الى منزلك القابل لاربعة اذرع في ذراعين فاذا وضعوك هنالك انصرفوا عنك وصرفوا النياحات وضربوا بالدفوف وضحكوا بالقهقهة وفرحوا بما تركتهم وانت محاسب بما في ايديهم * (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء واختبار يوقعونكم في الاثم وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم الا ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء لا يقتلن الرجل منكم دينه امراته وعنه ان عمر عرضت له امراته في شيء فقال ما انت انما انت لعبة اذا كانت الينا اليك حاجة دعوناك ولست من الامر في شيء وكيف يباشر احد المعصية لاجل عدو وعن ابن مسعود يقول احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم من احد يرجع الى اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة ولكن

ليقل اللهم اني اعوذبك من مضلات الفتن وفي الحديث الولد مجبنة مجالة
وكان صلى الله عليهِ وسلم يخطب يوم الجمعة على المنبر حتى جاء الحسن
والحسين عليهما قميصان احمران يجرانهما يعثران ويقومان فنزل صلى الله
عليهِ وسلم عن المنبر واخذهما وصعد بهما ثم قراء انما اموالكم الاية وقال اني
رايت هذين فلم اصبر ثم اخذ في خطبته وهذه فتنة الفضلاء اما فتنة الجهلاء
فمودية الى الهلاك وعن ابي ذر رضى الله عنهُ انتهيت الى النبي صلى الله
عليهِ وسلم وهو يقول هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب
الكعبة قلت ماشاني ابري في شيئاً فجلست وهو يقول فما استطعت ان
اسكت وتغشاني ماشاء الله فقلت من هم بابي انت وامي يارسول الله قال هم
الاكثرون مالا الامن قال هكذا وهكذا وهكذا امامه ويمينه وشماله وقليل
ماهم وفي رواية ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الامن قال بالمال
هكذا وهكذا وفي الحديث يوتي برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته
وعن بعض السلف العمال سوس الطاعات وقيل اذا امكنكم الجهاد
والهجرة فلا يفتنكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما * (والله عنده اجر عظيم)
لمن اثر الله على الاموال والاولاد * (فاتقوا الله ما استطعتم) اي طاقتكم
وهي المراد بقولهِ حق تقاتهِ وقيل هذه ناسخة لقوله حق تقاته وقيل ماكنتم
احياء وقيل ما استطعتم فعلا من الافعال وماظرفية مصدرية اومصدرية
والمصدر على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول مطلق اي قدر الاستطاعة او تقوى
الاستطاعة * (واسمعوا) الحق (واطيعوا) قائله عن ابن عمر عنه صلى الله عليه
وسلم على المسلم السمع والطاعة فيما احب وفيما كره مالم يوامر بمعصية فلا
طاعة في معصية الله قال عمر بن الحصين للحكم الغفاري هل تعلم يوم قال
رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لاطاعة في معصية الله قال نعم لله اكبر *

(وانفقوا) مالكم في وجه الله فرضاً ونفلا وقيل المراد الفرض * (خيرا)
اي يكن الانفاق خيراً فيحذف الكون وفيه ضمير هو اسمه بدون سبق ان
اولو الشرطية على القلة اوهو مفعول مطلق اي انفاقاً خيرا او انفاق خير
اوهو مفعول انفقوا اي انفقوا ما يسمى خيرا وهو المال فان الخير قد يطلق
على المال القليل كالكثير اومفعول لمحذوف اي اتوا خيرا قال ابن هشام في
المسائل السفرية خيرا مفعول لمحذوف اي واتوا خيرا وهو محكي عن
سيبويه وانما احفظه عنه في انتهوا خيرا لكم اومذكور وهو انفقوا على ان
المراد بالخير المال كقوله ان ترك خيرا وقد يبعده قوله لكم واما على انه
خبر لكان محذوفه اي يكن الانفاق خيرا لكم قاله ابو عبيدة اوعلى انه نعت
لمصدر محذوف اي انفاقاً خيرا قاله الكسائي والفراء اوعلى الحال من
ضمير مصدر الفعل اي الانفاق قاله بعضهم فهي خمسة اقوال وهي
مشهورة في كتب الاعاريب ونسبتها الى من ذكر من كتاب مكي
والذي احفظه ان الذي يقدر كان الكسائي فلعل له قولين ويتاتي منها
في انتهوا خيرا لكم ثلاثة اقوال ماعدا القول بانه مفعول لفعل مذكور
وما عدا الحال فان الاول لاسبيل اليه والثاني ضعيف بعيد من حيث
المعنى وهذا تاكيد للحث على هذه الاوامر وخير اسم تفضيل او اسم مقابل
للضر والمكروه * (لانفسكم) متعلق بخيراً او نعت له اومتعلق بانفقوا
فان النفقة على الفقير مثلا نفقة عابد نفعها على المنفق * (ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله) اي تنفقوا في وجهه (قرضا حسنا)
اي باخلاص وطيب قلب * (يضاعفه لكم) قال ابو ذر عنه صلى الله
عليه وسلم كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف اي
واكثر وعن ابن المسيب الذكر في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة

والدرهم بسبعمائة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بضعفه بالتشديد (ويغفرلكم والله شكور) يعطي الجزيل بالقليل * (حليم) لايعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) اللهم بحق نبيك محمد علينا صلي الله عليه وسلم وحق السورة اخزِ النصاري واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى اللهم على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم *

سورة الطلاق

مدينة وتسمي سورة النساء القصرى كما سماها ابن مسعود وانكره الداودي فقال لا اري قوله القصري محفوظا ولايقال في سور القرآن قصري ولاصغرى قال ابن حجر وهو رد للاخبار الثابتة بلامستند والقصر والطول امر نسبي وقد اخرج البخاري عن زيد بن ثابت انه قال طولى الطولتين واراد سورة الاعراف وايها الثنتاعشره وقيل احدي عشرة وقيل ثلاث عشرة وكلها امتهان وتسع واربعون وحروفها الف وستون وفي الحديث من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وان رش ماوهافي موضع لم يسكن ابدا وان رش في مسكون اثار القتال فيه والفراق فاتقق الله

بسم الله الرحمن الرحيم *

(يا ايها النبي اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم الذي هو الطلاق لانه امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يافلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتناء بتصدره ولانه اذا اراد اراد وا فكانه جميعهم فنداؤه

كنداهم

كنداهم اوالمراد ياايها النبي والامة اولان الكلام معه والحكم بعمهم او بتقدير القول اي قل لامتك اذا طلقتم والمراد اذا اردتم التطليق تنزيلا للامر الذي قرب وقوعه منزلة الواقع كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولان الارادة سبب التطليق وملزوم له (فطلقوهن لعدتهن) اللام للتوقيت وبتقدير مضاف اي لاول عدتهن او زمانها وهي الطهر والمراد ان يكون في طهر لم يمسها فيه او بتقدير مستقبلات لعدتهن ويتعين هذا لمن عدا لعدة بالحيض وعلى كل حال انما يطلق في الطهر وان طلق في الحيض عصى ومضي الطلاق لما روي ان ابن عمر طلق فيه وامره صلي الله عليه وسلم بالمراجعة واولا مضيه لم يأمره بالمراجعة والنهي قيل يدل على الفساد وقيل لا واختلف في الامر هل يدل على النهي عن الضد ام لا وروى ان عمر اخبره بذلك فتغيظ وقال مره ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق بها وفعل وتلك التطليقة محسوبة وفي رواية مره فليراجعها ليطلقها طاهرا اوحاملا وفي رواية ماهكذا امر الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة ونزلت الاية بسبب طلاقه في الحيض وقال ابن عباس نزلت في تطليقه صلى الله عليه وسلم زوجته حفصة وقال له راجعها فانها صوامة قوامة ومن ازواجك في الجنة وكان صلى الله عليه وسلم وابن عباس وابن عمر يقرؤن في قبل عدتهن واحسن الطلاق واخله في السنة وابعده من الندم ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه ويتركها حتى تنقضي عدتها وكانت الصحابة يستحبون ان لايطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا حتى تنقض العدة وكان احسن من ان يطلق

الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وعن مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة
الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة او متفرقة وكره ابو حنيفة واصحابه
ما زاد على الواحدة في طهر ولم يكرهوه في الاطهار لقوله صلى الله عليه وسلم
لابن عمر وطلقها لكل قرء تلطيقة وقال الشافعي يجوز ارسال الثلاث
وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وطلق رجل مراته
بين يديه صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين
اظهركم وروي ان ابن عمر قال يارسول الله ارايت ان طلقتها ثلاثا فقال
له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر انه كان لا يوتى برجل
طلق ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وقال سعيد ابن المسيب
وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في
حيض او ثلاثا لم يقع تشبيها بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف ومن
طلق ثلاثا فقد ندم ولات حين ندم ومن طلق اقل فله التوسعة
وينفعه الندم لانه ان شاء راجعها قبل الفوت وانما امرنا بالطلاق في الطهر
لئلا يطول عليها زمان العدة وذلك في المدخول بها بدليل قوله لعدتهن
واما غيرها فلا عدة عليها وبطلق قبل حين شاء ولا تطلق للسنة
الا واحدة ويكره طلاقها بائنا واما التي لم تحض والايسة والحامل فيطلقن
للسنة متى شاء الزوج بدليل انهن غير مستقبلات لطهر واحدة
لاكثر وقال ابو حنيفه وابو يوسف يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وقال
محمد وزفر الحامل تطلق للسنة واحدة وقيل لا يكمن طلاقهن بدعيا
ولا سنيا قبل والخلع في حيض او طهر جامع فيه لا يكون بدعيا لانه صلى
الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها
قلت يحتمل انه عرفها طاهرا او اعتمادا على انه قد بلغ الناس ان الطلاق

في

في الحيض لا يحل ولا يلزمه السوال نعم قيل ان الخلع فرقة لا طلاق ومن
راجع في الحيض جاز طلاقه في طهر يليه قبل المسيس مع انه طلق في الحيض
واما قوله صلى الله عليه وسلم في شان ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض
ثم تطهر فامرا ستحباب ولا يستاذن على المطلقه ولكن يضرب برجله ويتنحنح قال
بعض ويسلم وتتشوف له وتتصنع ولا يرى لها راسا ولا بطنا ولا رجلا وينام
معها في البيت لا في فراش واحد وقيل ينام معها ايضا في فراش واحد ومن
غاب كتب اليها اذا حضت ثم تطهرت فاعتدي وان بان حملها كتب اليها
طلاقها ومن طلق ثم طلق اعتدت من الاول وقيل من الثاني * (واحصوا
العلدة) احفظوا الاقراء لتراجعوا ان شيتم قبل فراغها وللميراث والنفقة
والسكني * (واتقوا الله ربكم) بدل اي احذروا معصيته في كل شي فلا
تطيلوا عدتهن ولا تضروهن ولا تطلقوهن في الحيض او في طهر جامعتم فيه
او في طهر قبل الغسل (لا تخرجوهن من بيوتهن) اي بيوت سكناهن
سواء كانت البيوت لهن وطلقن فيها او الزوج او لغيرهما وان كانت لغيرهما
فارتحمها صاحبها فعلى الزوج ان يحضر منزلا لها وان كان البيت له
فليتركها فيه وان كانت في بيتها وطلبت ان تسكن في بيت ملكه زوجها
فلها والظاهر انه ان اراد ان ينقلها من بيت له الى اخر له بالملك والكراء
او غيره جاز لما كان الزوج قد يكره مساكنة مطلقته لغضب او حاجة للمسكن
او غير ذلك نهي الازواج ان يخرجوهن قال جار الله وقد تريد
المطلقة الخروج فنهاها الله ونهي زوجها ان ياذن لها في الخروج كما
قال * (ولا يخرجن) والسكون بناء والجزم في المحل واذن الزوج
لها في الخروج لا يحل الخروج لها وقد حرمه الله اه والحق انه ان اذن لها
جاز لان لزوم البيت حق له واذا انقضت العدة اخرجوهن وخرجن

ولايخرجن قبل وان خرجن اثمن الا لضرورة كخوف هدم اوغرق او بيع غزلهن
او شراء قطن او نحوهما ان كان العرف كذلك ولم ينعها زوجها ولا تخرج
لنحو البيع الا نهارا وذلك حفظ للمنسب وستر للعورة ولو طلقن ثلاثا او بائنا
وان خرجن لحاجة نهارا فلا يأتي الليل عليهن الا في بيوتهن وقال ابن
العباس والحسن ان شاءت خرجت اذا طلقت ثلاثا قيل وكذا البائن
والموت وان سافرت اعتدت ذاهبة وراجعة والبدوية تعتد في البدو مع زوجها
او حيث كانت بامره وعن فاطمة بنت قيس انها اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد ابانها زوجها فقال لا سكنى لك ولا نفقة فبلغ قولها عمر
فقال ما كنا لناخذ بقول امراة لعلها وهمت وسمعته صلى الله عليه وسلم
يقول للبائنة السكنى والنفقة اي فلا تخرج وسال ميمون بن مهران ابن المسيب
عن اشياء فقال انك تسئل سوال رجل يمحن فهل خالفت في
شيء مما سمعت ما سمعت من غيري قلت لا الا قولك في المطلقة
البائن انها لا تنتقل فما بال حديث فاطمة بنت قيس فقال ويح
تلك المراة كيف افتيت الناس قلت ان كان افتاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما افتيت ومات رجال رحمهم الله باحد فقالت نساؤهم
نستوحش في بيوتنا فاذن لهن صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن
واذا كان وقت النوم تاوي كل الى بيتها واذن لخالة جابر بن عبدالله
طلقها زوجها ان تخرج لجذاذ نخلها * (الا ان ياتين بفاحشة مبينة)
الاستثناء منقطع راجع الى قوله لا تخرجوهن وان مصدرية وياتين فعل
مضارع في محل نصب بان ماول بالمصدر وفاعل والفاحشة الزنى عند
الحسن باربعة شهود او اقرار فيخرجن لاقامة الحد ولا ترجع لابطال
حقها وعن ابن مسعود ترجع والاربعة او الاقرار هي التبيين وقيل الفاحشة

المبينة النشوز البين وقيل سوء لسانها او خلقها وبدل له قراءة ابى الا ان
يفحشن عليكم وعليه ابن عباس وقيل المراد نشوزهن حتى يطلقن فاذا
طلقن على النشوز فلا حق لهن او الاستثناء راجع الى قوله ولا يخرجن مبالغة
في النهي ودلالة على ان خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة ويجوز كون
الاستثناء متصلا بان يقدر المضاف او يقدر المصدر باسم الفاعل او يبقى
مبالغة ويكون ذلك حالا من هاء تخرجوهن او من نون يخرجن اى الاذوات
اتيان او اتيات والتشديد للمبالغة وقراء عاصم مبينة بفتح الياء فالتشديد
للتعدية ويجوز ان يكون كذلك على الكسر اى مبينة للامر كاشفة له
(وتلك) الاحكام من الطلاق للعدة واحصائها والتقوي وعدم الاخراج
والخروج * (حدود الله ومن يتعد حدود الله) يجاوزها والاضافة
للحقيقة فيصدق ذلك على من تعدي حدا واحدا والتعدي المجاوزة
(فقد ظلم) ضر * (نفسه) بان عرضها للعقاب * (لا تدري)
النفس او انت ايها النبي او ايها المطلق او لا تدري المطلقة وعلى هذا الاخير
يرجع ذلك الى قوله لا يخرجن * (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) هو ان
يقلب قلبه من بغضها الى حبها فيندم فيراجعها قبل انقضاء العدة ان لم يكن ثلاث
تطليقات او بانا فهذا اجع الى قوله احصوا العدة وفيه تاكيد لطلاق السنة
فانه اذا طلقها ثلاثا فلا يرجعها وقيل يجوز ان يكون المراد بالامر الرغبة
في الرجعة قبل الانقضاء والاستيناف بعده وفي الحديث عن ابن عمر ابغض
الحلال الى الله الطلاق وفي رواية بعض ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق
وفيه عن ثوبان اي ما امراة سالت زوجها الطلاق من غير ما باس به
حرمت عليها رايحة الجنة والعل ترجية او توقع للخلق لارجاء من الله او توقع
حاشاه وهي ومعمولاها مفعول ادري سد مسد مفعولين * (فاذا بلغن

اجلهن) اي قاربن اخر عدتهن * (فامسكوهن) راجعوهن * (بمعروف) هوحسن العشرة واداء الحقوق * (اوفارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرر ولايجوزلهم ان يطلقوهن فاذا قرب انقضاء العدة راجعوهن وهكذا الى التطليقة الثالثة اضرارا فتنقضي العدة بتسع حيضات تعذيبا لهن * (واشهدوا ذوى عدل منكم) ايها الاحرار عند قتادة وايها المسلمون عند الحسن عند الرجعة والفرقة وجوبا عنده وندبا عند ابي حنيفة ووجوبا في الرجعة وندبا في الفرقة عند الشافعي والاول عليه ابن عباس وتمنع نفسها منه حتى يشهد على الرجعة وان جامعها قبل الاشهاد حرمت عليه على الصحيح وقال النخعي جماعها مراجعة ويشهد بعد بالمراجعة ومعني وجوب الاشهاد عندنا على الفرقة انها لاتصح ولايحكم بها الا بالاشهاد اما لو طلقها بلا شهادة فقد وقع الطلاق في نفس الامر ولكن لايحكم به الا ان اقرت ولم ينكر وسئل عمران ابن حصين عمن طلق وجامع ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت بغير سنة وراجعت بغير سنة فليشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولايعود اي الى مثل هذا والصحيح مذهب الشافعي وفائدة الاشهاد عدم التجاحد وان لا يتهم في امساكها والارث ويراجعها مالم تغتسل من الحيضة الثالثة مالم تجز الماء على باطن قدميها ومن قال الاقراء الحيضات قال مالم تدخل في الحيضة الثالثه وقيل غير ذلك وذوا العدل هو من ظهر منه الوفاء بدين الله وعن النخعي هو من لم تظهر منه ريبة وعن بعض ذوالعدل حقيقة الذي لايخاف الا الله (واقيموا الشهادة لله) ادوها مستقيمة صحيحة عند الحاجة اليها ايها الشهود طلبا لرضى الله وقيا ما بوصيته واقامة للحق ودفعا للظلم لا لاجل المشهود له والمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض واذا طلقها مرة اومرتين وتزوجت

غيره

غيره ثم طلقت فهي عنده على ما بقي عند ابي ابن كعب وعلى وعمران بن حصين وعمر بن الخطاب وغيره وقيل على ثلاث * (ذاكم) المذكور من الحث على الاشهاد والاقامة اومن جميع ماذكر في الاية * (يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر) اما غيره فانه ولووعظ به فكانه غير موعوظ لعدم تاثير الوعظ فيه والذي ينتفع بالوعظ هوالمقصود تذكيره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه الجملة والجمل بعدها تابع لقوله يوعظ به اومعترضات بين الكلام على الطلاق والعدة موكدات لما سبق من اجزاء امر الطلاق على السنة والنهي عن الاضرار بالمعتدة واخراجها عن المسكن وتعدي حدود الله وكتمان بالشهادة اي ومن يتق الله في امر الازواج وغيرهن ويوءدي الحق والمهر والنفقة يجعل له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم فيه والمضائق ومن غير ذلك من كرب الدنيا والاخرة ومخرجا اسم مكان وقيل يجعل مخرجا من الركوب عما نهاه عنه ويغفراه ما مضي ان اتقى اي تاب * (ويرزقه من حيث لايحتسب) لايخطر بباله اولا يرجو * (ومن يتوكل علي الله) في اموره * (فهوحسبه) كافيه قال ابن مسعود هذه الاية اكثر الايات حظا على التفويض لله سبحانه وسئل صلى الله عليه وسلم عمن طلق ثلاثا اوالفا هل له مخرج فتلى ومن يتقي الله الى اخره وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لم تتق الله فيجعل لك مخرجا بانت عنك بثلاث والزيادة اثم في عنقك وقراها صلى الله عليه وسلم فقال مخرجا من شبهات الدنيا وسكرات الموت وشدايد يوم القيمة وقال اني لاعلم اية لواخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله الى اخره فمازال يكررها وقال لوانكم تتوكلون علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا

وتروح بطانا وقال ابي الله عز وجل ان يجعل ارزاق عباده المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون وقال لابن مسعود لا يكثرهمك يا عبد الله ما بقدر يكن وما ترزق باتك وقال استنزلوا الرزق بالصدقة وقال اكثر المفسرين ونزل ذلك في عوف ابن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه يسمى مالكا وقيل سالما واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة وان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني به فقال ما امسي عند ال محمد الا مد فاتق الله واصبر وامرك وايا ها ان تستكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته فامر اهله بذلك ففعلوا وفعل فبينما هو في بيته اذا قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها وعنه العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع وعن ابن عباس استاق معه اربعة الاف شاة فسال النبي صلى الله عليه وسلم ايحل له ما جاء به ابنه فقال نعم * (ان الله بالغ امره) يبلغ امرا اراده ولا يفوته توكلت او لم تتوكل فان توكلت كفاك وتعجلت الراحة والبركة والا تركك الى عجزك وسخطك قاله مسروق وهو من التابعين سرقه سارق وهو صغير وقراء حفص بالاضافة وقراء بالغ امره برفع امر اي نافذ امره فاعل بالغ او مبتداء وقري ء بنصب بالغ منونا على الحالية من اسم ان وعليه فخبرها هو قوله * (قد جعل الله لكل شيء قدرا) مصدر قدر الثلاثي الذي بمعنى التقدير او اراد مقدارا او اجلا جعل لكل شيء حدا كرخاء وشدة وفي ذلك بيان لوجوب التوكل وتفويض الامر لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل وتقدير لما سبق من توقيت العدة ومن الاحصاء وتمهيد لما ياتي وروى ان ناسا لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللاتي لا تحضن وقيل قال ابي

بن كعب وقيل خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض والحبلى فنزل قوله (واللائي) قد سبقت كنايته عندنا معشر المغاربة وهو يقرا بهمزتين وياء وباحدا هما في الموضعين (يئسن) لكبرهن * (من المحيض) مصدر مبني على غير قياس على ما قررته في شرح اللامية ومن للابتداء * (من) المتبعيض * (نسائكم ان ارتبتم) شككتم في عدتهن وجهلتم وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليائس وقد قدرته بستين سنة وبخمس وخمسين وبغير ذلك كما بينته في شرح النيل او هو دم حيض او استحاضة واذا كان ثلاثة اشهر عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بالثلاثة وقال الثعالبي قيل الارتياب باء مدة الحمل * (فعدتهن ثلاثة اشهر) الفاء زايدة في خبر الموصول لشبه اسم الشرط او التقدير اما وجواب ان محذوف او الفاء فاء الجواب والجملة جواب ان والمجموع خبر الموصول وهو اولى لعدم الحذف * (واللائي لم يحضن) لصغرهن مبتداء محذوف الخبر اي كذلك او عدتهن ثلاثة اشهر ويضعف كونه معطوفا على اللائي وعن الحسن اذا كانت المراة لا تحيض الا كل سنة اعتدت به اذا علم انه حيضها وقبل تعتد بالحيض ما كان وعن عكرمة من الريبة الاستحاضة والتي لا يقيم حيض تحيض في الشهر مرتين او من فعدتهن ثلاثة اشهر وقالت العامة ان حيضها اذا كان في الشهر مرتين اعتدت به ولا تكون الثلاثة دون ذلك وعن ابن المسيب عدة المستحاضة سنة وعن الحسن وعطاء والحكم بن عيينة ان المستحاضة تعتد ايام صلاتها وان حاضت بعد الطلاق حيضة او حيضتين وارتفع اعتدت تسعة اشهر فان تبين حملها والا اعتدت بعد ذلك ثلاثة اشهر وهذا عند

عمر بن الخطاب وطلق علقمة امراته فحاضت حيضتين وبقيت ثمانية
عشر شهرا وقيل ستة عشر شهرا ثم ماتت فقال عبدالله بن مسعود حبس
الله عليك ميراثها وروي عن عمران الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها
وطلقت ولم تحض تتربص تسعة اشهر فان لم تحض اعتدت بثلاثة اشهر
وهو قول مالك وقال الحسن في رواية تتربص سنة فان لم تحض
اعتدت بثلاثة اشهر وقال اكثر اصحابنا وعثمان وعلي وزيد بن ثابت
وعبدالله بن مسعود وعطاء والشافعي واصحاب الراي واكثر العلماء لا
تنقضي عدتها الا ان جاءت بثلاث حضات او تبلغ سن الياس فتعتد
بثلاثة اشهر وقيل ثلاثة اشهر عدة التي لا تحيض بعد ما كانت تحيض كما
انها عدة كبيرة لم تحض واترابها يحضن واما المتوفى عنها فعدتها اربعة
اشهر وعشر ولو كانت تحيض وقبل ان كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة
اشهر لظاهر الاية وعليه ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم * (واولات)
صاحبات * (الاحمال اجلهن) اي منتهى اجلهن * (ان يضعن
حملهن) وان كن متوفى عنهن وقيل الحامل المتوفى عنها اجلها ابعد
الاجلين وهو قول علي وابن عباس ونسب لجابر بن زيد وابي عبيدة
والعامة من فقهاءنا والصحيح الاول وعليه ابى وعمر وابن مسعود تتزوج
اذا ولدت بعد موت زوجها ولو بيوم او اقل ولو لم تطهر لكن لا يقربها زوجها
الا اذا طهرت واغتسلت لانه روي ان سبيعة الاسلمية بنت الحارث ولدت
بعد موت زوجها بليال وهو سعد بن خولة من بني عامر ابن لوي وهو
ممن شهد بدرا مات في حجة الوداع ولما تم نفاسها تجملت للخطاب
فدخل عليها رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي اراك تجملت للخطاب
ما انت والله بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر فجمعت ثيابها عليها

حتى امست فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فافتاها ان تتزوج حين
ولدت ان شاءت وعن ابن مسعود من شاء لاعنته ان سورة النساء
القصرى نزلت بعد التي في البقرة اي ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل
والمتوفى عنهن قال القاضي والمحافظة على عموم هذه الاية اولى من محافظة
عموم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات
الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معالى هنا بحذفه
ثم ولانه متاخرا النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الاخر بناء العام على
الخاص وقيل لما علموا عدة المطلقة قالوا فما عدة من لا قروء لها صغر او كبر
فنزلت واللائي يئسن الى اخره ثم قال قايل فما عدة الحامل والولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فايدة مستطردة من قال لزوجته
انت طالق ثلاثا طلقت ثلاثا وفي كتاب الخضرمي من اصحابنا انها
طلقت واحدة ولا يلحقها قوله ثلاثا وله ان يراجعها بنكاح جديد
وتكون في تطليقتين انتهي بلفظه وفي الحاشية الصغيرة على الكناح
الذي هو تالف الشيخ يحيى انه طلاق واحد عند غيرنا ويراجعها اي بلا تجديد
ومن طلق زوجته وزادها تطليقة او تطليقتين قبل انقضاء العدة
لحقتاها مع انه لم يراجعها * (ومن يتق الله) بالوقوف عند احكامه *
(يجعل له من امره يسرا) سهولة في الدنيا والاخرة * (ذلك)
المذكور من الاحكام * (امر الله انزله اليكم) في القران لتعملوا به *
(ومن يتق الله) بمراعات الاحكام * (يكفر عنه سياته) فان
الحسنات يذهبن السياءات وقري تكفر بالنون * (ويعظم له اجرا)
يضاعف اجره * (اسكنوهن) اى المطلقات * (من حيث سكنتم)
اي اسكنوهن مكانا من موضع سكونكم فمن للتبعيض كما قال قتادة ان لم

يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه وهذا الاسكان واجب باجماع الا
لمبتوتة فمالك يرى لها السكنى حفظا للنسب ولا يرى لها النفقة وكذا الشافعي وعلى
السكني اكثر العلماء بانت بالخلع او الثلاث او اللعان وقال ابن عباس
لاسكنى لها الا ان كانت حاملا وعليه الحسن والشعبي وعن
ابن عباس والحسن والشعبي والشافعي واحمد انهُ لا نفقة لها ايضا وعن
ابن مسعود والنخعي والثوري واصحاب الراي تجب لها النفقة وعن ابن
المسيب وابن عمر المطلقة ثلاثا وليست حبلى لها السكنى ولا نفقة لها وعن
الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكني وكذا كل مبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس
ان زوجها ابت طلاقها فقال صلى الله عليه وسلم لا سكنى ولا نفقة لك وقال
عمر سمعتهُ صلى الله عليه وسلم يقول لها السكني والنفقة واسم زوجها ابو عمرو
بن حفص روي انهُ طلقها وهو غايب فارسل وكيله اليها شعيرا فسخطتهُ
فقال والله مالك علينا من شيء فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا نفقة
لك وامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امرة يغشاها اصحابي
واعتدي عند ابن ام مكتوم فانهُ اعمى تضعين ثيابك وهذا دليل على انه
لا سكني واجيب بانهُ امرها بالعدة عند ابن مكتوم لان منزلها وحش يخاف
عليها فيهِ كما روى عن عايشة وقال ابن المسيب ثقلت لطول لسانها على
احماءها وقال لها اذا حللت فاعلميني ولما حلت قالت ان معاوية ابن
ابي سفان واباجهم خطباني فقال ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه اي
يلازم السفر واما معاوية فصعلوك لا مال لهُ انكحي اسامة ابن زيد فكرهتهُ
ثم قال انكحي اسامة ابن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا فاغتبطته والمتوفي
عنها لها السكني لدليل ان اخت ابي سعيد الخدري جاءت رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسالهُ ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج

في

في طلب عبيد له ابقوا فلحقهم فقتلوه وقالت انهُ لم يتركني في مسكن يملكه ولا
نفقة فاذن لها ودخلت في حجرتها وناداها ونوديت فجاءت فقال امكثي
حتى يبلغ الكتاب اجلهُ فاعتدت في البيت اربعة اشهر وعشرا فنسخ اذنه
لها بقوله امكثي وبه قال عمر وابن مسعود وعثمان وعبد الله بن عمر ومالك
والثوري واحمد واسحاق لها السكني والشافعي في احد قوليه وقال علي
وابن عباس وعايشة والحسن وعطاء وابو حنيفة والشافعي في احد قوليه
لا سكني لها وان قوله امكثي استحباب واما المعتدة عن وطيء الشبهة
والمفسوخة النكاح بعيب او خيار عتق فلا سكني لها ولا نفقة وان كانت
حاملا * (من وجدكم) ما وجدتم على قدر المال وكذا في النفقة وهو بيان وتفسير
لقوله من حيث سكنتم بناء على ان الوجد بمعنى الموجود او بقدر مضاف اي
امكنة وجدكم وقرء بضم الواو وكسرها ومعنى قولي انه بيان ان من للبيان لا عطف
بيان لاختصاصه بالاسماء على الصحيح ولا يكون في الجملة وشبهها * (ولا
تضاروهن) في السكني بانزال من لا يوافقهن معهن او يشغل مكانهن
(لتضيقوا عليهن) في المساكن فيخرجن وقيل المراد ان يراجعها اذا بقي
من عدتها يومان ليضيق عليها امرها وقيل يلجئها ان تفتدي منه * (وان
كن) اي المطلقات * (اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)
فيخرجن من عدتهن وتنفق الحامل المتوفي عنها زوجها من التركة عند
ابن مسعود وشريح والشعبي والنخعي والثوري ونسب لعلي وعن ابن عباس
وابن الزبير تنفق من نصيبها قيل وبه اخذ اصحابنا ابو عبيدة والعامة من
فقهاءنا وعن جابر بن عبد الله والحسن وابن المسيب وعطاء لا نفقة لها
ونسب لاكثر العلماء ويدل له انهُ لا ينفق الولي من مال وليه بعد موت
صاحب المال وعن علي ايما رجل طلق امراته فلينفق عليها حتى يتبين

اهي حامل ام لا فان كان حمل انفق حتي تضع والا فلا نفقة ومن قال كل مطلقة تجب نفقتها قال فائدة الشرط ان مدة الحمل ربما طالت فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضي مقدار العدة بالحيض فنفي هذا الوهم والمرضعة نفقة * (فان ارضعن لكم) اولادكم منهن اومن غيرهن بعد الفراق وانقطاع علقة النكاح وضمير الاناث للمطلقات * (فاتوهن اجورهن) ني على الارضاع وتوجر على ولدها ولو لم يبن عند الشافعي وقال ابوحنيفة لا اجر لها الا بعد ان يبين وفيه دليل على ان اللبن للام ولو خلق للمولد * (وائتمروا) بالف بعد الواو والاولى في نسختنا وهو امر من ايتمر فالاصل وايتمروا بياء ساكنة سكونا حيا بعد صورة الف كما يكتبه بعض المشارقة والايتمار قبول الامر * (بينكم بمعروف) بجميل في الارضاع والاجرة وغيرهما بتراضون على اجر معلوم بلا اضرار على احدهم ولا يقصر في حقها ولا تقصر في حق المولد والخطاب للاباء والامهات ويجوز ان يكون الايتمار بمعني التآمر بهمزة قبل الالف كالاشتوار بمعنى التشاور اي وليامر بعضكم بعضا * (وان تعاسرتم) تضايقتم في امر الرضاع بان امتنع الاب من الاجرة والام من الارضاع فلا اجرة او امتنعت ولو مع الاجرة اوشطت في الاجرة * (فسترضع له) اي للزوج * (اخرى) ولا تكره على الارضاع الا ان لم يقبل المولد الا منها فانها تجبر على ارضاعه باجرة المثل ومثل الزوج في الغنى والفقر وفي ذلك عتاب اللام واظهار غنى عنها اي سيرضعه غيرك وانت ملومة قال بعضهم ذلك في البائن واما الرجعية والباقية على الزوجية فيجب عليها ان يرضعا بلا اجرة الا ان تكون شريفة وقيل لها الاجرة ان اردن ولا يجبرن على الرضاع * (لينفق ذو سعة) اي ذو وسع في المال * (من سعته) اي من وسعه على قدره واراد

النفقة على المطلقات والمرضعات او السعة بمعنى الطاقة وقري لينفق بالنصب على ان اللام للتعليل اى شرعنا ذلك لينفق لا على ان اللام للامر وحذف نون التوكيد الخفيفه لانها تحذف فصيحا للضرورة او للساكن * (ومن قدر) ضيق وقراء ابن ابى عبلة بالبناء للفاعل ونصب رزقه (عليه رزقه فلينفق) على طاقته * (مما اتاه) اعطاه * (الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها) ما مفعول ثان ليكلف لا يكلف الفقير مثل تكليف الغني وفي ذلك تطييب لقلب الفقير وتسهيل عليه كما قال * (سيجعل الله) له ولغيره من الفقراء * (بعد عسر) فقر * (يسرا) غني من حيث شاء بالفتوحات وغيرها * (وكاين) اي كم * (من قرية عتت) اى اعرض اهلها عنا دا وافسادا والجملة خبر كاين * (عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا) بالمناقشة والاستقصاء بالمجازاة في الدنيا واثبات ذنوبهم في صحفهم وذلك في الدنيا فالماضي على اصله وقيل في الاخرة فمعناه الاستقبال لكن كان ذلك واقع لتحقق وقوعه في الاخرة وكذا في قوله (وعذبناها عذابا نكرا) قال الحسن اى عظيما منكرا بالسيف او الخسف او غيرهما او بالنار في الاخرة وقرى بالاسكان للكاف * (فذاقت) الترتيب ذكري او تحقيقي على تاويل ما قبله بالارادة * (وبال) اي عقوبة (امرها) من كفر ومعاص * (وكان عاقبة امرها خسرا) هلاكا وفوت الجنة * (اعد الله) هيا (لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد تخويفا وبيانا لكونه مترقبا حيث عبر بالاعداد وبيانا لما يوجب التقوي المامور بها في قوله (فاتقوا الله يا اولي) اصحاب * (الالباب) العقول وان جعلنا عتت نعتا لقرية او لكاين لوقوعها عليها كان اعد الله لهم خبرا فلا تكرير * (الذين) نعت لاولى او بيان او بدل * (امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا) جبريل

لكثرة ذكره كقولك زيد صوم لكثرة صيامه اولنزوله بالذكر وهو القران
او بقدر مضاف اي ذا ذكر اوصفة مبالغة او نسب سكنت الكاف من الكسر
اولانه مذكور في السموات فجعل ذكرا تكثيرا وتقديرا لمضاف اونسب او
الذكر بمعنى الشرف اطلق عليه على جهة التكثير اوالاضافة اوالنسب اواراد
بالذكر محمدا صلى الله عليه وسلم على تلك الاوجه كلها وهو مواظب للذكر
والقران ومبلغ وعليه فاراد بالانزال الارسال مجازا بالاستعارة بجامع توجيه شيء
الى شيء فقوله (رسولا) تجريد وترشيح لغوي اومجازا بالارسال فان انزال
الوحي سبب لارساله وقيل الذكر القران والرسول نبينا صلى الله عليه وسلم وهو
مفعول لمحذوف معاطف اي وارسل رسولا قيل هذا ابين الاقوال
وقيل مفعول اذكرا على ان رسولا نبينا وذكرا تكلم اوتشريف او بدل من ذكرا
على ان المراد به جبريل لانه وصف بتلاوة الايات فكان انزاله في معنى انزال
الذكر اي القران او بدل منه على معنى الرسالة وقري بالرفع اي هو
رسول * (يتلو عليكم ايات الله مبينات) بفتح الياء وكسرها والجملة
نعت رسولا اوحال من فاعل انزل ومعنى الكسر انهن يبين الحلال
والحرام وغيرهما ومعنى الفتح انهن قد اوضحهن الله * (ليخرج الذين
امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) الكفر والمعاصي * (الى النور)
الايمان والطاعة فالمراد ليحصل لمن قدر في علمه عزوجل انه يومن
ويعمل ماهم عليه لأن من الايمان والعمل وهم وقت النزول
في الظلمات اوليديمه لهم وهذا بالنظر الى من امن وقت النزول
اوقبله لابعده اوالمراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم شبه جهل
المومنين بالظلمات ولو كانوا لايواخذون به لانه قبل النزول *
(ومن يومن بالله ويعمل صالحا ندخله) وقرأ غير ابن عامر ونافع

بالياء * (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن
الله له رزقا) تعجيب وتعظيم لما رزق المومنون من الثواب في الجنة
والجملة حال من المستتر في ندخله اومن الهاء اومن ضمير خالدين
اوضمير فيها او مستانفة وفي ذلك التفات على قراءة النون وقيل
اراد بالرزق انه رزقه طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة * (الله)
بدل من الله اوخبر لمحذوف اومبتداء خبره بعده * (الذي خلق
سبع سموات) وخلق * (من الارض) اي من الجسم الذي
خلقته ارضا وكانها خلقت ارضا وفتقت سبعا * (مثلهن) عددا
وغلظا بين كل سماءين وبين كل ارضين خمسمائة سنة وغلظ كل
ارض وكل سماء كذلك قيل ما في القران اية تدل على ان الارضين
سبع الا هذه وهو مذهب الجمهور ويوافقه قوله صلى الله عليه وسلم من سرق
شبرا من ارض جاره طوقه الله الى سبع ارضين ونحوه وزعم بعضهم ان
الارض واحدة وان مما ثلثها ارتفاع جرمها وان فيها عالما يعبد الله
كما في كل سماء ارتفاع وعالم يعبد الله وقرى بالرفع على الابتداء والخبر *
(ينزل الامر بينهن) يتنزل امر الله من وحي وقضاء وتصرف بين السماء
السابعة والارض السابعة قال مجاهد وقتادة في كل سماء وفي كل
ارض خلق وامر وقضاء وقيل المراد بالامر ما يدبره من عجايب صنعه
وقيل اراد بين السموات السبع والارض وقرى ينزل بالتشديد
ونصب الامر اوبالتخفيف وفتح الياء ورفع الامر وسئال نافع الازرق ابن
عباس هل تحت السابعة خلق قال نعم ملك اوجن * (لتعلموا)
متعلق بيتنزل اوبخلق وقيل بمحذوف اي اعلمكم بالخلق والتنزل لتعلموا
وقرى بالتاء الفوقية * (ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي

علما) تميز محول عن الفاعليه اي احاط علمه بكل شي لا تخفى عليهِ خافية اللهم بحق نبيك محمد علينا صلى الله عليه وسلم وحق السورة اخز النصاري واهنهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم واكسر شوكتهم صلي الله على سيدنا محمد الـه وصحبهِ وسلـم *

سورة التحريم

وتسمي سورة النبي وسورة لم تحرم وهي مدنية قيل باجماع وليس كذلك بل قيل مكية وعن قتادة ان المدني منها الى راس العشر والباقي مكي وآيها اثنتا عشرة وكلمها مايتان وسبع واربعون وحروفها الف وستون قال صلي الله عليه وسلم من قراء سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا واذا قريت على المريض سكن مرضهُ اوعلى المصروع افاق واذا قراها الساهر نومته ومن لازمها ادى الله دينه *

بسم الله الرحمن الرحيم *

روي انهُ صلي الله عليه وسلم خلا بمارية وهي جاريتهُ وهي ام ابراهيم في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي عليَّ وقد حرمت ماربة على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امرا مني وذلك بعد ان عاتبتهُ فاخبرت بهِ عايشة وكانتا متصادقتين ولم ترحرجا في الافشاء اليها وقيل خلا بماربة في يوم حفصة جاء الى بيت حفصة فوجدها خرجت لزيارة ابيها فدعي بماربة فقال معها فجاءت حفصة وقالت يا نبي الله افي بيتي وعلى فراشي فقال صلى الله عليه وسلم مرضيالها ايرضيك ان احرمها قالت نعم

فقال

فقال اني قد حرمتها قال ابن عباس وقال مع ذلك والله لا اطاها ابدا ثم قال لها لا تخبري بها احدا ثم ان حفصة قرعت الجدار الذي بينها وبين عايشة واخبرتها الستر بالامر ولم ترفي الافشاء اليها حرجا واستكتمتها فطلقتها اى حفصة واعتزل نسائهُ تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروى ان عمر قال لها لو كان في ال الخطاب خير ما طلقك فنزل جبريل عليهِ السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نساءك في الجنة وروي انه لما كان يوم حفصة استاذنته صلى الله عليهِ وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليهِ وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلابها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي وقال بعض خرجت مارية ودخلت حفصة عليه فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلي فراشي مارايت لي حرمة ولا حقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال صلي الله عليه وسلم اليس هي جاريتي احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن ولما خرج صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته ماربة وقد اراحنا الله منها واخبرتها بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر زواجه صلى الله عليه وسلم فغضبت عايشة رضي الله عنها فلم تزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن انس كانت له صلي الله عليه وسلم امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة حتى حرمها على نفسه وقيل شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش وكان يحبه ويشربه

منها في بيتها وكان يحب الحلواء فالتقت عائشة وحفصة ان تقول من دخل عليها منهما اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ولن اعود فحرم العسل وفي رواية ان معهما في الاتحاق سودة والحلواء كل حلو والمغافير بالمعجمة صمغ العرفط وهو حلو كريه الرائحة وكان يكره الرائحة الخبيثة والعرفط بضم المهملة شجرة بالحجاز قيل له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمر خبيث الرائحة مع انه حلو وقيل رائحته كرائحة النبيذ وقيل كل شجر له شوك وما قال بل شربت عسلا قلن اكلت نحله العرفط ودخل بعد ذلك على زينب فقالت الا نسقيك من ذلك العسل فقال لاحاجة لي به قالت عائشة تقول سودة حين بلغنا امتناعه والله لقد حرمناه فقلت لها اسكتي وروى انه كان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عائشة عن ذلك فقيل لها اهدت لها امراة من اهلها عكة فيها عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منها شربة فقالت عائشة اما والله لنحتالن لها فذكرت ذلك لسودة وقالت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يارسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي له ماهذه الريح التي اجد عليك فانه يقول لك سقتني حفصة فقولي له جرست نحله العرفط وساقول له ذلك وقولي انت ياصفية ذلك قالت سودة لما دخل علي كدت والله اباديه بالذي قالت وانه لعلى الباب فرقا ونزل في ذلك * (يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك) من ملك اليمين في شان مارية او من العسل وهو الصحيح (تبتغي) بذلك التحريم * (مرضات) مصدر ميمي اي رضي (ازواجك) تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف (والله غفور رحيم)

قال

قال جار الله والماضي غفر لك هذه الزلة التي هي تحريم ما الله محلله ورحمك لم يؤاخذك بها انتهى وشنع العلماء عليها في تلك العبارة قال المراد تحريم امتناع على الانتفاع لا تحريم اعتقاد * (قد فرض الله لكم تحلة) مصدر حلل كمصدر المضعف كزكى الاصل تحللة باسكان الحاء وكسر اللام الاولى ثقلت كسرة اللام للحاء وادغمت اللام في اللام (ايمانكم) شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المايدة اطعام عشرة مساكين او كسوتهم او التحرير وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم لم يكفر لانه غفر له ما تقدم وما تاخر وانما ذلك تعليم للناس وعن مقاتل انه اعتق رقبة في تحريم ماريه او المراد بالتحلة الاستثناء حتى لا يحنث واحتج بذلك على من راى تحريم المراة او التحريم مطلقا بمينا ورده القاضي بانه لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه بمينا مع احتمال انه صلى الله عليه وسلم اتى بلفظ اليمين كما قيل وعن ابن عباس في الرجل يحرم امراته ان عليه كفارة يمين ونلا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهو قول كثير من اصحابنا وقال الحسن تحريم الامة يمين والحرة طلاق وعن علي تحريم المراة ثلاث تطليقات وعن ابن مسعود وعثمان ظهار وعن ابي حنيفة تحريم الحلال يمين فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها او زوجة فايلاء ان لم ينو وان نوى الظهار فطلاق باين وكذا ان نوى اثنين او ثلاثة وان قال نويت غير الطلاق دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في الحكم بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعند عمر وفي رواية عنه وعن ابن مسعود وابي بكر وابن عباس وزيد ان التحريم يمين وعن زيد تحريم المراة طلاق واحد باين وكان مسروق لا يراه

شيئا وكذا الشعبي محتجا بقوله عزوعلا ولا تقولوا لما تصف السنتكم الى اخره وقوله لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم قيل ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لحلال هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم اي تمنع بسبب اليمين اي اقدم على ما حلفت عليه وكفر نحو وحرمنا عليه المراضع وقيل ان نوى بـ لتحريم طلاقا فطلاق او ظهارا فظهار وتحريم ذاتها واطلق فكفارة يمين وان نوى عتقا لجاريته عتقت او تحريم ذاتها واطلق فيمين ايضا وقيل عن ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين انه ان حرم طعاما فلا شيء عليه ونسب للشافعي وعنه ان لم ينو قولان احدهما انه يمين والاخر انه لغو وعن بعضهم انه ان حرم زوجة اوجارية فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف انه لا يطأها وان حرم طعاما فلا كفارة حتى يأكل كالحالف عليه ونسب لابي حنيفة واصحابه وفي رواية عن ابن عباس اذا حرم امراته فلا شيء عليه (والله مولاكم) وليكم وناصركم ومتولي اموركم ورشيدكم * (وهو العليم) بمصالحكم فيشرعها لكم * (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل معنى مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم (واذ) مفعول اذكر (اسر النبي) جاء على طريق الالتفات من الخطاب للغيبة تعظيما له باسم النبوة والاصل واذ اسررت الى بعض ازواجك فعبر بالظاهر وهو من قبيل الغيبة عن ضمير المخاطب وان جعل اذكر خطابا لكل من يصلح للذكر او قدر اذكروا فلا التفات بينه وبين الظاهر (الى بعض ازواجه) حفصة * (حديثا) هو تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي حفصة وهو عمر وابي عائشة وهو ابو بكر ونسب بعضهم الاول للجمهور ذكرها ذلك فقال اكتميه فهذا هو الأسرار بكسر الهمزة

والثالث

والثالث لابن عباس والكلبي واقول الحق ان الحديث جميع ذلك بدليل عرف بعضه واعرض عن بعض او انه تحريم مارية وامر الخلافة كما قال به بعض * (فلما نبأت) الضمير المبعض باعتبار معناه لان المراد به حفصة كما مر اي فلما اخبرت حفصة عايشة وقرئ انبأت بالهمزة قبل النون (به) اي بالحديث (واظهره الله) اي اظهر الله نبيه واطلعه باسكان الطاء (عليه) اي على الحديث الذي تكلمت به حفصة لعايشة اي اخبره بافشائها للحديث او الضمير للتنبئة المفهومة من نبأت ولو كانت التنبيء مونثه لتاويلها بالمذكر وهو الاخبار او الضمير للنبي باسكان النون كالتنبية لجواز التفعلة والتفعيل في المهموز على ما يسطته في النحو ويجوز كون الضمير في اظهره للحديث وفي عليه للنبي صلى الله عليه وسلم فالاظهار من الظهور والوضوح وعلى كل حال فالاظهار بواسطة جبريل او بالهام * (عرف بعضه) المفعول الاول محذوف اي عرف الرسول حفصة بعض ما تكلمت به اي اخبرها اني عالم به * (واعرض عن بعض) لم يخبرها ببعض ما تكلمت به تكرما وحياء وحسن عشرة قال سفيان ما زال التغافل من فعال الكرام وعن الحسن ما استقصى كريم قط ويجوز ان يكون معنى عرف عاقب اي جازاها على بعض بان طلقها اعني حفصة وتجاوز عن بعض ويدل لهذا قراءة الكسائي بعدم تشديد الراء من قوله لا عرفن ذلك اي لاجازينك به وقيل لم يطلقها وانما هم به فقال جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة ومن نسائك في الجنة وروي انه قال الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها ابي والبعض الذي عرف به حفصة امامة ابيها وابي عايشة والمعرض عنه حديث مارية وقيل عرفها حديث مارية واعرض عن

حديث الخلافة لئلا يشهر في الناس وانما حذف المفعول الاول لعرف
لعدم تعلق الغرض به بل الغرض الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم لم يوجد
منه الا تعريف البعض قال القاضي عرف المشدد من اطلاق المسبب للسبب
والمخفف بالعكس ويدل على ان التعريف بمعنى الاعلام والاخبار لا بمعنى
المجازاة قوله * (فلما نبأها به) اي بالبعض ذكر ضميرها لانه الغرض
هنا * (قالت من انبأك هذا) اي من اعلمك اياه واخبرك به *
(قال نبأني العليم) بما تكنه الضمائر * (الخبير) بخفي الامور وانما
دل ذلك على ان المراد بالتعريف اوفق الاعلام لانه للاعلام وكانه قيل
قام زيد فلما قام قال عمرو لم قمت * (ان تتوبا) ياحفصة وعايشة
التفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة في العتاب * (الى الله) من
المعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له * (فقد صغت
قلوبكما) سبب نائب عن المسبب الذى هو الجواب اي فقد ادبتما الواجب
من التوبة لانه قد صغت قلوبكما او الجواب محذوف اي قبلت توبتكما
يقال صغي اي مال وزاغ اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميلكما
بالتعاون عن مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة
ما يكره وقرا ابن مسعود فقد زاغت والمراد بالقلوب قلبان ولم يعبر بالتثنية
لكراهة الجمع بين مثنيين فيما هو كالكلمة الواحدة ومثل ذلك مقيس ولو كان
الدال على الاثنين غير ضمير كما هو هنا ضمير وبسطت ذلك في حاشية
القطر وشرحه وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عن
خوطبت بقوله ان تتوبا حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل
وعدلت معه بالاداوة اي الركوة فتبرز اي اتى البراز الفضاء من الارض
لقضاء الحاجة ثم اتاني فسكبت الماء على يديه فتوضاء وقلت يا امير المومنين

من

من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما ان
تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس كانه كره ما
سالته عنه قال هما حفصة وعائشة قال وكان منزلي في بني امية بن زيد
بالعوالي اى اماكن عالية في ارض المدينة وكنا معشر قريش نغلب النساء
فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساءهم فطفق نساءنا يتعلمن من
نساءهم وغضبت يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني
فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه
وتهجره احداهن من اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن
افتامن ان يغضب الله لغضب رسوله فتهلك فتبسم صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت
جارتك اى ضرتك وهي عائشة وهي جارة لها ايضا وسم اي احسن واجمل
عنده صلى الله عليه وسلم واحب اليه فتبسم اخرى فقلت استانس يا رسول
الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه الا اهبة ثلاثة
اي جلودا وهو متوكئ على سرير ما عليه الا حصير فقلت يا رسول الله ادع
الله ان يوسع على امتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون
الله فاستوى جالسا قائلا اتشك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم
طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد اقسم
ان لا يدخل عليهن شهرا لاجل الحديث الذى افشته حفصة كما مر من
شدة موجدته اي غضبه حتى عاتبه الله ولما مضت تسع وعشرون ليلة
بدا بعائشة فدخل عليها فقالت ما مضي الا تسع وعشرون ليلة اعدهن
وانت اقسمت يا رسول الله على شهر فقال ان الشهر تسع وعشرون
يعني شهره ذلك وفي رواية جابر بن زيد عن ابن عباس قلت لعمر

من المرأتان الاتان تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقال حفصة وعايشة وقال عمر يارسول الله مايشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكايل وانا وابو بكر والمومنون معك وقل ما تكلمت واحمد الارجوت ان يصدق الله قولى فنزل * (وان تظاهرا) ابدلت التاء ظاء وادغمت وقراء بالتخفيف الكوفيون وقرء باسقاط الالف وتشديد الظاء يفتعل ابدلت التاء ظاء اوادغمت الظاء فيها اي وان تعاونتا * (عليه) اي على ايذاء النبي صلى الله عليهِ وسلم بما يسوءه من الافراط في الغيرة وغيره * (فان الله هو مولاه) اي فلن يعدم مظاهرا لان الله مولاه ناصره بذاته يتولى نصره * (وجبريل) راس الكروبين وافراده مع دخوله في الملائكة بعد تعظيما له * (وصالح المومنين) اي من صلح ممن امن بالله وهم الموفون فالمومنون بنى الموحدين اوارد المومنين وهم الموفون وصالح مدح ويدل للاول قول سعيد بن جبير من برء منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم ذكره بعض المخالفين وقيل ابوبكر وعمر وعليهِ ابن مسعود وابي والمراد بصالح المومنين الجنس فيصدق على الواحد فصاعدا والاستغراق او هو جمع مذكر سالم حذفت واوه فى الخط تبعا لحذفها في النطق كما كتب بدع الداعي باسقاط الواو الحرفية * (والملائكة بعد ذلك) النصر من الله وجبريل والمومنين * (ظهير) الملائكة مبتدا وظهير خبره وجبريل وصالح معطوفان على الضمير المستتر في مولاه لانهُ بمعنى موال وقد فصل بالهاء لاعلى محل اسم ان اوعلى محل ان واسمها لانه يلزم من العطف على محل اسم ان ان يقول موانيه بفتح الميم وذلك لانه يقال الزيدون قايمون لاقايم ويجوز كون جبريل مبتدا يقدر خبره

او

او مبتدا ظهير وما بينهما معطوف وعلى كل حال فانما اخبر بظهير على الجماعة لانه بمعني فريق ظهير اولانه فعيل بمعني فاعل على صيغة المصدر كصهيل وذميل اولانهم كواحد على من يعاديه وفي الحديث هم يد على من سواهم واذا جعلنا جبريل مبتدا خبره ظهير فالاشارة الى نصر الله وانما قال بعد ذلك لان نصرة مولاه تابعة لنصرة الله بل هي نصرته وقيل فضل نصره بهم على غيره من وجوه نصره وعن عمر اجمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه وقلت عسي ربه ان طلقهن ان يبدلهُ من هو خير منهن فنزل * (عسى ربهُ ان طلقكن ان يبدلهُ) ان يناوله ويعوضه وقراء غير نافع وابي عمرو بالتخفيف وادغي جار الله ان التشديد للتكثير وعسي ترجية للمخلوق اوقطع بالتبديل اوطلق وقلت يارسول الله لواتخذنا مقام ابراهيم مصلي فنزل واتخذوا من مقام ابرهيم مصلي وقلت يدخل عليك البار والفاجر فلوامرت نساءك بالحجاب فنزلت اية الحجاب ولما نزل ولقد خلقنا الانسان الى خلقا اخر قلت تبارك الله احسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد خصها الله بما قلت وقيل قائل هذه غيره وقد مر * (ازواجا خيرا منكن) لادليل فيه على ان في الارض نساء خيرا من امهات المومنين لانهن لو طلقهن لعصيانهن له كان من لا يعصيه من الموصوفات بالصفات المذكورة بعد خيرا منهن ولان المعلق بما لم يقع لايقع وليس في ذلك ما يدل على انه لم يطلق حفصة لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وعن بعضهم غلب غير المطلقة على المطلقة اوعمم الخطاب بان يطلقها ثانيا * (مسلمات) اي خاضعات لله بالطاعة (مومنات) مصدقات بالله وقيل مسلمات بمعنى مقرات ومومنات

بمعني مخلصات * (قانتات) مصليات بالليل وقيل داعيات وقيل مطيعات وفيه تكرير الان اريد الدوام على الطاعة * (تائبات) عن الذنوب * (عابدات) قيل كثيرات العبادة اومتذللات لامرة صلى الله عليه وسلم * (سائحات) اي صائمات يقال للصائم سائح لانه السائح لازاد معه ولا يزال ممسكا حتى يجد ما يطعم فشبه به الصائم لانه ممسك الى وقت الافطار وقيل مهاجرات قال زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة وقيل يسحن معه حيث ساح وفي تلك الصفات ولا سيما قانتات تعريض بهن انهن لم تحقق ذلك فيهن حيث بوذينه ولم يات بالعطف لاجتماعهن في الواحدة منهن وعطف في قوله * (ثيبات وابكارا) لانه لاتكون الواحدة ثيبا وبكرا ولانه حكم على المجموع اى مشتملات على الثيبات والابكار فهما في حكم صفة واحده وافهم والثيب ضد العذراء وذلك ترجية له وتخويف لهن وتوقيف على قدرته والافقد علم انه لابطلقهن وقرئ سيحات بتشديد الياء وهو ابلغ * (يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم) بامتثال ما امرتم به واجتناب ما نهيتم عنه واجعلوا ذلك وقاية لك * (واهليكم) بالنصح والتاديب والحمل على الخير وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معكم في الجنة وذكر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل اهله بتشديد الهاء اي اوقعهم في الجهل بان منعهم من التعلم اولم يعلمهم وقرئ واهلوكم عطفا على واوقوا الوجود الفصل وعليه فالانفس انفس المخاطبين واهلهم والخطاب في انفسكم شامل للاهل تغليبا له على الغيبة * (نارا) مفعول ثان لقوا * (وقودها) اى ما تتقد به اتقاد غيرها بالحطب

وقرى

وقري وقودها بضم الواو على المصدرية بمعني اسم مفعول اوبتقدير مضاف اي ذو وقودها * (الناس والحجارة) التي اتخذت اصناما وحجارة الكبريت لانها اشد اتقادا وحرا وحجارة غير ذلك يعلمها الله * (عليها ملايكة غلاظ) قولا * (شداد) فعلا اوغلاظ الخلق اقوياء على الافعال الشديدة يدفع الواحد منهم سبعين الفا دفعة واحدة في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم وهم الزبانية التسعة عشر واعوانهم اعاذنا الله من الجميع ببركة بسم الله الرحمن الرحيم وفيهم اقصي الخشونة لاتاخذهم رافة في انفاذ امر الله والغضب له * (لا يعصون الله ما امرهم) في الماضي اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها * (ويفعلون ما يومرون) في المستقبل اويودنه ولا يتوانون عنه وفي الحديث اذن الله لي ان اتحدث عن ملك من الملائكة ان مابين شحمة اذنه وعاتقه لخفقان الطاير سبعين عاما وما في الموضعين مصدرية والمصدر في الاول بدل من اسم الجلالة وفي الثاني مفعول يفعلون او اسم فيهما وحذف والعائد شذوذا اي به وان قدر ما امرهم الله اياه ويومرونه على تعدية امر لمفعول ثان مقيد لم يكن شذوذا والنار اعدت للكافرين ولكن خاطب المسلمين بتوقي مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار باجتناب الفسق اوامرهم بالتوقي عن الارتداد والندم على الدخول في الاسلام او الخطاب للمنافقين فامنوا بمعنى اقروا وبدل له قوله تعالى * (يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) يقال ذلك عند دخولهم النار فانه لاعذر لكم اولانه لا ينفعكم الاعتذار * (انما تجزون ما كنتم تعملون) من السيئات (يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صفة مبالغة يستوي فيها المذكر والمونث كامراة صبور ورجل غضوب وقرئ توبا نصوحا والنصح صفة التائب وهي ان ينصح نفسه باتي بالتوبة

على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات واسناده للتوبة مجاز عقلي ويجوز ان يكون نصوح مبالغة في النصاحة وهي الخياطة فيكون شبه فساد الذنب بخرق الثوب واشتق من النصاحة نصوحا على الاستعارة التبعية ويكون التجوز في الاثبات ايضا وقرأ ابوبكر بضم النون فيكون مصدرا بمعني النصح كالشكر والشكور اوبمعنى النصاحة كالثبات والثبوت اي ذات نصوح اوناصحة فالوصف بالمصدر لتقدير مضاف اوتاويله بالوصف او للمبالغة اوهو مفعول مطلق اي يتنصحون نصوحا اومفعول لأجله اي لنصوح انفسكم وتجب التوبة النصوح من كل كبير وصغير وهي ان لايعود الى الذنب كما لايعود اللبن الى الضرع ويعزم ان لايعود وان عاد تاب وان يندم وان يهجر اخوان السوء ويغتم لارتكاب الذنب كما تلذذ بفعله ويذوق نفسه مرارة الطاعة كما اذاقها حلاوة المعصية ويذيبها بالطاعة كما ربّاها بالمعصية ويعيد الفريضة ان كان ذنبه هو تركها ويرد المظالم ان كان ظلما اويجعله صاحبه في حل وان كان قذفا اوغيبة تاب عند من قذف اواغتاب عنده وان وصل المظلوم فليحاللله والاكتم وقيل لابد من اخباره ومحاللته ولايكشف نفسه ليحده الامام خلافا لمن اشترط ذلك ولا يشترط الاستغفار باللسان الاان حضرها غيره اي شاهد معصيته خلافا للكلبي وغيره وان تاب من ذنب وبقي اخر هل تصح توبته قولان قيل صحت توبته عن الذنب وبقي الاخر وقيل لم تصح وعن ابي بكر الوراق التوبة النصوح هي ان تضيق عليك الارض بمارحبت كتوبة الذين خلفوا وعن شهر بن حوشب ان لايعود ولوحز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب حياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك وعن حذيفة حسب الرجل من الشر ان يتوب من الذنب ثم يرجع فيه وعن السدي لاتصح

التوبة الا بنصيحة النفس والمومنين لأن من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وروي احب الناس ان يكونوا مثله ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الي مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعمال الجد والعزيمة في العمل على مقتضاها وفي الحديث يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال ان الله افرح بتوبة احدكم اشد فرحا منه اذا ضاع بعيره في فلاة مع زاده ثم وجده وقال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وبالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة وكل طالب يقبل مطلوبه وتقبل التوبة مالم يغرر * (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) قطع وبت منه تعالى على جهة الاطماع والترجي على عادة الملوك اشعارا بان ذلك تفضل منه وان العبد ينبغي ان يكون خائفا راجيا ويدل لذلك قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم على معنى توبوا الى الله توبة نصوحا يكفر عنكم سياءتكم ويدخلكم بالجزم في جواب الامر * (يوم) متعلق بيدخل * (لايخزي الله النبي والذين امنوا معه) بادخال النار روي انه صلى الله عليه وسلم تضرع الي الله في امر امته فاوحى الله اليه ان شيت جعلت حسابهم اليك فقال يارب انت ارحم بهم فقال الله تعالى اذن لااخزيك فيهم والاية تعريض بمن اخزاهم الله من الكفار والمنافقين واستشهاد الى المومنين اذ كفر عنهم سيئاتهم ولم يخزهم وقيل الذين مبتدا خبره * (نورهم يسعى بين ايديهم) امامهم * (وبايمانهم) وذلك اذا خرجوا من قبورهم وفي المحشر وفي ممرهم الى الجنة * (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين * (ربنا اتمم لنا نورنا) الى

الجنة قاله ابن عباس وانما يقولونه اشفاقا والا فقد علموا سعادتهم او نسيانا وذهولا وعن الحسن الله منعمة لهم ولكن يدعون تقربا اليه كقوله واستغفر لذنبك وقد غفر له اي على هيئة التقرب فان الدار ليست دار عمل وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا وقيل يقوله الادنون منزلة وهم الذين يعطون من النور قدر ما يبصرون موضع اقدامهم وقيل يقوله الذين يمشون حبوا وزحفا فان منهم من هو كذلك ومنهم من كالبرق ومنهم من كالريح ومن كاجود الخيل ومن كاجود البهائم ومنهم من كالساعي والملائكة يقولون رب سلم سلم * (واغفر لنا) ذنوبنا وقد علموا بغفرانها ففيه بعض ما ذكرناه في اتمم * (انك على كل شي قدير يا ايها النبي جاهد الكفار) بالسيف * (والمنافقين) بالحجة * (واغلظ عليهم) اي على الكفار والمنافقين اي استعمل معهم الخشونة اذا بلغ الرفق حده وقال قتادة مجاهدة المنافقين اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد الوعيد وقيل افشاء اسرارهم ولو كانوا قرابة او اصهارا لان الكفر والنفاق اوجبا لهم ذلك (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم * (ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح) اسمها واهلة * (وامراة لوط) واسمها واغلة مثل حالهم في ان قربهم لا ينفعهم من العقاب بحالها * (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) هما نوح ولوط وهذا تعظيم لهما صلى الله وسلم عليهما لنفسه * (فخانتاهما) في الدين بعمل الكبائر وعن ابن عباس ان امراة نوح كانت تفشي سره وامراة لوط اذا نزل به ضيف اخبرت قومه ليعملوا بهم وروي انها توقد بالليل نارا وتدخن في النهار علامة وروي ان امراة نوح كانت اذا امن به احد اخبرت به الجبابرة وقيل خيانتهما الزنى وهو مذهب

الحسن ورد بانه سبح في الطبع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار يقولون انه حق قال ابن عباس وابن عبد السلام ما بغت امراة نبي قط اي ما زنت وقيل ان خيانتهما الشرك كانتا تخفيانه وروي ان امراة نوح كانت تقول انه مجنون * (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) بحق الزواج فلتحذر ازواج النبي العصيان فانه لا يغني عنهن فالاية تعريض لهن والتعريض بحفصة ارجح لانها افشت سره صلى الله عليه وسلم كما افشت امراة نوح سره * (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر داخليها الذين لا وصلة لهم بينهم وبين الانبياء * (وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون) اسية بنت مزاحم رضي الله عنها اي ان وصلة الكافرين بالمؤمنين لا تضر المؤمنين كما لم يضر فساد فرعون اسية وهو اعدى اعداء الله وعن بعضهم انها عمة موسى امنت به عليه الصلاة والسلام حين سمعت بتلقف عصاه الافك فاوتد لها فرعون اربعة اوتاد ليديها ورجليها واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى عظيمة على صدرها وعبر بعضهم بالصخرة وقيل امر ان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وروي عن الحسن انها رفعت الى الجنة فهي تاكل وتتنعم وروي انهم اذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة عن الشمس * (اذ) قال القاضي ظرف للمثل المحذوف * (قالت رب ابن لي عندك) اي في القرب من رحمتك والبعد من عذاب اعدائك او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنة المأوى فعبرت عن القرب للعرش بقولها عندك * (بيتا في الجنة) بيان لمكان القرب او لكون الجنة من الجنان القريب للعرش المعبر عن قربه بالعندية قالت ذلك حال التعذيب فاراها

الله بيتها في الجنة فسهل عليها العذاب وهو من درة بيضاء * (ونجني من فرعون) اي من نفسه الخبيثة * (وعمله) اي تعذيبه وقال ابن عباس جماعه وقيل شركه ومعاصيه وقيل جميع ذلك * (ونجني من القوم الظالمين) القبط التابعين له في الظلم والشرك والمعاصي والدعاء عند المصايب من سير الصالحين وسنن الانبياء قيل ان امرأة فرعون اسية من بني اسرائيل مومنة مخلصة تعبد الله سرا حتى انها تتعلل بقضاء حاجتها فتبرز فتصلي خوفا من فرعون الى ان قتل فرعون امرة حزقيل حزقيل وهي مطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرة حزقيل كيف تعذب وتتذلل ولما قتلت عاينت آسية الملايكة عرجت بروحها لما اراد الله تعالى بها من الخير فازدادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون فضل يخبرها بما فعل بالماشطة امرأة حزقيل فقالت له آسية اويل لك يا فرعون ما اجراك على الله فقال لها الملك اغراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني امنت بالله ربي وربك ورب العالمين فدعى عرعون امها وقال لها ان ابنتك قد اخذها الجنون الذي اخذ الماشطة فاقسم لتذوق الموت اولتكفرن بالله موسى فخلت بها امها وسالتها موافقة فرعون فابت وقالت اما ان اكفر بالله فلا والله ما افعل ذلك ابدا فامر بها فرعون حتى مدت بين اربعة اوتاد ولم تزل تعذب حتى ماتت فذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد قاله ابن عباس مر بها موسى تعذب فاشارت اليه باصبعها تشكوا فدعى الله ان يخفف عنها فلم تجد للعذاب المآ الى ان ماتت فرات بيتا لها في الجنة وقد دعت الله به فراته من درة بيضا ففرحت وضحكت فقال فرعون لعنه الله انظروا اليها تضحك وهي في

العذاب

العذاب لجنونها * (ومريم) عطف على امرأة فرعون * (ابنت عمران) وفيها تسلية للارامل * (التي احصنت) حفظت * (فرجها) عن الرجال وزعم بعضهم ان الجمهور على ان الفرج فرج قميصها * (فنفخنا فيه) اي في الفرج اي نفخ جبريل بامرنا (من روحنا) اي من الروح الذي هو خلق وملك لنا واضافته للتشريف والمراد الجنس قيل تناول جبريل جيبها باصبعه فنفخ فيه فسار الى بطنها فحملت وقرء ابي فنفخنا في الفرج وقراء ابن مسعود فنفخنا فيها اي في مريم او يقدر مضاف اي في فرجها * (وصدقت بكلمات ربها) اي شرائعه وقيل بصحفه المنزلة على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وقيل جمع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وقال الكلبي كلمات عيسى لقول جبرئيل لها انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وقوله ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم الخ ويدل له قراءة بعضهم وهو المحدرى بكلمة ربها بالافراد لكن يحتمل الافراد الحقيقة او الجنس الاستغرقي فصلح فيه الاقوال وقري صدقت بالتخفيف * (وكتابه) هو الانجيل او جميع الكتب او الاربعة فالاضافة للجنس او للاستغراق وقد قراء ابو عمرو وحفص وكتبه بالجمع وقيل المراد الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى وقيل ما كتب في اللوح وقيل المراد بالكلمات والكلمة التوراة وبالكتاب الجنس واختار ابو حاتم قراءة ابي عمرو وحفص واختار ابو عبيدة قراءة الجمهور وكتابه بالافراد * (وكانت من القانتين) المطيلين القيام في الصلاة وقيل المطيعين ولم يقل من القانتات لان القنوت صفة للذكر والانثى والذكر اقوي فيها فغلب فجعلت بعضا منهم ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى وروي ان

عائشة رضى الله عنها سالت النبي صلى الله عليه وسلم لم سمي الله المسلمة وهي مريم ولم يسمى الكافرتين امراة نوح وامراة لوط فقال لم يسمها بعضا لها واعترضت هذه الرواية بانها غير صحيحة اذ قد يسمي الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمومنين والحمد لله الذى ابى ان يجعل لغير ما صح علامة توهم الصحة وقد يقال توحيها للصحة بانه لم يذكر الكافرتين باسميهما بغضا لهما وذكر الكفار باسمائهم في مواضع لاكثة والنكث لا تتزاحم وفي الحديث عن انس حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون وفي الحديث كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية ومريم وخديجة وفاطمة وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على سايرالطعام اللهم بحق هذه السورة وحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علينا اخز النصاري واهنهم واكسرشوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد والـه وصحبه وسلم *

سورة الملك

قال ابن مسعود هذا هو اسمها في التوراة وتسمي المانعة لانها تمنع من عذاب القبر قال كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعه وفي الحديث عن ابن عباس وانس انها المنجية تنجي من عذاب القبر وتسمي المجادله لانها تجادل يوم القيمة عند ربها لقارءها وتسمي الواقية والماعشة تنعش قارءها اى ترفعه وهي مكية قيل باجماع قيل كلها قلت عن ابن عياس انها مكية

الاثلاث ايات وذكر السيوطي ان بعضا قال انها مدنية قال وهو قول غريب وايها ثلاثون وكلمها ثلاث مايه وثلاثون وحروفها الف وثلاثمايه وثلاثة عشر وفي الحديث من قرا سورة الملك فكانما احى ليلة القدر وفي الحديث وددت ان سورة تبارك الذى بيده الملك في قلب كل مومن وقال من القران سورة ثلاثون آيه شفعت لرجل حتي غفراله وهي تبارك الذى بيده الملك وكان صلى الله عليه وسلم يقرءها عند اخذ مضجعه واذ قرءيت على الرمد ثلاثة ايام كل يوم ثلاث مرات زال باذن الله وعن ابن عباس ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيته على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرء سورة الملك حتي ختمها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر *

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك) تنزه عن صفات الخلق وقيل من البركة وهي التزيد والنمو اى كثرت نعمه وعظمت * (الذى بيده الملك) في تصرفه السلطان والقدرة في الامور كلها الموجود وغيره و يعزمن يشاء ويذل من يشاء وذكر اليد كناية عن الاحاطة بالاشياء * (وهو على كل شي) مما يصح تعليق القدرة به * (قدير) اما لما كان كاتخاذ الصاحبة فلا يقال قادر عليه ولا غير قادر * (الذي خلق الموت والحياة) اراد موت الانسان وحياته في الدنيا وقدم الموت لانه اقرب للقهر والتخويف واقوى داعيا الى العمل لان وراءه الجزاء واراد بالموت كون الشيء في حكم الميت كالتراب والنطفة والعلقة فان هذا ونحوه هو المبداء ثم خلق الحياة بعده اورد الموت في الدنيا والحياة في الاخرة والصحيح الاول اى اعطاكم الحياة التي

تقدرو بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن للجزاء والحياة مايصح بوجوده الاحساس وقيل مايه كون الشيء حيا وهو الذى يصح منه ان يعلم ويقدر والموت ضد الحياة وقيل عدمها وعلمه تعلقه بمعنى تقديره وقيل زوال القوة الحيوانية واماتة الروح عن الجسد وهو نعمة لانه فصل بين حال التكليف فى هذه الدار والمجازاة في الاخرة وكذ الحياة لاعن بها التلذذ في الدنيا والثواب في الاخرة ويأتي الموت يوم القيمة على صورة كبش املح على السور بين الجنة والنار فينادى منادا تعرفون ياهل الجنة وياهل النار هذا فيقولون الموت فيذبح على السور وهم ينظرون ثم يقال ياهل الجنة وياهل النار خلودا لاموت وذلك بعد دخول الجنة والنار واسوا يعرفونه قبل ذلك على صورة الكبش ولكن يلهمهم الله يومئذ فيعرفونه وذبحه هوازالة تلك الصورة وافناءها الان جملتها هي الموت بقدرة الله لاحيوان حلت فيه الحياة وقيل عن ابن عباس خلق الله الموت على صورة كبش املح لايمر بشيء فيجد ريحه الاماتت والحياة على صورة فرس اباق وهو الذي ركب جبريل واخذ السامري قبضة من اثره فالقاها في صورة العجل فخار وحيي لايمر بشيء ميت ويجد ريحه الاحيي (ليبلوكم) ليعاملكم في الحياة معامله المختبر الذي لايعلم بالتكليف ويجازيكم بعدها وهو سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها وفي الازل بلااول والخطاب المكلفين * (ايكم احسن عملا) اصوب عملا واخلص واطوع لله والصواب ان يكون على السنة والكتاب والخالص ان يكون لله وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرا ها ولما وصل هذا قال ايكم احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته اي ايكم اتم عقلا عن الله وفهما للمراد وقيل ايكم ازهد في الدنيا وهو قول سفيان الثورى وقال

السدي

السدى اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا له واشد خوفا وحذرا ولله در القائل *

* وفي ذكر هول الموت والقبر والبلا عن الشغل للذات للمرء زاجر *
* ابعد اقتراب الاربعين تربص وشيب فذاك منذر لك ذاعر *
* فكم في بطون الارض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دواثر *
* وانت على الدنيا مكب منافس لخطابها فيها حريص مكاثر *
* على خطر تمسي وتصبح لاهيا تدري بما ذا لو عقلت تخاطر *
* وانت امرء يسعى لدنياه جاهدا ويذهل عن اخراه لاشك خاسر *
* كانك مغتر بما انت صائر اليه عمدا وعن الرشد حائر *
* فجد ولا تغفل فعيشك زائل وانت الى دار المنية صائر *
* ولا تطلب الدنيا فان طلابها وان نلت منها ثروة لك ضائر *
* وكيف يلذ العيش من هو موقن بموقف عدل حين تبلى السرائر *
* لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعزة ذي العرش الملوك لجبار *

وجملة ايكم احسن عملا مفعول ثان ليبلو لتضمنه معنى العلم وليس من التعليق بالاستفهام لان التعليق ان يوقع بعد العامل جملة سدت مسد مفعولين وقيل تعليق * (وهو العزيز) الغالب الذي لايعجز من اساء العمل * (الغفور) لمن تاب * (الذى خلق سبع سموات طباقا) نعت اوحال لسبع بمعنى مطابقات اوذوات طباق اومفعول مطلق اي طوبقت طباقا وهو مصدر طابق وقيل جمع طبق بفتح الباء اوطبقه بفتحها واسكانها والمراد ان بعضها فوق بعض من غير مماسة سمع اعرابي يذم رجلا ويقول شره طباق وخيره غير باق والسماء الدنيا من الموج المكفوف والموج مارتفع من غليان الماء والمكفوف

المحوس قال التعالبي وماذكروا ان بعض السموات من ذهب وبعضها
من فضه وبعضها من ياقوت ونحو ذلك ضعيف لم يثبت به حديث
وذلك انه روى عن كعب الاحبار ان الاولى من موج مكفوف
والثانية من زمردة خضرا والثالثة حديد والرابعه نحاس والخامسة فضة
والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وقيل الثانية نحاس والثالثة
فضة والرابعة ذهب والخامسة ياقوت والسادسة زمرد والسابعة
نور وقيل الاولى زمردة خضراء والثانية فضة والثالثة ياقوت
احمر والرابعة درة بيضاء والخامسة ذهب احمر والسادسة ياقوته
صفراء والسابعة نور واسم الاولى رقيقاء والثانية اذلقون والثالثة قيدوم وقيل
عيناء والرابعة عرداء وقيل ياعوناء والخامسة دقاء وقيل سحيقاء والسادسة
قناء وقيل عدرباء والسابعة عبراء وقيل سموماء * (ماترى) يامحمد
اويامن يصلح للروية والخطاب * (في خلق الرحمن من تفاوت)
اختلاف وعدم تناسب وقرء حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو
مضمومة بدون الف قبلها والمعنى واحد واراد بخلق الرحمن مخلوقه
وهو السموات وعبر به مع ان مقتضي الظاهر الاضمار بان يقول ماترى
فيهن لتعظيمهن والتنبيه على سبب سلامتهن من التفاوت وذلك السبب
هو كون خالقهن الرحمن وعلى انه بباهر قدرته هو خالق مثل ذلك رحمة
وتفضلا وانعاما جليلا لايحصى كما يدل عليه اسم الرحمن وقيل اراد
بخلق الرحمن جميع المخلوقات فانها كلها متقنة محكمة وما استفهامية انكارية
ومن بيانها او زايدة في المفعول والجملة مستانفة اومقول لقول محذوف
نعت اي مقولا فيهن ماترى الى اخره اوما نافية ومن زايدة في المفعول
والجملة نعت والاول ابلغ * (فارجع البصر) الى السماء بعد

ما نظرت اليها مرارا من اخري متململا * (هل ترى من فطور)
شقوق والرجع مستند على ما قبله ومتسبب عنه * (ثم ارجع البصر
كرتين) اي رجعتين مرتين اي كرة بعد اخري فهو من التثنية
المراد بها اكثر من اثنين كلبيك وسعديك بدليل رجوع البصر
حسيرا * (ينقلب) يرجع * (اليك البصر خاسئا) ذليلا
لعدم ادراك الخلل الذي يبحث عنه (وهو حسير) كليل من طول المعاود وكثرة
المراجعة * (ولقد زينا السماء الدنيا) نعت السما لان السماء مونث
والالف في الدنيا للتانيث والمذكر الادني اي السماء القريبة للارض اي
القريبة قربا لم يكن لغيرها من السموات * (بمصابيح) بكواكب
كالمصابيح في الاضاءة ليلا وليست الكواكب في هذه السماء بل في غيرها
ومعني تزيينها بها اظهارها بحليها والتنكير للتعظيم وفيها القمر فقط وقيل
غير هذا فانظره وذلك التزيين والاضاءة فائدتان واشار الى اخري
بقوله * (وجعلناها رجوما) جمع رجم سمي به وهو مصدر ما يكون
به الرجم * (للشياطين) المعاندين لكم الذين يخرجونكم من النور
الى الظلمات ترجمهم الملائكة عند استراق السمع فمنهم من يموت ومنهم من
يحرق فقط او يصير غولا يضل الناس او يخبل وعن بعض ان بعضا
يحترق وبعضا يقع في البر فصير غولا وبعضا يقع في البحر فيصير تمساحا
ومعنى الرجم بها ان ينفصل من الكوكب شهاب فيرمى به كما يقتبس من
من النار وهي باقية على حالها بدليل ان الكوكب اكبر من الدنيا فيما قيل
وان عددها لا ينقص مع كثرة الرجم قال قتادة خلق النجوم لثلاث
بها وللتزيين والرجم ومن تاول غير هذا فقد تكلف بالاعلم له به او الرجم
بمعنى الظن كقوله رجما بالغيب اي ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون

والكهنة وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم سلة * (واعتدنا لهم عذاب السعير) بعد الاحراق في الدنيا والسعير النار الموقدة وكان الرجم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قليلا وقيل معدوما * (والذين كفروا بربهم) من الانس والجن وقال الحسن المراد الشياطين المرجومون * (عذاب جهنم وبئس المصير) في وقف بنصب عذاب جهنم عطفا على معمولي عامل والمراد بجهنم نار الاخرة مطلقا والمراد بالتي في الاثار الطبقة العليا من النار وهي لعصاة الموحدين * (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمار يقال ان لاهلها فيها صوتا منكرا كاقبح ما يكون من صوت الحمار وقيل والمراد حسيسها * (وهي تفور) تغلي بهم كالمرجل بما فيه قيل كما يغلي والماء الكثير بالحب القليل * (تكاد تميز) اصله تتميز حذفت احدى التائين اي تتقطع * (من الغيض) اي لاجل غيضها على اعداء الله فهي شديدة الاشتغال بهم شبهها بعاقل مغتاض لشدة غليانها كانها تغضبت اي استرخت احقانها العليا على بعضها غضبا وكبرا ويجوز ان يراد غيض الزبانية * (كلما القي فيها فوج) جماعة * (سالهم خزنتها) سوال توبيخ قيل وظاهر الايه انه لا يلقى فيها احد الا سئل على جهة التوبيخ اي يسئل في جماعة لا وحده والخزنة تسعة عشر ملكا مالك واعوانه * (الم ياتكم نذير) الجملة مفعول المسوال لانه بمعنى القول او مفعول لقول محذوف والنذير الرسول ينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا ويطيعوا في الدنيا * (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف بما تزيل عللهم قبل واقرار بانهم غير معذبين على الاعمال كما قال * (فكذبنا وقلنا ما نزل الله

من شيء) ومفعول كذب محذوف لعدم تعلق الغرض به لانه تعلق بمجرد التكذيب اي فكذبناه والنذير مفرد اريد به الجنس فيصدق على الواحد فصاعدا او بمعنى الجمع لانه فعيل بمعنى فاعل كظهير في سورة التحريم او اسم مصدر اي جاءنا انذار والانذار يستلزم المنذر بكسر الذال كالمنذر بفتحها والمصدر نذر الثلاثي او بتقدير مضاف على هذين الوجهين اي اهل انذار او مصدر او اسم سمي به المنذر للمبالغة ويدل على ان المراد المنذر وان المراد الجماعة قوله * (ان انتم) اي ما انتم * (الا في ضلال كبير) بخطاب الجماعة ويجوز ان يراد بالنذير الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او خاطب الكل لان تكذيب الواحد وتضليله تكذيب وتضليل للكل او ذلك توزيع اي قال الافواج قد جاء الى كل فوج رسول فكذبناهم ويجوز كون الخطاب من الزبانية على ارادة القول فالضلال ما كانوا عليه من المعاصي او عقاب الاخرة لانه يجيء قطعا او ذلك خطاب الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا انا هذا فلم تقبله والصحيح الاول وهو ان الخطاب من الكفار للرسل اولهم ولمن معهم فيكونون مفرطين ومبالغين في التكذيب حتى نفوا الارسال والتنزل اصلا وفي نسبتهم الى الضلال حتى قصروهم عليها دليل على ان كل اهل النار كذبوا بالارسال والانزال ونسبوا الرسل الى الضلال فان المخالفين لم يفعلوا ذلك الا من اسر الشرك فكانه قال بلسانه ان انتم الا في ضلال مبين واهل الكتاب لم يكذبوا برسلهم الا من اشرك منهم والذين حضروا نبينا لم يومنوا به مشركون ولكن من كذب نبيا او كتابا كانما كذب الانبياء والكتب فاليهود كذبوا الانجيل وعيسى والقران ونبينا والنصارى كذبوا القران والنبي * (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل اي تقبله

بمعجزاتهم * (او نعقل) نفهم فهم تفكر قال الفخر تبعا لجار الله جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع او العقل قال جار الله ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأى كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء امن الناجين لامحالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط لم يسمعوا بهذين الفريقين وهذا منه ازراء لاصحاب هذا القول * (ماكنا في اصحاب السعير) من جملتهم وفي الاية عندي دليل على ان العقد نوعان غريزي وكسبي فالغريزي في كونهم من اصحاب السعير اذا ولا وجود الغريزي لم يكلفوا فضلا عن ان يكونوا من اصحابها والكسبي في قولهم او نعقل فهذا العقل الذي نفوه بلو كسبي ولابد اذ لو انتفى الغريزي لم يكونوا من اصحاب النار لكن الكسبي نتيجة الغريزي * (فاعترفوا) اقروا * (بذنبهم) اى كفرهم ولذا افرد او اراد معاصيهم فافرد لارادة الجنس وهذا لاعتراض انما ينفع لو كان في الدنيا اي الافراد لا ارادة معنى المصدر * (فسحقا) وقراءة بضم الحاء الكسائي وكلاهما اسم مصدر هو الاسحاق اي الابعاد من الرحمة * (لاصحاب السعير) متعلق بسحقا او غير متعلق لان اللام للتقوية والاصل اسحقهم الله سحقا ولما حذف اسحق جر مفعوله باللام وعلق سحقا قال القاضي وفي الاية تغليب للايجاز والمبالغة والتعليل قيد بوان التغليب ان الافواج الملقاة في النار لما قالوا لو كنا نسمع او نعقل ماكنا في اصحاب السعير جعلوا انفسهم مغايرة لاصحاب السعير فغلب السعير عليهم حتى اندرجوا في فسحقا لاصحاب السعير وهذه العبارة اوجز من ان يقال

فسحقا

فسحقا لهم ولسائر اصحاب السعير للمبالغة فان المتبادر من ظاهر هذه العبارة كل من يدخل السعير يكون بعيدا من رحمة الله وليس كذلك فان عصاة الموحدين يخرجون من النار وللتعليل حيث يفهم منه ان سبب بعدهم من رحمة الله اختيارهم المعصية فقد غلب الشياطين الذين اعتادهم عذاب السعير على الكافرين المعترفين بذنبهم في اطلاق اسم اصحاب السعير عليهم لان هذا الاسم اطلاق اولا على الشياطين في ضمن واعتدنا لهم عذاب السعير وكونهم من اصحاب السعير علة لاستحقاقهم السحق ولايخفى ان مذهبنا معشر الاباضية ان العصاة لايخرجون من النار (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يذكرونه ويخافونه سرا كما بين الناس او اكثر ويستغفرونه او امنوا بربهم وخافوه ولم يروه او اراد بالغيب قلوبهم لانها خفيت وقال قتادة الغيب النشر والحشر والجنة والنار (لهم مغفرة واجر كبير) كل لذات هذه الدنيا صغيرة دونه * (واسروا قولكم) ايها الناس * (او اجهروا به) اى يستوي اسراركم واجهاركم عند الله فالامر للتسوية لاعلى ظاهره ثم علل ذلك الاستواء بقوله * (انه عليم بذات الصدور) قبل التكلم بها (الا يعلم من خلق) انكار اي كيف لايعلم من خلق * (وهو اللطيف) في علمه * (الخبير) فيه والجملة حال اي كيف لايعلم حال مخلوقاته وهو اللطيف خبير يتوصل علمه الى مابطن وماظهر وفاعل يعلم ضمير ومن مفعول اي والرابط محذوف اي خلقه او من فاعل اي كيف لايعلم السر والجهر من خلق الاشياء فالرابط مستتر روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيمابينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها بواسطة جبريل فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم ولايقال هلا جعلت المقصود العلم فلا يقدر له مفعول وهلا كان المعنى الايكون عالما من هو خالق لان الخالق

يستلزم العلم لانا نقول قوله وهو اللطيف الخبير يمنع ذلك لان الا يعلم متعمد عليه والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم لكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء الان جعلنا وهو اللطيف الخبير استينافا لا حالا فيصح ذلك (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) صفة مبالغة في الذل اي سهلة المشي فيها منقادة * (فامشوا في مناكبها) اي اطرافها وقال الحسن طرقها وكذا مجاهد وقيل جبالها وهذا توكيد للذل وتمثيل للغاية فيه فان منكب البعير يبعد عن ان يطاءه الراكب وهي يمشي على منكبها اي ذليلة غاية الذلة والامر للاباحة اباحة المشي في هذه الارض التي هي ذلول حتى انه يمشي في جبالها * (وكلوا من رزقه) التمسوا من نعمه (واليه النشور) من القبور للجزاء قال الغزالي جعل الله الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها متحرزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر ليسير بهم سير السفينة براكبها فالناس سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته والاوقات رءوس الاموال وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله عز وجل في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البغض من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس واحد من انفاسه حتى يقضي في غير طاعته تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل شمر الموفقون عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر فعمروها بالطاعة بحسب تكرر الاوقات انتهى قال ابو مدين عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك * (ءامنتم)

بابدال الهمزة الثانية الفا عند نافع وابي عمرو ورويس وقرئ بتخفيف الهمزتين وبتسهيل الثانية وبادخال الف بينها وبين الاخرى وتركه وقراء ابن كثير بقلب الاولى واوا لانضمام ما قبلها * (من في السماء) وهم الملائكة الموكلون على تدبير امر هذا العالم او المراد الله على معنى من في السماء امره وقضاؤه فان السماء مسكن ملائكته والى جهة السماء عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل امره ونهيه او المراد الله بناء على زعم العرب ان الله في السماء والرحمة والعذاب ينزلان منه شبهوه بخلقه * (ان يخسف بكم الارض) بغيبكم فيها كقارون ومصدر يخسف بدل اشتمال من من * (فاذا هي تمور) تتحرك الى جهات بعد الخسف او المراد بالخسف امر الارض به فالمور بعد الامر واذا للمفاجات وقيل تمور بمعنى تهوي بهم وقيل تتحرك بكم وتعلو عليكم وتكونون في بطنها * (ام امنتم من في السماء ان يرسل) بدل كذلك * (عليكم حاصبا) ريحا ترميكم بالحصباء والريح يذكر ويؤنث والحصباء الحجارة كما حصب قوم لوط وقيل الحصاصب البرد * (فستعلمون) عند الموت ومعاينة العذاب حيث لا ينفعكم العلم وقرئ بالمثناة التحتية على الالتفات * (كيف نذيري) اى انذاري * (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكيري) عقابي اياهم اي كان شديدا او انكاري عليهم تكذيبهم عند هلاكهم ان امري حق وذلك تهديد للمشركين وتسلية له صلى الله عليه وسلم * (اولم يروا) ينظروا * (الى الطير) جمع طاير * (فوقهم صافات) حال او نعت عند من اجاز نعت المحلى بال الجنسية بالنكرة ويجوز كون الحالية من ضمير الاستقرار في فوقهم فان الظرف متعلق بمحذوف حال من الطير ومعنى صافات باسطات اجنحتهن في

الجو عند طيرانهن لانهن اذا بسطنها اجعلن قوادمهن صفا * (ويقبضن) عطف على صافات لان صافات اسم فاعل في معنى الفعل ولكن يرد يقبضن الى الوصف لاصافات الى الفعل لان اصل الحال والنعت ان يكونا اسمين اى صافات لاجنحتهن وقابضات لهن اى ضامات لهن اذا ضربن بهن جنوبهن وقتا بعد وقت استعانة على الطيران والصف والقبض حالتان للطاير يستريح من احداهما للاخرى وعبر في القبض بالفعل لدلالته على التجدد فان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان في الهواء كالسباحة في الماء والاصل فيها بسط الاطراف واما القبض فطارء متجدد حالا بعد اخر وقيل قبضهن كفهن عن الطيران فيقفن في الهواء * (مايمسكهن) في القبض والبسط * (الا الرحمن) بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي واقدارهن على الجري في الهواء * (انه بكل شيء بصير) بخلق الغرايب ويدبر العجايب ولا تخفى عليه خافية فثبوت الطير في الهواء يدلكم على قدرتنا ان نفعل بكم ماتقدم وغيره من العذاب * (ام من). مبتدا للاتكار * (هذا) خبره * (الذى) نعت او بيان او بدل * (هو جند) اي اعوان * (لكم) نعت لجند * (ينصركم) نعت اخر لجند اوحال من جند او من ضمير الاستقرار في لكم او خبر ثان وليست ام هذه متصلة كما يوهمه كلام بعض بل هي منقطعة نعم ذلك معادل لقوله اولم يروا على معنى افلم ينظروا في تمثال هذه الصنايع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من العذاب * (من دون الرحمن) اي سواه لاناصر الاهو وقال ابن عباس يمنعكم من عذابي ان اردت عذابكم * (ان الكافرون) ما الكافرون * (الا في غرور) من الشيطان ان العذاب لاينزل بكم * (ام من

هذا الذى يرزقكم ان امسك) الرحمن * (رزقه) مطره وسايراسباب المعيشة او المراد نفس الرزق والجواب محذوف اي فمن هذا الذي يرزقكم ويجوز ان تكون الاشارتان الى الاوثان لاعتقادهم ان ينصروا ويرزقوا بركتها * (بل لجوا) تمادوا * (في عتو) عناد مصدر بوزن النفور لكن في ادغام * (ونفور) عن الحق لثقله عليهم * (افمن يمشي مكبا) اسم فاعل اكب وهو لازم ومعناه الصيرورة مثل اغد البعير اي صار ذا غدة وصار ذلك الماشي ذا كب قالوا وذلك غريب من حيث ان افعل لازم وفعل متعد وهذا اولى من ان يقال كب مطاوع كب وكان لازما لان كب متعد لواحد والمطاوع بالكسر ينقص درجة عن المطاوع بالفتح غالبا وانما قلنا باولوية الاول لامكان كون افعل مطاوعا نادرا بل قيل ممنوع واما مطاوع كب واكعب المتعدي فهو انكب ومثل ذلك قشع الله السحاب فانقشع واقشعه الله ومعنى مشيه مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة الطريق واختلاف اجزاءه ارتفاعا وانخفاضا وغير ذلك * (على وجهه اهدي) اسم تفضيل من هدى اللازم المتضمن معني الاهتداء خارج عن بابه * (امن يمشي سويا) سالما من العثور لاستواء طريقه كما قال * (على صراط مستقيم) مستو فهذا مقابل لقوله يمشي مكبا اي مكبا لوعورة الطريق واختلافه ولم يذكر فيه الصراط اشعارا بان ما عليه المشرك ليس بأهل ان يسمى طريقا فان مالم يستقم من الارض لايكون طريقا والمراد بالمكب المشرك ومثله المنافق وبالسوي المسلم او اراد بالمكب الاعمى فانه لايهتدى الى الطريق فلا يزال ينكب واشار به الى المشرك وبالسوي البصير واشار به الى المؤمن وعن قتادة الكافر اكب

على المغاصي فيحشر على وجهه بخلاف المؤمن فيحشر على قدميه الى الجنة وقال الكلبي المكب ابوجهل والسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة رضى الله عنه * (قل هو الذي انشاكم) خلقكم * (وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه * (والافئدة) اي القلوب لتتفكروا وتعتبروا وتدركوا الحق فضيعتم هذه النعم اذلم تستعملوها فيما خلقت لاجله كما قال (قليلا) مفعول مطلق نعت لمصدر محذوف اي شكرا قليلا اوظرف زمان اي زمانا قليلا والناصب تشكرون ولعل المراد بالقلة النفي فان المشركين لاشكر لهم * (ما) حرف زايد لتوكيد القلة اونكرة تامة والقلة على اصلها اشاربها الى قلة من يومن * (تشكرون) استيناف مع قوله قليلاما ويجوز كون قليلا حالا من احد المكافين حالا مقدرة وما مصدرية ومصدر تشكرون فاعل قليلا اي مقدرة قلة شكركم * (قل هو الذي ذراكم) خلقكم (في الارض) لتعبدوه * (واليه تحشرون) يوم القيامة للجزاء * (ويقولون) اي المشركون المومنين والنبي * (متى هذا الوعد) وعد القيامة وعذابها اخبرونا بوقته * (ان كنتم صادقين) ويحتمل ان يراد بالوعد وعد نزول العذاب * (قل انما العلم) علم وقته * (عند الله) فقط * (وانما انا نذير مبين) واضح اومضح لما انذركم به ومبين له والانذار يكفي فيه العلم بالشيء مع جهل وقته بل يكفي فيه الظن * (فلما راوه) اي الوعد اي الموعود حكي حالا مستقبلة متحققة الوقوع وهو القيامة كانها قد وقعت فهو يخبر انهم لما راوها ساءت وجوههم كذا ظهر لي وان قلنا الوعد وعد بدر فظاهر فانه قد نزل عذابه بهم اور وامنازلهم عند الموت * (زلفة) حال اي قريبا جعله نفس القرب مبالغة او يقدر مضاف اي ذا زلفة اوبأول بالوصف

اي

اى زليفا اومفعول مطلق اي يزلف زلفة ويزلف حال قيل اوزلفة ظرف اي مكانا ذازلفة وغن الحسن زلفة عيانا * (سيئت) قراءة نافع بالروم في السين ولا يضبط في المصاحف بكسرة بل تجعل نقطة حمراء بعد السين وقيل الياء الحمراء وكذا قرا في وسيء وعبر بعض بالاشمام والمراد به الروم وهواخفاء صوت الحركة كما صرحوا به والذي عندي انه يقرا بالاشمام الذي هوخلطه كسرة وضمة * (وجوه الذين كفروا) ساء العذاب وجوههم بان يثرعليها الكابة حتى اسودت ولم يقل سيئت وجوههم ليذكرهم باسم ما اوجب السوء وهوالكفر * (وقيل) اي قالت الزبانية * (هذا الذي كنتم به تدعون) لقولهم ائتنا بعذاب الله استهزاء وتكذيبا اى تطلبون وتستعجلون فتدعون تفتعلون من الدعاء اصله تدتعون ابدلت التاء الثانية دالا وادغمت فيها الدال اوالمعني تدعون انه باطل فهومن الدعوي ويويد الاول قراءة بعض باسكان الدال وقراها بعض الزهاد في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر وكان كفار مكة يدعون على رسول الله والمومنين بالهلاك فانزل الله * (قل) يا محمد (ارايتم ان اهلكني) اماتني (الله ومن معي) من المومنين (اورحمنا) بتاخير اجالنا على ما هو في الازل من تاخيرها (فمن يجير) يمنع * (الكافرين من عذاب اليم) انكار اي لاينجيهم احد منا اوحيينا فهم يعذبون في الاخرة والدنيا ولامانع لهم ونحن امامان نموت كما تتمنون فننقلب الى الجنة اونحيي لتقوية الاسلام اوالمراد ان اهلكنا الله بالموت فمن يمنعكم من النار بعد فوت هدانكم وان رحمنا بالامهال والغلبة فمن يجيركم من القتل اومن عذاب الاخرة فان المقتول يابدينا الى النار اوالمراد ان اهلكنا

الله بذ نوبنا في الاخرة ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك
لكفرهم وان رحمنا لايماننا فمن يجيركم وانتم غير مومنين * (قل هو
الرحمن) هو عايد الى مبهم في الذهن اخبر عنه بما هو المراد به او الرحمن
بدل و * (آمنا به) خبر او المعنى ان الذي ادعوكم اليه هو الرحمن
الذي مولى النعم امنا به المعلم * (وعليه توكلنا) اخر معمول امنا وهو به
ولم يقدمه فيفيد الحصر لان الغرض لم يتعلق بالحصر ولا بمن يومنون به وهو
الله ولو كان هو الذي يومنون به بل الغرض الرد على الكفار اى امنا ولم نكفر
كما كفرتم وقدم معمول توكلنا وهو عليه للحصر اى لم نتكل على ما اتكلتم بل
على الله وحده لان غيره لا يضر ولا ينفع * (فستعلمون وقرء الكسائي
بالتاء تحت * (من هو في ضلال مبين) انتم ونحن ويقدرهم أو نحن
على قراءة الكسائي ويعلمون ذلك عند معاينة العذاب او عند الموت
او يوم القيمة * (قل ارايتم ان اصبح ماءكم) مظلقا وقيل ماء زمزم قيل
ومعينا (غورا) مصدر اطلق على الماء مبالغة او ذا غور او غايرا اى غايبا
في الارض لا تناله الدلاء والايدى * (فمن ياتيكم) انكار اى لا ياتيكم احد
(بماء معين) ظاهر على الارض تناله اليد والدلو وقيل المعين العذب
وعليه ابن عباس ذكرلهم ما يشتد عليهم فقد وهو الماء العذب فانهم اشد
اليه حاجة شربا وغسله وقيل معين بمعنى كثير كاف وقيل بمعنى
جار ونسب لابن عباس وقال الحسن المعين الذي هو من العين واذا كان
لا يقدر احد ان ياتي بماء معين سوى الله كما تقررون فلم تعبدون سواه وكيف
تكفرون ان يبعثكم وتليت الاية عند جاهل فقال ياتي به القوس والمعاول
فذهب ماء عينه نعوذ بالله من الجراة على الله واياته اللهم ببركة نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم وبركة هذه السورة اخز النصاري واهنهم واكسر

شوكتهم